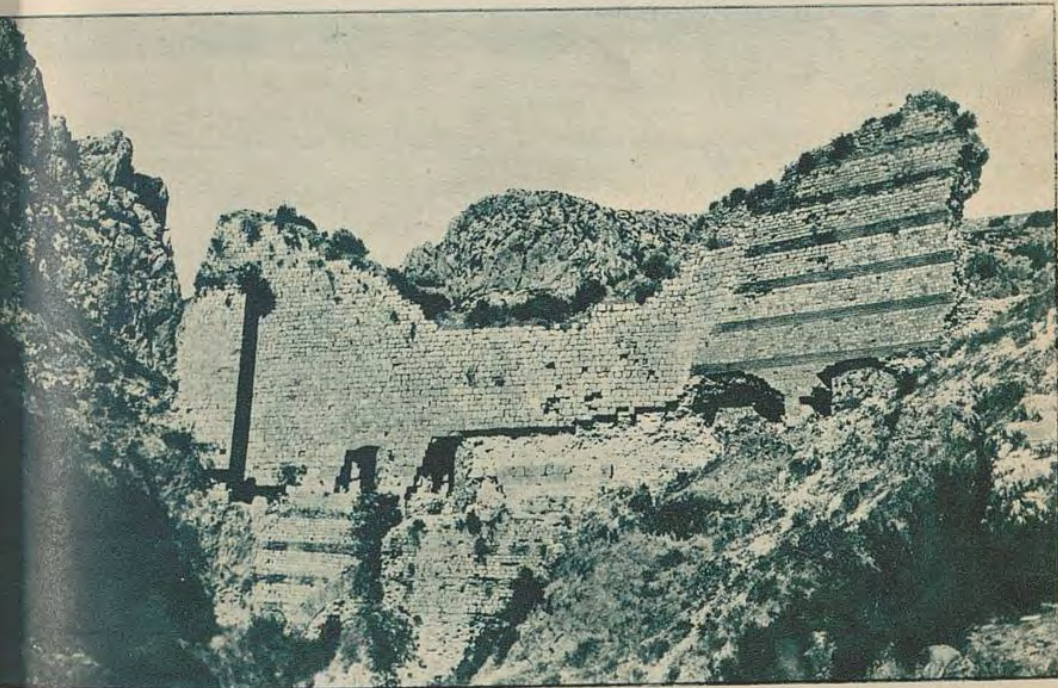


خرائب باب الحديد قبل العهد الحاضر
قلا عن كتاب الكولونل جاكو



قايا خزان باب الحديد بانطاكية



المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الخامس من المجلد السادس والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٥

٢٨ محرم سنة ١٣٥٤

الطبيعة في ربع قرن

مآثر العلماء البريطانيين في عهد الملك جورج الخامس

تحتفل الامبراطورية البريطانية في شهر مايو بانقضاء ربع قرن على ارتقاء الملك جورج الخامس أريكة الملك. فيجدر بنا ان نقف بضع صفحات من المقتطف على تلخيص اهم ما حفل به ربع القرن الماضي من المآثر العلمية التي تمت على ايدي العلماء الانكليز. وقد يتوهم بعض القراء ان البحث خاص لا يصح ان يكون موضوع مقال مستقل في المقتطف ولكن الواقع ان مباحث العلماء الانكليز وخاصة في الطبيعة الحديثة، من الاركان التي قام عليها علم الطبيعة الجديد فاجالها بمناوبة عرض سبني لاشهر المكتشفات في العلوم الطبيعية في ربع القرن الاخير

كان حكم الملك جورج^(١) الخامس حافلا بنشاط عجيب في ميدان العلوم، امتاز بطائفة من المكتشفات العلمية الاساسية، كان لها اكبر الاثر في توجيه الفكر العلمي في هذا العصر. ومن محاسن الاتفاق ان معظم وجوه التطور في العلم الحديث، نشأ من مكتشفات ونظريات برزت للعالم في مطلع عهد الملك جورج. ففي سنة ١٩١١ اخرج الاستاذ رذرفورد نظريته في الذرة ونواتها، وقام السر جوزف طمس بمباحثه في الاشعة الموجبة فأفضت الى مكتشفات الاستاذ استن في النظائر isotopes — وكان الاستاذ صدى قد سبق الى فكرة النظائر وتسميتها في سنة ١٩١٠ — وصور الاستاذ ولسن C. T. R. صورته الاولى بطريقة الغرفة الغائمة التي كانت اكبر معوان لعلماء الطبيعة في بحوثهم. ونشر الاستاذ غولند هيكنز نتائج مباحثه الاولى في الفيتامينات. وفي سنة ١٩١٣ نشر السر

(١) انطوت حقائق هذه المقالة في فصل للدكتور اندريد استاذ الطبيعة في جامعة لندن نشرت بمجلة انباء لندن المصورة

وليم براغ وابنه الأستاذ ولیم براغ رسالتهم الأولى في اصول البناء البلّوري واستعمال الاشعة السينية لتبيينه، واذاع الأستاذ مكلود (قسيم بانتنغ مكتشف الانسولين) نتائج دراسته في البول السكري لقد اثبت البحث، ان نظرية رذرفورد في بناء الذرة ونواتها، كانت من اخصب النظريات العلمية واكثرها ثمرآ في مختلف البلدان والمعاهد العلمية. فقد بين رذرفورد سنة ١٩١١ ان النتائج التي حصل عليها باطلاق دقائق الفا من احد مركبات الراديوم، يمكن ان تفسر اذا فرض ان كتلة الذرة، مركزة في جسم صغير، موجب الشحنة الكهربائية، دعاه النواة. وان النواة تحيط بها غيمة من الكهارب، وهي جسيمات سالبة الشحنة الكهربائية، فتعادل كهربائيتها السالبة، كهربائية النواة الموجبة، وتصبح الذرة محايدة او متعادلة الكهربائية. وبعيد ذلك فاز الأستاذ نيلز بوهر، وهو عالم دنماركي كان يشتغل في معمل رذرفورد، بتطبيق نظرية الذرة الجديدة، على ظاهرة خاصة في خطوط الطيف، ففسر بها، ما كان لغزاً مستسراً عن افهام العلماء. وحوالي ذلك الوقت ابتدع موزلي — وكان في معمل رذرفورد كذلك وقد قتل في خلال الحرب في حملة الدردنيل — ان قدر الشحنة الكهربائية على النواة لا وزن العنصر الذري، هو الشيء الاساسي في تعيين طبيعة العنصر. وبين ان الشحنة الكهربائية على نوى الذرات، تتدرج صعوداً واحداً واحداً، وانه وفقاً لهذه الاعداد يمكن ترتيب العناصر من ١ الى ٩٢ فدعيت هذه الاعداد او الارقام بالاعداد الذرية. وهي من اهم المكتشفات العلمية الحديثة في ميداني الطبيعة والكيمياء على السواء. ومن جملة ما افضت اليه، تمهيد السبيل الوعر، الى الكشف عن عناصر الهفنيوم والرينيوم والمازوريوم والاليونيوم ثم اثبت الأستاذ فولر بالتجربة، ان العنصر الواحد قد يحدث اكثر من طيف واحد، وان ذلك يتوقف على فقد ذرته لكهرب واحد او اكثر من كهاربها عند تهيجها واطلاقها للضوء. فجاء تفسير الطيوف الخاصة بهذه الذرات المؤينة ionized atoms (اي التي فقدت كهرباً او اكثر من كهاربها) مطابقتاً لكل المطابقة لنظرية رذرفورد وبور في بناء الذرة

ولما وضعت الحرب اوزارها، وجّه رذرفورد نظره الى نواة الذرة، وجمع حوله في معمل كافندش بجامعة كمبردج طائفة من العلماء الشبان ما لبث ان طار ذكرهم كل مطار. ولا يخفى ان نواة الذرة اصغر من جزء من مليون مليون جزء من البوصة. فاذا اخذت ورقة رقيقة من الذهب (والذهب يمكن تطريقه حتى تصير ثخانة بضعة مئات من اوراقه تساوي ثخانة ورق السيكرة) وضخمتها حتى تصبح سماكتها ميلاً كان علو الذرة فيها ذراعاً وحجم النواة في الذرة لا يزيد على حبة من الغبار. ومع ذلك اسفر بحث رذرفورد وصحبه في النواة عن نتائج كان لها اثر عظيم في تمهيد السبيل الى سر البناء المادي من النواحي التي تسترعى النظر في بناء النواة مسألة تحويل العناصر بعضها الى بعض، وهو أمر طالما حلم به أصحاب الكيمياء القديمة. ولما كانت الشحنة الكهربائية على النواة، هي التي تعين خواص الذرة من الناحية الكيميائية، فنحن اذا استطعنا أن نغير تلك الشحنة بوسيلة من الوسائل

استطعنا أن نحوّل العناصر بعضها الى بعض . ولكن الصعوبة ، ان النواة أشبه بالحصن تحيط به المعازل ، وهي الكهارب . علاوة على كون الحصن نفسه متين البناء بفعل الطاقة العظيمة التي تشدّ وثاق الدقائق التي يتألف منها . فاستعمل رذرفورد دقائق الفا واطلقها على هذا الحصن فاخترقه . ثم استعان بمساعدته الدكتور شديك فكانت النتيجة ان استطاعا احداث هذا التحويل في بعض الذرات ، وقد تبيننا آثاره بكواشف غاية في الدقة

والصعوبة في استعمال دقائق الفا قلة مصادرها . فهي تنطلق من الراديوم في خلال تحوله الذاتي ومن غيره من العناصر المشعة . والمقادير التي تملكها من هذه العناصر قليلة . على انه في إمكاننا ان نصنع مقدوفات قوية ، بتعريض الذرات لطاقة كهربائية عالية الضغط . ولما كانت طاقة بضعة ملايين من الفولط لا تجعل طاقة هذه الذرات الا من رتبة طاقة دقائق الفا ، فالملظنون أن الضغط الكهربائي اللازم لجعل طاقة هذه الذرات يفوق طاقة دقائق الفا ، سوف يظل بعيداً عن متناولنا على أن الباحثين كوكروفت وولطن رأيا أن يستعينا عن النقص في طاقة مقدوفاتها ، بزيادة عددها . فكان النواة حصن فيه ثغرات أو مواضع ضعف . فاذا استعمل عدد كبير من المقدوفات هذه ولو لم تكن على جانب عظيم من الطاقة ، كان من المحتمل الرياضي ان يصيب بعض المقدوفات هذه الثغرات ، فيفعل العدد ما لا تفعله القوة . وكذلك استعمل كوكروفت وولطن ضغطاً كهربائية يقل عن مليون فولط ، فاستطاعا أن يحوّلوا عدداً من العناصر الخفيفة ، وفازا بنتائج على أعظم جانب من الخطر في فهم البناء الذري . وقد استعمل رذرفورد نفسه طريقتهما هذه بعد أن حسنها

ومن الأساليب الجديدة التي كان لها أثر كبير في ارتقاء علم الطبيعة ، أسلوب الغرفة الغائمة الذي استنبطه الأستاذ ولسن (C. T. R.) ومبدؤها ان الهواء الرطب اذا تمدّد ، وبرد بتمدّده ، تنقلص قطرات من الماء على الذرات والجزيئات المكهربة فيه . فاستعمل الأستاذ ولسن هذا المبدأ لتبين مسارات الذرات والكهارب ، مع أن الذرات والكهارب نفسها لا تُرى ، وليس في وسع الباحث المطلع على نواحي التقدم في علوم الطبيعة الحديثة أن يغالي في مقام هذا المعوان المبتدع على البحث

وقد اعتمد العالمان بلاكيت وواكيليني ، وهما من أعوان رذرفورد في كبردج ، على طريقة ولسن هذه فأثبتا وجود جسيم مادي دقيق مشحون شحنة كهربائية موجبة وهو صنو الكهرب . وقد دعي هذا الجسيم بالكهرب الموجب (البوزيترون) وأول من قال بوجوده الأستاذ اندرسن من علماء معهد كاليفورنيا الذي يرأسه العلامة ميلسكن . ومن الجسيمات المادية الجديدة التي كشفت النوترون (أي المحايد) كشفه الأستاذ شديك وهو مثل البروتون كتلة ولكنه لا يحمل شحنة كهربائية ما واسمه يدل على ذلك

ومن المباحث العلمية العظيمة الشأن ، لاتصالها أوثق اتصال بتحويل العناصر ، مباحث الاستاذ

أُستثنى في النظائر (Isotope) . فقد استنبط طريقة عملية تمكنه من معرفة وزن الذرات معرفة دقيقة بامرار تيار من الذرات في مجال كهربائي ثم في مجال مغنطيسي ، فتبين له أن بعض العناصر خليط من نوعين من الذرات ، أو أكثر ، تتشابه في الخواص الطبيعية والكيميائية ولكنها تختلف في وزنها الذري . فوزن الكلور الذري ٣٥.٤٦ وهو في الواقع خليط من صنفين من الذرات أحدهما وزن ذراته ٣٥ والآخر وزن ذراته ٣٧ وقد ثبت بعد ذلك أن ذرات طائفة كبيرة من العناصر هي خليط من هذا القبيل . وأحدشها ما عرف عن نظائر الايدروجين ، واحدهما النظير المعروف باسم دوتيريوم في اميركا ودبلوجين في انكلترا ومنه يتركب الماء الثقيل (Heavy water) وقد اتجهت مباحث الاستاذ أستن في السنوات الاخيرة الى مقدار ما تفقده الذرة من كتلتها عند اندماج اجزائها بعضها في بعض وهو بحث متصل بنظرية الاستاذ اينشتين في تحول الكتلة الى طاقة ولا ريب في أن البحث في الذرة الذي تم معظمه في جامعة كمبريدج على ايدي طمسن ورذرفورد واعوانهما من الامجاد العلمية التي يمتاز بها عصر الملك جورج الخامس

فاذا انتقلنا من الذرة ، الى البحث في الدقائق المادية التي تفوقها حجماً أي البلورات المؤلفة من ذرات وجزيئات ، وجدنا القدر المعلى فيه للسر وليم براغ ونجله الاستاذ وليم براغ . فقد استعملوا معاً قبيل نشوب الحرب الكبرى الاشعة السينية ، لتبين انتظام البناء الذري والجزيئي في البلورات . ذلك ان الدقائق المادية الصغيرة ، اصغر من امواج الضوء التي نبصر بها الاجسام فلا تنعكس عنها ولذلك لا نستطيع رؤيتها ، لاننا انما نرى الاجسام التي تعكس امواج الضوء . ولكن الاشعة السينية اقصر جداً من اقصر امواج الضوء ، ولذلك يمكن ان تنعكس عن الاجسام الدقيقة التي تتألف منها البلورات . ولما كانت الاشعة السينية مما لا نستطيع ان نحس به بعيوننا فاننا لا نستطيع ان نرى الذرات والجزيئات بها ، فتستعمل طريقة التصوير الشمسي لتبين انتظام البلورات الداخلي . وقد تناول السر وليم براغ ونجله طائفة كبيرة من المواد ، بطريقتهم هذه ، منها المركبات المعدنية ، وهي بلورية صريحة في بلورتها ، ومنها مواد بلورية التركيب ولكنها لا تبدو كذلك مثل الزبدة والياق القطن والكتان والصوف . وقد استنبط الاستاذان طمسن (نجل السر جوزف طمسن) ورامان (الهندي) اسلوبين جديدين لاستعمال الضوء في تبين صفات الكهارب والذرات والجزيئات ، واحرز ثانيهما جائزة نوبل العلمية جزاءً له على اكتشافه

اما في ميدان الكيمياء فقد كان جانب كبير من العناية موجهاً الى دراسة الجزيئات الكبيرة المعقدة التركيب التي لها شأن بأفعال الحياة . ولعل اهمها شأناً من الوجهتين الكيميائية المحضة والحيوية العملية ، صنع الاستاذ ورثغن لمادة الثيروكسين بالتأليف الصناعي ، وهي مفرز الغدة الدرقية ومؤلفة من جزيئات كبيرة معقدة التركيب . فكان انساناً يفقد غدته الدرقية ، او طفلاً ينشأ ضامراً ، يستطيع الآن ان يستعيض من مفرزاتها بمركب كيميائي صناعي

من أندية العلم

أنباء وآراء

[لم يتسع لها باب الاخبار العلمية]

﴿ سرعة الطيران الجديدة ﴾ جاء في المجلات العلمية الاميركية ان خطوة عظيمة الشأن في ارتقاء الطيران تمت لما استقل الطيار الأمريكي ولي پوست — وهو الذي طار وحده حول العالم في أقل من سبعة أيام — طائرته القديمة « وفي ماي » من لوس انجلوس متجهاً الى شيكاغو . فقد حلق هذا الطيار ، الى ارتفاع ٣٥ ألف قدم او اكثر قليلاً حيث الهوى لطيف كل اللطف ، وليس ثمة نبارات هوائية تعيق الطائرة عن التقدم ، فبلغ متوسط سرعته بهذه الطائرة القديمة ٣٥٠ ميلاً في الساعة مع أن أقصى سرعتها على بضعة آلاف قدم فوق سطح الارض لا يزيد او قلما يزيد على ١٥٠ ميلاً في الساعة

وبعد ذلك نشط المستنبطون ومهندسو الطيران الى صنع طائرات تتوافر فيها الاجهزة اللازمة لطيران على هذا العلو او فوقه قليلاً — مثل أجهزة تكفل للسائق والركاب الدفء اللازم، ومقداراً كافياً من الاكسجين للاستنشاق حيث الاكسجين قليل هناك ، والضغط الكافي على المحرك — وعندئذ يمكن أن تبلغ سرعة الطائرات الطائرة على هذا العلو ما متوسطه ٤٠٠ ميل في الساعة ، من دون تغيير يذكر في تصميم الطائرات الحالية فتحتاز المسافة بين نيويورك وباريس في نحو سبع ساعات فقط . مع أن لندبرغ اجتازها في ثلاث وثلاثين ساعة ونصف ساعة

﴿ قلاع في الهواء ﴾ يرى الاستاذ لو المستنبط والعالم الانكليزي ، ان بناء القلاع في الهواء لابد أن يكون صفة من الصفات البارزة في الحروب القادمة . وقد يسأل القارئ كيف تبنى القلاع في الهواء والاصل في القلاع بناؤها المتين الراسخ في الارض بحيث لا تهزها القنابل ولا تززعها . نبدأ الاستاذ لو ان الحروب المقبلة سوف تكون في الغالب ، حروباً في الجو ، وان المدن الكبيرة لابد أن تحتاج الى اسراب من الطائرات ، ترتفع من مطاراتها ، لمقاومة اسراب العدو . ولكن هذا وحده لا يكفي . فلا بد من ان يبنى في الجو ما يقوم مقام القلاع والحصون على الارض . وهذا بم بناء جهاز ، يستطيع ان يطلق القنابل من مدافع خاصة اطلاقاً افقيّاً واطلاقاً عمودياً او نصف

عمودي ، فيسدها الى الطيارات التي تحاول ان تحوم فوق المدينة لرمي قنابلها المحتوية على الغازات والمكروبات . والطائرات لا تستطيع ان تفعل ذلك لانه لا بد لها من الحركة الدائمة والا سقطت على الارض . وعنده ان هذه القلاع الجوية يجب ان تقام على اكياس صغيرة مملوءة بالهليوم . والهليوم خفيف ، يكاد يقترب من الهيدروجين في خفته ، وقد ملئت به بلونات اميركا لانه غير قابل للالتهاب . على ان الاكياس يجب ان تكون صغيرة ، لانه اذا كانت كبيرة ، وأقيمت القلعة الجوية على بضعة اكياس منها ، ثم اصيب احد الاكياس بقنبلة اختل توازن القلعة وهوت الى الارض . اما اذا كانت اكياس الهليوم ، صغيرة وعديدة فانتقاب احدها او بعضها لا يكون له هذا التأثير

﴿ اوراق الكوكا والكوكايين ﴾ جاء من بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (الارجنطين) ان الحكومة ارصدت في ميزانيتهامبلغاً من المال غرضه ان ينفق في مكافحة مضغ اوراق الكوكا بين هنود البلاد . فأوراق الكوكا هذه مصدر المخدر المعروف بالكوكايين وهنود اميركا الجنوبية اعتادوا مضغها فتخدرهم ويعودون لا يحسون بالحر ولا بالبرد ولا بالتعب

بل ان اوراق الكوكا اروج بضاعة بينهم من جنوب بلاد كولومبيا الى الولايات الشمالية في جمهورية الارجنطين ومعظم محصول هذه الاوراق تنتج بوليفيا وبيرو . بل ان الكوكا في بوليفيا — كالقطن في مصر — محصولها الزراعي الرئيسي

واسم هذا النبات العلمي معقد ولكن لا بأس بإيراده فهو « اريثروكسيلون كوكا » وقد تعود هنود تلك البلدان مضغه وهم سائرون وراء قوافلهم او وهم حاملون على ظهورهم اعباء ثقيلة يقطعون بها مسافات طويلة . بل انهم يستعملون ورقه في شكل مكمد لكل جرح او رض او ألم يصابون به . وعند ما يمر احدهم بمزار لآلهة « الانكاس » الاقدمين يقدم له مقدمة مؤلفة من ورقة او ورقتين من نبات الكوكا

ويقول الكاتب الاميركي جون هوايت انه وقف مرة على نجد جبال الاندس على ارتفاع ١٣ الف قدم مرتدياً اكثف الملابس الصوفية ومع ذلك احس بالبرد ينخر عظامه . ولكنه رأى احد الهنود غير متأثر بالبرد مع انه كان يرتدي قيصاً من القطن . فكانت قطعانه تكسر الجليد الذي يغطي جدولاً من الجداول وهو يخوض في ماء الجليد ورائها وسبب ذلك ادمانه مضغ اوراق الكوكا فترده المادة الغروية التي فيها ضعيف الاحساس بالبرد

﴿ البذر بالطيارات ﴾ في سنة ١٩١٩ استعملت الطيارات في بذر البذار في الحقول وفي سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ زرع العشب الخضير في الولايات المتحدة الاميركية وجزائر هواي

بالبطاريات كذلك . وفي سنة ١٩٢٩ بذرت بزور الرز في كاليفورنيا بها . ولكن هذه التجارب جميعها كانت محاولات متفرقة لم تتعمد . مساحات محدودة من الحقول . ولا يعلم ان الطيارة قد استعملت لهذا الغرض في غرب اوربا

اما في روسيا السوفيتية فقد استعملت الطيارة لبذر البذار في مساحات واسعة من الارض في سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ وقد اتسع نطاق استعمالها لهذا الغرض في تلك البلاد اتساعاً مطرداً بعد ذلك فبذرت بها البزور سنة ١٩٣٢ في مناطق مجموع مساحتها ١٧٠ الف فدان . وفي سنة ١٩٣٣ في مناطق مجموع مساحتها ٣٣٢ الف فدان . وفي سنة ١٩٣٤ في مناطق مجموع مساحتها ٣٧٠٥٥٠ فدان

وميزات البذر بالطيارة كثيرة . فبذر البزور باليد في منطقة مساحتها ٢٥٠٠ فدان يقتضي ٣٠٠٠ ساعة عمل . وبذرها بالآلة يجرها حصان او بغل يقتضي الف ساعة عمل . وبذرها بالآلة سيارة يستغرق ٢٠٠ ساعة عمل . اما بذرها بالطيارة فلا يستغرق اكثر من ٦٠ ساعة عمل . ثم ان محصول الفدان الواحد المبذور بالطيارة اكبر من المتوسط المعتاد لان الطيارة في البلاد الباردة تمكن اصحاب الارض من بذر ارضهم عقب ذوبان الثلج مباشرة . ومن اقوالهم المأثورة ان البذر في الطين يزيد المحصول زياده كبيرة تبلغ احياناً ٥٠ في المائة . ولكي يتمكن الفلاح من التبيكير في بذر بذاره تجرب الآن تجارب غرضها اسراع ذوبان الثلج بذر مسحوق اسود على سطحه الابيض اللامع فيكثر امتصاصه لحرارة الاشعة الشمسية ويسرع ذوبانه

نمن بعوضة واحدة * في فصل من فصول هذا الجزء قصة العلامة فون يورغ الطبيب النمساوي الذي كشف عن طريقة استعمال الحصى الملارية لعلاج الشلل العام الناشئ عن الاصابة بالهرري . وقد قرأنا في السيفتفك اميركان ان حكومة اميركا عهدت الى طبيب يدعى ماين في توليد البعوض الخاص بالملايا ليستعمل في لسع المصابين بهذا الضرب من الشلل لادخال الملايا في اجسامهم . ولكنه عمل حساباً فوجد ان توليد البعوض ونقله من مكان الى مكان يحتاج الى نفقة كبيرة تبلغ نحو ٤٠ جنيهاً للبعوضة الواحدة فارتأى ان يفعل ما يأتي : — بولد البعوض ويلوث بمجراثيم الملايا ثم يستعمله في لسع المصابين بهذا النوع من الشلل في منطقة ما ثم تنزع غدده اللعابية وهي الغدد التي تحتوي على مجراثيم الملايا ويبعث بها الى المراكز المختلفة فتستعمل مجراثيمها في حقن المصابين بالشلل بعد معالجتها بطريقة خاصة وهذا يوفر على الحكومة نحو عشرين جنيهاً لكل بعوضة لان اجرة نقل الغدد اقل جداً من اجرة نقل البعوض في اقفاص خاصة ، ولان ستين في المائة من البعوض الحي كان يموت في خلال النقل واما الغدد فلا تصاب بتلف ما

نشأة الفن الاسلامي

والجامع الكبير بالقيروان^(١)

لا محمد فكري

تكد تكون المساجد التونسية مجهولة لعلماء الآثار جهلاً تاماً ، فهي مغلقة في وجوههم لا يسمح لهم بزيارتها ، ولم يظهر من المسلمين من يعنى بقيمتها الفنية فيدرسها ويكتب عنها . ولكن احوالاً خاصة تركت جامع القيروان مفتوحاً لزواره من الأجانب ، وتساهل المسلمون من سكان القيروان فلم يحولوا دون زيارة معابدهم كما فعل سكان المدن الاخرى في تونس . ومع أن كتباً ظهرت حديثاً عن هندسة هذا الجامع وتأسيسه وبنائه وتاريخه فقد تبين لنا ان ما كتب عنه إما غير وافي وإما لا يطابق الحقيقة أو يشوبها . والسبب الاول في هذا أن جميع من تناولوا هذا الجامع بالبحث كانوا يجهلون المساجد التونسية الاخرى مع ما لها به من صلة وثيقة ، فهي تفسر ماغض منه ، ونجمل ما كان فيه موضعاً للشك . وقد اتيج لنا ان نكون أول من دخل هذه المساجد منقبين عن آثارها باحثين عن قيمتها الفنية . ولما كان لجامع القيروان شأن كبير ، لأنه أكبر الآثار الاسلامية في تونس وأقدمها ، فقد جعلنا من دراستنا له الجزء الاول من كتابنا الفن الاسلامي في تونس

وقد أسفرت دراستنا هذه عن نتيجتين : الاولى تاريخية . والثانية فنية

اتفقت آراء علماء الآثار الاسلامية على أن الجامع الذي اختطه عقبة بن نافع سنة خمسين للهجرة تهدم ولم يبق اليوم منه أثر . بل كان المتفق عليه أيضاً أنه لم يبق شيء من الجامع الذي أمر ببنائه هشام بن عبد الملك على انقاض جامع عقبة . وأن جامع القيروان القائم اليوم هو من آثار زيادة بن ابراهيم الاغلي وأنه يرجع الى عام ٢٢١ هجرية . ويصعب على الكاتبتن كرسويل — وهو آخر من كتب عن القيروان — ان يقرر أن مأذنة القيروان ترجع الى أوائل القرن الثاني للهجرة ويقول ان الوثائق التاريخية وحدها هي التي حملته على الاخذ بهذا

واذا كان مؤرخو العرب نقلوا الينا تاريخ هذا الجامع مشوّهاً بعض التشويه أو بالغوا كثيراً فيما نسب الى بعض الامراء من الاصلاحات والزيادات فيه ، إلا أن ابائنا التي تتبعناها على ضوء القواعد الحديثة لعلم الآثار قد أوصلتنا الى أن نجد بقية للجامع الذي اختطه عقبة بن نافع ، وأن

(١) تعمق الدكتور احمد فكري استاذ تاريخ الفن بمدرسة الفنون الجميلة في دراسة فن المعمار الاسلامي وطاف بلداناً عديدة باحثاً ومنقياً وقد وضع كتابين باللغة الفرنسية أحدهما في المسجد الكبير بالقيروان أحرز مقاماً عالياً بين الثقات وهذا ملخصه وقد وضع بارشاد المؤلف وأجري على لسانه

لحقق بقاء محرابه القديم ، كما أوصلتنا الى أن نثبت ان أسوار الجامع ترجع في بنائها الى عصر هشام بن عبد الملك في عام ١٠٥ هـ . لا إلى زيادة الله بن ابراهيم . وإلى هذا العهد يرجع أيضاً بناء بيت الصلاة ، واذن لجامع القيروان يعود في مجموعه الى اوائل القرن الثاني للهجرة وهو لهذا يمكن ان يعتبر من اقدم جوامع الاسلام القائمة ان لم يكن اقدمها جميعاً . وليس هذا معناه ان السنين التالية لم تترك فيه أثراً او لم تمسه بتغيير ، فقد افسح بلاطه الوسط ، وادخل على محراب عقبة محراب آخر جديد ، واقامت امامه قبة عالية ، وكان ذلك في سنة ٢٢١ هـ اي ٨٣٦ ميلادية في حكم زيادة الله . وبعد هذا التاريخ بأربعين عام في حكم ابراهيم بن احمد اضيفت الى الصحن زيادته ، واقامت فيه قبة ثانية مواجهة للقبة الاولى على انتهاء البلاط الوسط . ولكن جامع القيروان احتفظ بعد هذا التاريخ بشكله النهائي فلم تؤثر فيه الاصلاحات الطفيفة التي ادخلت عليه في العصور التالية

واوصلتنا ابحاثنا من الوجهة الفنية الى ان نحدد الفضل الذي يعود الى المسلمين في نشأة الفن الاسلامي ونهضته وتطوره . ولما كان لا يسع البحث في دقائق هذا الموضوع الا مجلدات ضخمة واعوام طويلة فقد قصرنا بحثنا على بعض نواحي هذا الفن الهامة

ان شكل الجامع وهندسته هما اول ناحية يتشخص فيها الفن الاسلامي . وقد كان المتفق عليه بين علماء الآثار المستشرقين ان ليس للمسلمين فضل في وضع هذا الشكل . وهم مجمعون على هذا الرأي الذي يعبر عنه الاستاذ فان برشم حين يقول : « لم يكن لرجال الفن المسلمين ولمهندسيهم الاولين وسائل للتعبير غير تلك التي كانت متبعة وقائمة في الفنون البيزنطية او القطبية او الساسانية او الهندية ولم يكن لمعابدهم الاولى انظمة واشكال غير تلك التي اشتقت او نقلت عن الآثار القائمة حينئذ في الممالك التي انتشر فيها الدين الجديد بعد الفتوحات الاسلامية »

غير ان التاريخ والدين والسنة وعادات المسلمين وحالة جوهم وطبيعة بلادهم ، غير ان هذا كله يتعارض مع اقوال المستشرقين ، ويدل دلالة واضحة على ان شكل الجامع يعبر عن فكرة اصيلة غير مشتقة ، بل ان وجودها عديدة تثبت اختلافه عن اشكال المعابد التي سبقت الاسلام

فمسجد الرسول في المدينة هو اول مسجد بني في الإسلام . ولم يكن هذا كما ادعى (كيتاني) وكما قال الكتابين « كرسويل » منزلاً خاصاً ولكنه كان بيتاً للعبادة اقيم لهذه الغاية ، وليكون فيه المسلمين مأوى من الشمس والمطر والرياح ، ومعزلاً من الطريق والضوضاء . واذا كانت في بعض اجزاء شكله ما يدعو الى الظن في مشابهته لما سبقه من الآثار ، فما هذا التشابه الا صوري لا يتفق مع الواقع ، ولا يظهر الا على الرسومات التي وضعها علماء الآثار بأحجام مختلفة ، يتضخم عليها ما كان ضئيلاً غير ملموس من الدقائق ، او يصغر عليها ما كان في حقيقته كبيراً

وهكذا استطاع مثلاً العلامة ديولا فوى ان يقرب ما بين محراب جامع قرطبة ومحراب الكنائس فانك ترى محراب هذا الجامع اوسع حجماً في صورة مكبرة وضعها الجزء منه ، حالة انه لا يكاد

يظهر في القطاع العادي الكبير للجامع اذان عمقه لا يتعدى جزءاً من خمسين جزءاً من طول الجامع ، اذ به يتضخم في هذه الصورة المضللة ويصبح جزء من عشرة اجزاء

واذا ضربنا مثلاً آخر يتصل بجامع القيروان فقد يكفيننا ان نعيد ما ادعاه كثير من علماء الآثار في اشتقاق صورة البلاط المتوسط فيه من كنائس افريقية البيزنطية. وقد يكون لهم حق في هذا الادعاء لو أننا رسمنا صورة الجامع القيروان يظهر فيها البلاط الاول مكبراً والمسكبة الاولى متسعة ، ونجرد هذه الصورة من ثلاثة ارباع بلاطات الجامع ومن صحنه ومن مأذنته ومن ابوابه وزياداته واسواره . فنخرج من هذا كله بشكل قد يتفق مع شكل احدى الكنائس . وهذه عملية تسهل على صحيفة من الورق او في خيال أحد المفكرين ولكنها لا تطابق الواقع ، ولا تجوز او لا تصلح ولا يمكن ان تتم في بناء قائم حي كجامع القيروان . واذا عدنا الى الحقيقة وجدناها صريحة لا تقبل النقص ولا تتحمل الشك . فقد بحثنا في جميع كنائس الارض علنا نعث فيها على مسكبة طولها ٧٧ متراً ، او نسبة طولها الى عرضها كنسبة طول المسكبة الاولى الى عرضها في جامع القيروان او ١٣ الى واحد فلم نجد أثراً لهذا ، او لما يقرب من هذا ، بل ولا لما يقرب من نصف هذا . وما سمعنا يوماً بكنيسة من الكنائس يراد ان تتسع فيزاد في طول مسكبتها ، وانما المتبع هو ان يزداد في طول صحنها ، فالكنيسة بناء لا يقبل زيادة من اية جهة كانت ، اما الجامع فعلى عكس ذلك ، ان شئت زدته اتساعاً من جنوبه او من شرقه او من غربه او من شماله

بين الجامع والكنيسة اختلاف في الشكل ، وبينهما اكثر من هذا اختلاف في الفكرة . ولا يقتصر الامر فيما نحن بصدده على تنظيم شكل او على ابتكار فكرة ، وانكن الذي يعنيننا هو اخراج هذه الفكرة الى حيز العمل ، هو هذا البناء القائم عليها . ولا شك ان بناء جامع القيروان نفسه هو اكثر ايضاحاً واشد حجة من كل ما كتبه عنه المؤرخون وعلماء الآثار

وكما ان الحاجة لا تدعونا الى وثيقة تاريخية نثبت بها ان اعمدة هذا الجامع وتيجانه رومانية قديمة أخذها العرب عن آثار مندثرة — فهي وحدها تنطق بذلك — فكذلك لا تدعونا الحاجة الى مثل هذه الوثيقة لنثبت بها الابتكار الاسلامي لما يعلو هذه الاعمدة من حدارات (impostes) وقُرم (tailloirs) وأقواس ، اذ لم يسبق ان استعملت هذه العناصر في تاريخ فن العمارة في مثل الوظائف التي تؤديها في القيروان ، ولم تتخذ قبل ذلك مثل الاشكال التي اتخذتها فيه . اما اوجه الشبه التي رآها فيها علماء الآثار مع اشكال اخرى كانت موجودة قبلها فهي لا تتفق مع روح الفنون ولا تطابق تطوراتها ، إذ لا يمكننا ان نقبل ادعاء يقول بأن القوس المتجاوز — ذا حدية القوس — كان مستعملاً في الهند وفي سوريا قبل استعماله في الفن الاسلامي لم تكن لبناء جامع القيروان غاية زخرفية عند ما فكر في اقامة هذه الأقواس والعقود وانما كانت كل عنايته متجهة الى تذليل الصعاب المعمارية التي ظهرت أمامه من دفع للقوى وضغط الانتقال ومقاومتها ، ومن اضاءة بيت الصلاة ، ومن اقتصاد في مواد البناء . كل هذه مسائل كانت تشغل فكره ولم يقابلها بمجموعة بناء قبله . كانت جديدة

في حدوثها وكانت الفكرة التي حلت صعبها جديدة أيضاً . فلم يسبق في تاريخ فن العمارة ان استعملت مثل هذه الأقوس المتجاوزة على حدارات مرتفعة . وهي وعناصرها تؤدي في جامع القيروان وظائف عملية عديدة منها اقتصاد في مواد البناء ، وزيادة في اضاءة بيت عميق خال من كل الفتحات الا تلك التي تصل اليه من الصحن ، وضغط أقل على الأعمدة ، ومقاومة أكثر بطرد الانحناءات ويجب أن لا ننسى انه من الخطأ أن نحكم على أثر من الآثار من ناحية واحدة فقط ، سواء كانت هذه الناحية في قطاعه السطحي وتنظيم رسمه ، أم كانت في بنيته الداخلة واقامتها ، أم كانت في كتلته ، أو في بنيته الخارجية ، أم كانت في زخرفته ومؤثرات اجزائه . واذا نحن اردنا أن ندرس أثراً من الآثار فلن تكون دراستنا مجدية ان نحن فرقنا بين ناحية وبين اخرى ، أو ان لم ندرسها باعتبار الواحدة منها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموع النواحي الاخرى . فاذا نحن أخرجنا منارة القيروان من الجسم التي هي عضو فيه ، فقد تتصل في شكلها الخارجي بالابرار السورية ، وقد تكون مأخوذة عنها ، كما قد تكون لقباب القيروان صلة بالقباب الفارسية ، ولدعائم أبوابه علاقة بدعائم الحصون البيزنطية ، ولكن هذه الصلة وهذه العلاقة لن تبقى قائمة اذا نحن أعدنا هذه الاعضاء إلى الجسم الذي كانت تعيش فيه ، ولن يجوز وجه للشبه بعد هذا ، وسرعان ما تتلاشى ذكرى هذه العناصر ليس جامع القيروان عبارة عن مجموعة من الأعمدة والعقود ، ولا هو قبة ، أو منارة ، أو مدخل ، أو اسوار ، بل ليس هو كل هذه العناصر متمشقة ، ولكنه جسم حي وما هي الا اعضاء فيه ، اذا هو عاش بها فهي تستمد حياتها من جسمانه ، ويانها المعنوي من كتلته وكيف لا نشعر بذلك اذا وقفنا امام مدينة القيروان ، فكأنها تمتد فسيحة مبطحة ليظهر فيها الجامع أكثر جلالاً وأسمى عظمة . بل ان المدينة كلها تكتسب عظمتها من هذا الجامع . وهل لا تتضاءل بعد هذا ذكرى الابرار السورية امام هذه المنارة المنبئة الاساس ، القوية التوازن ؟ ولم تستبهم القباب الفارسية أمام خفة قباب القيروان ورشاقة صورتها . ولم تتناقل وتغلظ الدعائم البيزنطية اذا قوبلت بدعائم القيروان التي تمد أسوارها بقوة فيها كثير من الجمال ، وتحيط مداخله برونق يحفه الجلال . لم تكن غاية دراستنا لجامع القيروان ان نصفه وصفاً دقيقاً في جميع اجزائه بل اردنا ان نثبت بها ان هذا الجامع كتلة واحدة لا تنفصل اجزاؤها وفكرة واحدة لا تتشعب عناصرها وان هذه الفكرة جديدة نهيات في وسط ديني اسلامي وخضعت للبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها ، وللوسائل المادية التي تكونت منها . وأردنا ان نحدد ايضاً الفضل الذي يرجع في ابتكار هذه الفكرة وفي اخراجها ، الى رجال الفن من المسلمين . فدلنا البحث على ان بئس القيروان كانوا مهندسين على علم واسع بكل دقائق الفن ، وذوق متسع لكل نواحي الجمال ، وتقدير منطقي لكل وظائف البناء وحاجيات بيت الصلاة والمصلين . وكفاهم خيراً وكفى عبقريتهم فضلاً أنهم تركوا في تاريخ المدينيات صفحة جديدة باهرة ، فأقاموا أثراً معمارياً اصيلاً في شكله وبنيته وكتلته ومؤثراته

احتضار الغرب

أو فلسفة القدر الحديثة^(١)

لعللى حسن الراكع

ليست الثورة الفكرية التي أحدثها شبنجلر بالتي تتسع لها عجلة صغيرة ، وهي التي هزت الفكر والفن منذ سبعة عشر عاماً ، وصدمت المؤلف حتى في أكثره بدهاء وجلاء ولقد فرغت من قراءته للمرة الثالثة وبلغتني أحداها لغة المؤلف . وهي اللغة التي لا مفر منها للوصول الى معاني شبنجلر الدقيقة وفهم العبارات والألفاظ التي صاغها لتأدية المعاني الجديدة التي ابتدعها ومهما يكن في آرائه الفذة من الشذوذ إلا أنها في مجموعها تقسرك على النظر الى الكون والحياة وتاريخ الانسانية والفنون والمجتمعات والمدنيات والثقافات نظراً كله جده وغرابة ، ولا يخلو من لذة ليس بعدها لذة

حقاً أن شبنجلر هو ذلك الفكر الذي حلق في أفق لم يكن الخيال ليحلم باحتمال ولوجها . إذ صدع فيه معاقل كانت لبداهتها وألفتها في مأمن حريز من النقد والاعتراض . نعم لقد قام بثورة قلبت أوضاع البحث الفلسفي والفنون وسائر الاتجاهات العلمية والأدبية . وعلى رأس ذلك البحث التاريخي نفسه . وكفأك دليلاً على ثورته الهائلة أنه اكتسح هياكل فكرية وفنية حتمتها القداسة مئات بل آلافاً من السنين . من المحتمل أنه تاه قليلاً أو كثيراً في ميادين بحثه الجديدة . ولكن يلتبس العذر لمن غزا فردوس عقلياً لم يطأه مفكر من قبل . يعذر أن فلت منه خاطر هنا أو هناك . إذ لن يمس ذلك عظمة إبحائه . وكفأك أنه نزع عن المنطق سلطانه المتين وعزاه من أسلحته التي مكنت له في الميادين العلمية . وأرانا كيف أن القدر هو المحرك الوحيد لأعظم الحوادث وأصغرها . كما أبان كيف أن الحضارات والمدنيات تسير في أدوار مرسومة لا مفر منها ، وأن الحضارة الغربية التي نشهد احتضارها الآن لا مناص لها من السقوط الذي قد بدأ . ومن العبث الانخداع بمظاهر القوة من أسلحة فتاك واستعمار . فذلك - وهنا أحد أوجه الغرابة - شأن السقوط في المجتمعات . ويستخرج لك شبنجلر من بطون الحوادث التاريخية القديمة والحديثة ما يقطع برأيه ويدعمه وأن عظمة شبنجلر لا تقتصر على هذه الثورة الفذة من الآراء الهادمة . بل أنها لتتجلى أيضاً في تلك المقدرة الإعجازية التي جعلت ذهنه الجبار يتسع لتلك الجبال الضخمة من المعلومات التي ضمها

(١) كتب بعد قراءة Oswald Spengler وهو مترجم الى كل اللغات الحية Der Untergang des Abendlandes

ولسقتها وتناولها في خفة وحذق . فهو يكاد يُلمّ بكل شيء . بمعظم اللغات الحديثة والقديمة . ثم بتاريخ كل أمة وحضارة — ثم بالعلوم والرياضيات بجميع أنواعها — ثم بالفنون الجميلة من بناء ونصير وموسيقى وشعر وأدب — واسكل أمة وحضارة . حتى الدين والفلسفة — وفي الهند والصين والازتيك (إحدى حضارات امريكا المتوسطة القديمة) — ثم — وهنا الاعجاز — قد هضم كل ذلك بقوة حتى أصبحت هذه المعلومات شطراً من نفسه وفكره . واخذ يتلاعب بتلك الكنوز ويقتنص بينها علاقات لم تخطر لذهن بشر — علاقات وارتباطات كلها طرافة وطلاوة — ليستعرض الحادث في مصر القديمة ، ويعطيك مقابله تمثالاً معيناً في مدينة اليونان القديمة ، ثم قطعة موسيقية في الحضارة الغربية الحديثة ، أو بسناً نضراً في زمن معين من تاريخ الصين وهو يفيض في عبارته كأنما قد عاش بين تلك المدنات ، ثم يستقرى سرها المدفون — كأنه — استغفر الله — مبدع تلك الفنون وخالق تلك الحوادث والاشخاص التي غيرت مجرى التاريخ . وهو في كل ذلك يرجع الى المنطق ليهدم المنطق . ويلجأ الى ذهنه الجبار وطريقته العلمية ليهدم بها الاسلوب العلمي المؤلف

وهو قد أرغم التاريخ على أن يبوح بسرّه لأول مرة . فتتجلى لك أروع الحوادث بلون جديد لا أثر فيه للسببية القديمة التي تخرج من الاسباب الى النتائج وتتجاهل الالهام والصدفة والعناية الالهية خذار من قراءة شبنجلر ان لم تكن واسع العلم ، عميق الاطلاع . فانه غير مفهوم للضحاح من المتعلمين ، والا فانك مضطر للرجوع الى المراجع والمطان بين كل سطر وآخر ، بل بين كل كلمة واخرى ، والى ذلك يرجع احد الاسباب في عدم ذبوع آرائه ذبوعاً يتفق وعظمته ، وكان يصح ان يؤلف كتاب شبنجلر في عشرة آلاف صفحة بدل الالف التي حصره فيها

واني اخشى ان يؤخذ شبنجلر على انه رجل فكير وخيال فحسب ويظن فيه عدم اتصال آرائه بالناحية العملية كالحلقة Ethical والاقتصادية والسياسية . فذلك وهم ، اذ انه ضرب في كل ذلك بسهم وافر . فهو كما علمنا كيف نقرأ التاريخ فانه هدى الملهد الى الايمان بالله . وعلمنا كيف تفكر وتأمل ونثق بالواقع اكثر من ثقتنا بالمعقول . وكشف لنا عن الميادين التي لا مناص من حصر المباحث العلمية والاجتماعية والفنية فيها . واليك احدى نواحيه وتحذيراته : ذلك ان الفلسفة والفن والالهام قد نزلت في هذا العصر عن عروشها . وان الفنان الان انما يحاول المستحيل لاحمال الروح الفنية من جسم الحضارة . وانه اولى بالتوجيه في العلم والتربية ان يتجه الى الناحية المادية والسياسية التي هي طابع هذا الدور في المدنية الغربية الحالية كما سنبين ذلك بعد

وقد طعن الداروينية في احد اساسها الهامة وهو التطور التدريجي مطابقة للبيئة . واثبت أن الانقلابات الهامة في تطور الكائنات والمجتمعات والانظمة والفنون والعلوم بل والعقائد انما كانت خاتمة املاها القضاء المحتوم كما يملها على نمو الفرد من الكائنات في تشكيل جسمه الى ان يصير تام الشكل .

والتكوين . وأثبت بأدلة جلية أن هذا القضاء هو الذي فصل فجأة وطفرة لا تطوراً وتدرجاً بين الجماد والحياة وبين النبات والحيوان وبين كل نوع والآخرو. وأن القضاء هو الذي حدد حياة كل فرد وكل نوع وكل حضارة . وفسّر بذلك عجز علم الحفريات عن الاهتداء الى هياكل بشرية تثبت التدرج بين الانواع السفلى للانسان وبين ظهور الانسان فجأة ، وعجز علم طبقات الارض عن الاهتداء الى السر في وجود تلك الطبقات المحدودة من التكوينات الارضية وكان أولى بها بناءً على النظرية القديمة التدرجية ان تكون الطبقات المذكورة ذات تدرج غير محسوس عكس الواقع ^(١)

وإن ما حصل له في كيفية وضعه مؤلفه التاريخي للدليل على صدق ما أتى به من ان الناس والمجتمعات مسوقة بدورة محتمة لا تدبير فيها للإرادة الذاتية والاجتماعية اذ انه لم يكن يرمي الى ذلك الفتح الذي أتى به والذي يُقر شبنجلر نفسه بأنه فلت منه عن غير قصد او تدبير . اذ كان في عام ١٩١١ يُفكر في وضع بحث عن الموقف السياسي واحتمالاته وكان يُحسّ ذنوباً الحرب العظمى بناءً على التقديرات . ولكن أفق البحث أخذ من تلقاء نفسه وبعصاً ساحر يتسع امامه حتى خرج به البحث من ميدان العوامل المحيطة الى العوامل المشابهة في العصور الاخرى ثم تشعب (حتى اتصل بحضارات اخرى) واذ ذاك (تكشفت له علاقات بين الحضارات) ومشاهاة في دوراتها لم يحلم بها الفكر من قبل . فأخذ يدرس العصور والحضارات بقنونها واديانها وآدابها واقلاباتها السياسية والاجتماعية مهتدياً بضوء جديد ارسلته العناية الالهية ، حتى نما شيئاً فشيئاً ذلك الصرح السحري الذي شيده شبنجلر والبناء الجديد الذي بنته فلسفته وإحاثته للكون بعد ان قضى على البناء القديم والاسلوب القديم الذي بنته به الفلسفة المألوفة

وكي تفهم شبنجلر لا بد من معرفة مدلول الفاظ ابتدعها لمعنى خاص يغلب عليها المقابلة والتضاد - اي ازواجاً متضادة منها الكينونة وبالألمانية Sein والضرورة وبالألمانية Werden . ويرى في الحالة الاولى رمزاً للجمود والتصلب والموت وفي الثانية رمز الحركة والالهام والحياة . والفراغ في نظره عنوان الجمود والزمن عكسه - فهناك منطق الفراغ الصامت الجامد وهو المنطق المألوف ومنطق الزمن الحي النامي وهو منطق شبنجلر الذي يتصل بالقضاء والتعاقب الزمني . وفي تدليل عجيب واستعراض لحوادث التقدم العلمي والفني يُريك الادلة الناصعة على ذلك ، فالتقدم في نظره يتغلغل في البيانات الميثولوجية والالهام الفني بعكس المنطق المألوف الذي تحجّر في اللغة الرياضية وجوهر بحثه يدور على محور الحضارات لا الشعوب ولا الامم ولا اللغات كما بحث هربرت سبنسر من قبل وضلّ في بحثه . اذ اثبت شبنجلر بالادلة القاطعة عدم وجود الفوارق الرئيسية التي ينص عليها علم الشعوب الحديث . ويرى ان (وحدة التاريخ انما هي الحضارات) ودليل على ان لها حياة محدودة

(١) اكتشف النباتي De Vries الهولندي في تجاربه النباتية ظهور نباتات بصفات جديدة لا مناسبة لها (فجأة) في حقل تجاربه . وكان ذلك دافعاً له الى تسجيل النظرية الغربية التطورية التي سماها The Mutation Theory

وادوار معينة من ميلاد الى شباب ثم شيخوخة وموت محتم. وقد حدد حياة كل حضارة بالف سنة،
 مثبثاً ذلك بأدلة قاطعة مطبقاً نظريته على سائر الحضارات المطروقة وغير المطروقة كالمصرية القديمة
 والهندية والصينية والعربية واليونانية والغربية (الحالية) حتى الامريكية القديمة (الازتيكية).
 لقد رأى شبنجلر ان المؤرخين درجوا على سنة تقسيم التاريخ الى قديم ومتوسط وحديث متأثرين
 بالزمان الحاضر والمكان القريب واللغة والقومية، قاذفين بالماضي البعيد الى نصيب ضئيل من العناية.
 فكان مؤرخو العرب مثلاً يرون في حاضر بلادهم من خطر الشأن ما دفعهم الى تقدير تاريخ البلاد
 الاخرى والماضي البعيد للبلاد العربية نفسها تقديرًا ثانويًا. وكذلك مؤرخو الفرنجة في العصر
 الحديث. فأنهم يجمعون تاريخ الامم القديمة جميعها في حيز ضئيل تحت عنوان العصر القديم ثم يبحثون
 تاريخ الامم الوسطى ناظرين اليه نظرهم الى المجتمعات غير الناضجة، ثم يتناولون التاريخ الحديث كأنه
 الكل في الكل. وقد تأثرت بهذه الوجهة النظرية جميع الابحاث والمناهج الموضوعية للتدريس. كما
 حصل في مصر من تخصيص دروس السنة الاولى الثانوية لتاريخ الامم القديمة جميعها

لم يكتف شبنجلر بهدم هذا الاساس بالنسبة للماضي والحاضر بل تخطى ذلك الى معجزة التنبؤ
 بالمستقبل قياساً على الماضي، لا كنتيجة لاسباب حاضرة فعالة، بل كمرحلة محتمة شأن الكائنات
 الحية تماماً اذ تستطيع ان تقدر ما يصيبها من تغيرات في تكوينها في اوقات معينة بحسب نوعها
 ويطلق شبنجلر كلمة اوقليدسي على التقسيم التاريخي المؤلف نسبة الى اوقليدس Euclid الرياضي
 الشهير حالة انه اطلق كلمة كوبرنيكي على نظامه نسبة الى كوبرنيكوس Copernicus واضع النظام الفلكي
 الحديث الذي فيه الكرة الارضية ذات شأن ضئيل في المجموعة الشمسية والنظام الفلكي عامة.
 وكذلك ابان شبنجلر ان العالم الانساني يصوره في تطوره حضارات متسلطة على كل العناصر الاجتماعية
 وان هذه الحضارات تخضع لناموس عام من النمو لا يفرق بين حضارة واخرى الا في الطابع الخاص
 الذي يميز كل حضارة عن الاخرى كما تتميز انواع الكائنات وافرادها بعضها عن بعض. فقضى بذلك
 على مكانة الحاضر والتأثر بالتاريخ القومي، تلك المكانة التي سيطرت على الابحاث التاريخية في كل العصور.
 وعلى هذا الاساس او قل على هذا البناء الجديد الذي شيده شبنجلر للتاريخ استطاع ان يقوم بمعجزة
 وضع الوان العمران بانواعها المختلفة في مكانتها الطبيعية، فكشف لنا عن سر تقدم الفنون الجميلة في
 عصور معينة وانحطاطها في عصور اخرى، كما ارانا سر التطورات السياسية والاجتماعية والعلمية غير
 تارك ظاهرة دون ان يزيل عنها ذلك الغموض والخلط اللذين تسلطوا على الابحاث الى عصرنا هذا وهي
 مما لا يطمئن اليه الحكم والتدليل. وبذلك تكشف لنا التاريخ عن مظهر جديد، فاذا بتاريخ الامم
 المنفصلة والفنون والعلوم المستقلة بعضها عن بعض اوهاماً، وأصبح هناك فن وعلم ورياضة
 Mathematics وفلسفة خاصة بكل حضارة. وأصبح القول بتاريخ فن النحت او التصوير او

الموسيقى او البناء خرافة من الخرافات اذ لكل منها في كل حضارة روح خاصة غير متصلة بروح الحضارة الاخرى

وقد اتى باكتشاف رائع اساسه تحديد جلي للفظين لا يزالان مختلطين في ميادين البحوث وهما Culture و Civilization ودعنا نسمي الاول حضارة والاخير مدنية . فالحضارة « Culture » هي الاصل . وهي التي يطلقها على الدورة جميعها . وهي التي تُسَنع وتبلغ عز اِزهارها في شباب الدورة كالمصرية القديمة في عهد الاهرام والحضارة الغربية في القرون الوسطى . اما ذلك التقدم المادي الحالي الذي يخدع المؤرخ فيتصوره اوج الحضارة ، ألا وهو العمران العظيم والتقدم الاقتصادي والاستعماري والآلي فقد دلل شبنجلر على انه رمز الموت والفناء وهو الذي اطلق عليه شبنجلر كلمة مدنية « Civilization » وهي المرحلة الاخيرة للحضارة كالحالة التي بدأت تسيطر على الحضارة الغربية من القرن التاسع عشر وستفنيها حتماً . فالحضارة الشباب ، والمدنية الكهولة والشيخوخة وفي الحضارة تزدهر الروح الفنية وتكون على اشد خصوصيتها فتظهر روح الفن الاصيلية ويتجلى طابع الحضارة وتتخذ رموزها شكلها الخالد الذي يختلف بين كل حضارة وأخرى . ويكون المجتمع محوره المدن الريفية الصغيرة التي تسيطر عليها حياة الاشراف ورجال الدين مثل الريا وانطاكية في المدينة العربية وبروج ونورنبرج في الغربية . وفيها تنشأ الفنون لا كحرف شأن المدنية بل ينطق بها الفنانون الملهمون . أما المدنية ففيها يجذب الفن ويصبح عقيماً منحصراً في افتراض الرموز والاساليب والزخارف التي انحدرت من عصر الحضارة بعد ان فقدت روحها واصبحت هياكل ميتة . وفي الوقت نفسه تتقوى الناحية العقلية Intellectual وتسيطر على المدنية . فتنشأ الوان المذاهب الاجتماعية المبنية على تنظيم جديد للمجتمع اساسه المصالح المادية كالاشتراكية والدولية والشيوعية . وهنا يأتيك شبنجلر من تاريخ مصر القديمة وبلاد الصين والهند بما يثبت وجود ذلك كما هو واقع الآن في المدنية الغربية . وفي هذه المرحلة تنشأ المدن الكبيرة الهائلة « Megalopolis » وتصبح الأخلاق مادية ويضعف الايمان وتضمحل سلطة الاديان ويقضي على الميزات القومية في الفن والحياة

ويخضع شبنجلر تاريخ الامم العبرانية والعربية والفارسية والبيزنطية وسائر امم الشرق في القرون الاولى قبل الاسلام وبعده الى حضارة واحدة اطلق عليها الحضارة العربية . كما وضع تاريخ روما في مكانه الطبيعي كمرحلة المدنية Civilization المتحدة للحضارة الاغريقية التي بدأت في المسدة الواقعة بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ قبل الميلاد . وفيها نشأت الاليادة . ورأى في تاريخ روما الاخير وبيزنطة روحاً عربية . وابلان كيف كان الامبراطرة الرومان والبابوات في القرون المسيحية الاولى يأتون بصناع وفنانين من الشام وبخاصة بيروت لينبوا الكنائس في روما والقسطنطينية وبعض المدن الاخرى في ايطاليا وجنوب فرنسا وهي كنائس متأثرة بروح المساجد ذات القباب اي خاضعة للفن

العربي . وكذلك عند تحول كنيسة ايا صوفية الى مسجد لم يحصل اي تغيير وانما وجدت المدينة العربية ابنها المفقود !

ويرى شبنجلر ان الحضارة الغربية قد اجذبت وافرغت جعبتها الفنية كما تمخضت الحضارة المصرية عن الطريق المرسوم والمومياء وغيرها من رموز الاستمرار والخلود . كذلك تمخضت الحضارة اليونانية عن التمثال العاري . والحضارة العربية عن الكيمياء والجبر والقباب . والحضارة الصينية عن البستان والجمال في الطبيعة كرموز لروحها . ولم تكن هذه الرموز مجرد اتفاق وانما هي تعبير جلي للروح التي تغلغت في الحضارة ونطقت عن لسانها . فهو يرى ان الحضارة المصرية حضارة بناء تسيطر عليها روح شاعرة بالزمن متجهة في خط مستقيم الى غاية معينة مقشبة بالخلود ورمزها التحنيط والهياكل الخالدة . وعلى الضد من ذلك الحضارة اليونانية والهندية التي تجاهلت الزمن فقضت بأعدام الاجسام حرقاً بالنار في طقوسها الدينية عند الموت ، ولم تكثرث للعناية بالتنقيب عن الآثار المدفونة في بقايا اثينا عقب احراق الفرس لها ولم يعن باستخراجها الا ممثلو الحضارة الغربية في العصر الحديث . اذ ان الحضارة الغربية الحالية كالمصرية من حيث استيعاب الزمن واحترامه . ويرى شبنجلر في حضارة الغرب الاولى المتجلية في كاتدرائياتها المحلقة في الفضاء والانهاية موسيقى متحولة الى البناء بتأثير بقايا المدنية الكلاسيكية « اليونانية القديمة » المحيطة بوطنها . وعلى ذلك يرى في الموسيقى طابع هذه المدنية الحالية وانها لم تتمكن من الانطلاق الطبيعي « اي الى الموسيقى » الا في أخريات حضارتها على يد الفنانين العظماء كموزار وبيتهوفن وآخرهم فاجنر . ولا يتصور احد مقدار الروعة لهذه الموسيقى لو تمكنت من الانطلاق في شبابها بدل الاختناق في ذلك الرسم البنائي Architectural

أما الفنون في عصر المدنية فانما هي حِرَف ، ان كان لها جمال فهو جمال مصنوع او مركب اقرباذيني عديم الروح والسحر شأن البناء والموسيقى والادب في العصر الحالي . فلا نجد طابعاً خاصاً يميز انتاج الفنان وانما هو تشكيل من سائر الاساليب التي انتجتها الحضارات الاولى بما فيها الحضارة الحالية . خذ بناء من الابنية الشهيرة التي تشيد او قطعة موسيقية حديثة فانها تثبت ذلك وهي لن تبقى وتخلد . ومن ذا الذي يطمئن الى هذه الفلسفة التي قسرت ذلك الانتاج لمتحول الذي طغى علينا في هذا الاوان وهو انتاج عقيم لا روح ولا خلود ولا قيمة فيه ، شأن الادباء الحاليين الذين غمروا الاسواق مسوقين بدوافع الكسب والطاية وتعروا من سمو الالهام والعبقرية وتتأثر الحضارات في ميلادها واثناء دورتها بالحضارات المحيطة نائراً مادياً لا روحانياً . وكثيراً ما تدثرت بزي غريب مأخوذ من المدينيات القائمة كما تأثرت الحضارة العربية بالمدنية الرومانية « التي هي المرحلة المتمة للحضارة اليونانية كما سبق الذكر »

ولذلك كشف شبنجلر عن سر قد خفي الى الآن . هو ذلك التناقض الذي وقع فيه فلاسفة الحضارة العربية بعد دراستهم الفلسفة اليونانية . ذلك أن روح المدنية العربية القائمة بالازدواج

والخلفاء والروحانية لم تكن تتصور الفلسفة اليونانية الفردية المجسمة تصوراً أميناً . ولذلك كان عبثاً من الفارابي وابن رشد وغيرهم التوفيق بين آراء افلاطون وارسطو من ناحية والفلسفة العربية المحضة من ناحية اخرى لانهما لغتان غير قابلتين للترجمة . وكذلك المدنية الغربية منذ عصر النهضة الى الآن فانها لا تدرس المدنية اليونانية وانما تدرس روحاً غربية في شكل اكلاسيكي وكما تتدثر الحضارة بزي حضارة اخرى في احدى مراحلها كذلك قد تقتل قتلاً او تبقى بحالة جامدة لا حياة فيها . فالحضارة الازتيكية كانت في عنفوان شبابها ابان اكتشاف اميركا وغزوة الاسبان لها ، ولكن جاءت تلك الغزوة فسحقت تلك الحضارة ولم تبق لها على اثر . اما تحجر الحضارات اي بقاؤها جامدة لا حياة فيها بعد عمرها المحدود فهو يصيبها في اواخر ايامها على هيئة النظام الامبراطوري اي عقب انتهاء المدنية كما اصاب المدنية الهندية والصينية والعربية التي ظلت مئات السنين في مواطنها

ويرى شبنجلر ان لكل حضارة رياضة خاصة « Mathematics » . وان الرياضة — وهنا العجب واللذة — انما هي تحجر للصور التي تمحضت عنها الحضارة وانها لا تتكون وتستقر في صورتها الثابتة الا في اول عهد المدنية . فالرياضة من رموز الموت ويرى في العدد رمز الحضارة اليونانية والهندية ، وفي الجبر — اي العدد غير المحدود — رمز الرياضة العربية ، وفي حساب التفاضل والتكامل « Calculus » اي الوظيفة العددية رمز الرياضة الغربية بروحها اللانهائية

وعلى اساس هذه الابحاث اصبح شبنجلر يطلق « المعاصرة » على معنى جديد يتخطى الازمان والاحقاب وينصب على مكان المعاصر في مرحلة تطور الحضارة . فهو يرى ان بوذا في الحضارة الهندية يقابل سقراط في اليونانية والكندي في العربية وروسو في الحضارة الغربية . ويحدرك من التشابه السطحي كما بين الاسكندر واغسطس قيصر اللذين يختلفان اختلافاً كبيراً . كما انه يجعل افلاطون معاصراً للفارابي في المدنية العربية وجيته Goethe في الغربية

وليس من الممكن التعرض لكل ما اتى به شبنجلر من آراء فذة في مقال بسيط كهذا . ولكن ما يمكن استخلاصه من قراءته هو انه رجل هادم لآمن العقائد والمذاهب الفلسفية . لم يبق على علم او فن الا اتصل بأعمق اغواره ثم اخذ معوله الجبار وانقضّ تهشماً وتحطيماً فلم يترك فلسفة ولا عقيدة ولا علماً الا وعراها . ونزع عن المنطق سلطانه على الابحاث بعد ان اكتشف في القدر لغز الوجود ، وابان كيف يلعب القدر بالعقول والاحكام ، وكيف ان النظريات التي اتت بها الفلسفة متقيدة بالمكان والزمن ان هي الا اوهام . كما بين ان القوانين العلمية والاخلاقية والرياضية ايضاً اوهام تبرز في عصر المدنية . اذ ان لكل شيء بداية ونهاية يمليهما القضاء والقوة الخفية التي تحرك الكون . وكذلك بعد ان فرغ شبنجلر من تحطيم كل شيء استطاع ان ينتحي ناحية من هذا الكون المحطم وان يستضيء بالهامه فيبني كوناً آخرأ على نسق لم تألفه العقول البشرية

تاريخ الديموقراطية

في الصحة والعلاج

للمدكتور محمد خليل عبد الحامد بك^(١)

اريد في مستهل الكلام ان ازيل لیساً قد تعلق بمعنى الديموقراطية عند استعمالها مقرونة بتاريخ الطب والصحة العامة . فقد وضعت كلمة الديموقراطية في الاصل للتعبير عن « حكم الجمهور » . ثم تغير المقصود منها على تعاقب العصور وبحكم الاحوال حتى صار يقصد به « المساواة » في العرف الشائع . فاذا استعملنا هذا الاصطلاح في بحثنا هذا فانما نقصد به « حق التمتع بالصحة والعلاج » ولا ينبغي ان المساواة المطلقة في الصحة والعلاج تكاد تحسب في جملة المستحيلات . اذ اننا نولد على درجات مختلفة من الاستعداد الصحي ومتانة التركيب . وعلى ذلك يكون المقصود من معنى الديموقراطية هو توفير الوسائل الضرورية للعلاج وصون الصحة لمختلف افراد الشعب . وبالطبع لا يتعارض هذا مع قدرة البعض على استشارة اكفاء الاطباء واغزهم خبرة وعلماً ، ودفع نفقات العلاج بأحدث الآلات وأنجع الوسائل في التطبيب والسكنى في اصح الجهات مناخاً وفي انخم المنازل بناءً مما لا يتيسر لعامة الناس

ان حق التمتع بالصحة هو في الواقع جزء لا يتجزأ من الحرية الشخصية التي تعتبر في عصرنا هذا من الحقوق المطلقة لكل انسان . لم يتمتع الانسان الاول في فجر التاريخ بالصحة ، ولم ينعم بحق المعالجة من غير مقابل ، كما ينعم بالهواء ونور الشمس ، بل كان هذا مقصوراً على من يحبوهم رؤيس القبيلة بعطفه ويخصهم برعايته واثاره ، فقد كان هو الطبيب المعالج كما كان المتصرف في الادوية . ولا يزال هذا شأن رؤساء القبائل في مجاهل افريقيا . ثم انتقل الطب من دائرة اختصاص زعيم القبيلة الى طبقات رجال الدين ، فكان هؤلاء يضمون الى معالجة الارواح معالجة الابدان والعناية بصحتها . وكانوا يبذلون خدماتهم الطبية والصحية لقاء ما يقدم اليهم من قربان وهدايا . وعلى هذا لم تكن فرص العلاج تتاح الاً للاغنياء واصحاب السلطة والنفوذ بقدر ما كانت بعيدة عن متناول الجمهور وفي هذا العهد كان الطب ضرباً من الشعوذة والتعاليم الدينية الساذجة وخليطاً من الصلوات والتعاويد والتبرك بالآلهة والاصنام وتقديم قربان وما هو على سبيل ذلك ومازلنا في وقتنا هذا نرى في الشعوب الهمجية ان التطبيب يدخل في اختصاص رجال السحر

(١) استاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير معهد الابحاث ومستشفى الامراض المتوطنة بمصلحة الصحة . وما نشرناه هنا هو الجانب الأكبر من احدى المحاضرات التي القاها في ردهة يورت بجامعة القاهرة الاميركية

والشعوذة ... وما زال آثار هذا العهد ملحوظة في اعرق الامم مدنية ، ففي برلين وباريس ولندن افراد يعالجون اليوم بالتأمم والتنجم ويقصدهم افراد من ارقى الطبقات كما هو الحال في قرى مصر وفي القاهرة ، وتلك بقية من عهد بائد كان المرض فيه منظوراً اليه على اعتبار انه روح شريرة استولت على الجسم ، ولا يخرج هذه الروح الخبيثة غير السحر ، وبعد ذلك اتيج للطب في مصر الفرعونية ان يخرج من الظلام الى النور وينتقل من ايدي الكهنة الى رجال يحترفون مهنته ، ووضعت لهم اسس علمية ما زال الكثير منها قائماً الى اليوم . ومن مصر الفرعونية القديمة انتقل الطب الى اليونان فالرومان . وفي القرن الخامس قبل الميلاد كان نفر من الاطباء المتجولين يحوسون خلال القرى في اليونان ويعالجون من يشاء . ولعل هذا اشبه بالحركة الجديدة التي فشت في السنوات الاخيرة في كثير من الممالك على صور مستشفيات متنقلة وسيارات مجهزة كأنها عيادات متحركة وحدث ان الجماعات الممتازة الغنية في اليونان القديمة كانت تحتكر طبيباً يقيم بينها ويختص بها دون سواها . لكن الى ذلك العهد كان التطبيب مقصوراً على الاغنياء القادرين على دفع الثمن . اما الفقراء فكانوا يعالجون بطب الركة او الوصفات البلدية التي هي مزيج من التعاليم الطبية والشعوذة واهتم الرومان بصحة عبيدهم لانهم كانوا مصدر ثروتهم . فحرصاً على دخلهم اقاموا مستشفيات خاصة بالعبيد . وقد كان سيدنا موسى عليه السلام واضع الاساس في الطب الوقائي عندما شرع بأن الراحة والطعام والماء والامراض المعدية هي من أهم واجبات المملكة . ثم بزغ نجم السيد المسيح عليه السلام ، ومن تعاليمه التي بها « ان المرض علامة على رضى الله على عبده » ومن اجل ذلك تبارى الاتقياء من المسيحيين في ايواء المرضى والاتفاق عليهم بسخاء في معاهد خيرية وعلمت البوذية معتنقيها ان العطف على المرضى من صفات البررة واهل الورع . واوصى الاسلام وحث على العناية بالمرضى وبذل المعونة لهم وابوائهم ومؤاساتهم . فكان من أثر هذه التعاليم المباركة من جانب جميع الاديان ان كثرت المعاهد الخيرية كما رى في الاوقاف المحبوسة على صنوف البر والاحسان والتكاي والمستشفيات المجانية . وسار الحال على هذا المنوال متروكاً لارحية الاتقياء البررة من اهل الديانات المختلفة الى سنة ١٨١٨ . ففي هذا العام بدأت حركة لتعميم الانتفاع بخدمات الاطباء لكافة السكان بلا تمييز . وشرح ذلك ان دوقية (ناسو) في المانيا سنت قانوناً يقضي على الاطباء ان يرتدوا ملابس خاصة تميزهم عن بقية السكان حتى تسهل الاستعانة بهم ويتيسر الانتفاع بطبهم . ثم بدأ العلامة الباثولوجي رودلف فيرشو في سنة ١٨٤٨ حركة واسعة النطاق لاصلاح الطب ، وبلغ من حماسه لفكرته ان أصدر مجلة باسم « اصلاح الطب » واساس هذه الحركة هو الديموقراطية في الطب ، أي حصول كل فرد على نصيبه في العلاج كحق وليس كاحسان ، وللأسف كان الاخفاق نصيب هذه الحركة

وفي سنة ١٨٧٨ حدثت مؤامرة في المانيا على حياة غليوم الاول أدت الى حل الحزب الاجتماعي

الديمقراطي . لكن بسمارك رأى بحصيف رأيه ان تيار الاصلاح الاجتماعي لا تكفي الشدة وحدها لصدده . فأصدر قانون التأمين الصحي الاجباري في سنة ١٨٨٣ ، فلم يصادف ما يستحقه من حسن القبول لصدوره من الهيئته الحاكمة . اذ ظن الجميع ان هذا القانون اريد به مقاومة نقابات العمال . لكن سرعان ما حذت الدول الاخرى حذو المانيا

وهذا القانون يضمن للعامل المعالجة وان يتقاضى مرتباً يومياً اثناء المرض او عندما يتعذر عليه ايجاد عمل . على ان هذا القانون لم يجعل تنفيذه الزامياً الا في سنة ١٨٨٩ . وفي سنة ١٨٨٨ سنت النمسا قانوناً يشبهه ، والمجر في سنة ١٨٩١ ، وبريطانيا العظمى في سنة ١٩١١

والقانون البريطاني يطبق على العمال بين سن ١٦ وسن ٦٥ سنة ممن يقل دخلهم عن ٢٥٠ جنياً في العام ، على ان يكونوا غير موظفين في الحكومة او في هيئات تدبر لهم معاشاً للتقاعد وعلاجاً اثناء المرض . ويدفع العامل ٣٦ ملياً في الاسبوع ، وتدفع المرأة العاملة ٣٤ ملياً في الاسبوع ، وصاحب العمل ١٨ ملياً في الاسبوع ، وتدفع الحكومة تسعة مليات عن كل عامل وعشرة مليات عن كل عاملة في الاسبوع ، وبمقتضى هذا النظام يتمتع العامل بالفحص والعلاج مجاناً ، ويتقاضى ٧٥ قرشاً في الاسبوع اثناء مرضه في حدود مقررة ، وتأخذ المرأة ٥٢ قرشاً في الاسبوع

ويتقاضى الطبيب ٤٥ قرشاً عن كل شخص مؤمن عليه ، ومعدل ايراد الطبيب من هذا المشروع في انجلترا يبلغ ٢٥ جنياً في الشهر ، اذ ان عدد هؤلاء الاطباء بلغ ١٥٧٦٤ طبيباً في سنة ١٩٣٢ ، وبلغ عدد الاشخاص المؤمن عليهم ١٥٨٠٣٠٠٠ شخص

واذا درسنا الحال في اكثر البلاد ديمقراطية من الوجهة الطبية — مثل امريكا و المانيا وانجلترا — وجدنا ان هناك عناية شديدة بأفراد الجمهور على مختلف طبقاتهم ، وكان ذلك نتيجة للتطور الاجتماعي الحديث وشعور الطبقات العاملة بمكانتها في المملكة . اما في الممالك الاخرى — كالتي لم تبلغ حركات العمال وطبقات الشعب الفقيرة فيها شأواً بعيداً في المطالبة بالاصلاح الاجتماعي — فنجد ان هذه الممالك نفسها حذت حذو البلاد السابقة ، فوفرت للعامل والفقير الكثير من وسائل العلاج والمحافظة على الصحة ، ويرجع هذا الى الامور الآتية : —

اولاً — ان العناية بصحة الافراد الفقيرة من الشعب لها اكبر التأثير في كثرة السكان ، وبالتالي في قوتها الدفاعية في الحروب وغيرها ، وهذا موضع عناية القائمين بالحكم في اكثر الممالك ثانياً — ان الامراض التي تتفشى بين الطبقات الفقيرة لا يمكن حصرها بينهم ، ولذلك فالطبقات الحاكمة والغنية « تقاوم الامراض خوفاً من انتشارها واصابتهم بها ، ومن ذلك المحافظة الصحية على حدود المملكة حتى لا تتسرب اليها الامراض المعدية البائية

ثالثاً — توفير سبل العلاج للطبقات الفقيرة قبل ان تطالب بعمل حكيم تهدئة الحركات الاشتراكية والشيوعية قبل ان تستفحل وتؤدي الى ثورة على النظم تخرج بها عن الحدود المعقولة

فالعناية بالصحة في جميع الممالك المتمدينة سارت شوطاً بعيداً في طريق الديموقراطية الحققة ، وذلك ما يتميز به القرن الماضي والقرن الحاضر في تاريخ المدنية . ويتبين ذلك على الخصوص في توفير الماء الصالح للشرب ، والتخلص من الفضلات ، وتحسين المساكن ، ومراقبة الاغذية ، ومقاومة الأمراض المعدية

فالماء الذي نشربه من أهم مصادر العدوى اذا لم يكن نقياً جداً . فياه النيل في مصر وكذلك مياه الترع ملوثة جداً ببراز الانسان والحيوان من آلاف الفلاحين الذين يشتغلون في المراكب فهم يتبولون ويتبرزون فيه عدا ما يغسل على الشواطىء من الأواني والملابس القذرة الملوثة ببول وبراز الانسان المريض والسليم ، ومن يتبولون ويتبرزون على الشاطىء ويستحمون فيه ، فاذا شربت هذه المياه على حلالها كانت مصدراً كبيراً للعدوى بالأمراض خصوصاً الحمى التيفودية والزحار (الديسنتاريا) والكوليرا . الخ فاذا ما تفشى أحد هذه الامراض في منطقة انتقل بسرعة الى جميع من يشربون هذه المياه الملوثة

ففي المدن الكبرى في القطر المصري وفي جميع المدن والقرى في اكثر الممالك الأوربية ينقى الماء تنقية ميكانيكية وكيميائية بحيث يكون خالياً من شوائب الامراض ويوزع على جميع افراد الجمهور من دون تمييز بينهم بأجر قليل أو بالجان ، ومن الخطأ ان يكون الماء احتكاراً للشركات التي تستغله للكسب بل يجب أن يكون من الاعمال التي تقوم بها الحكومة من الضرائب العامة

ولعل الرجل العادي في مدينة القاهرة لا يدرك ان الماء الذي نشربه الآن لم يتمتع بمثل الملوك والامراء في العصور السابقة ولا يتمتع به الفلاح في القرى المصرية بعد . ولعلكم تعرفون ان هناك بعض الجهال في مدينة القاهرة يذهبون الى النيل لاحضار مياه الشرب مفضلينها على مياه الحنفيات ويقولون انها (مياه بخيرها) ولا يدركون ما بها من المرض ، وهذا يشاهد كثيراً في شهر رمضان حيث تباع الزلع الملاى بمياه النيل على العربات في الاحياء الوطنية ، وهذا مثل من فرض الديموقراطية على الجمهور الذي لا يقدر فوائد هذه الاعمال

والقانون في البلاد الانكليزية يحرم السكنى في منزل لا توجد به المياه الجارية من الحنفيات فيسمى في عرف القانون « بيت لا يمكن سكناه » وأما في القاهرة فهناك منازل كثيرة محرومة من المياه الجارية وذلك لان قيمة اشتراك المياه اكثر مما يسع الفقير دفعه وأما القرى المصرية فلا تزال محرومة من المياه الصالحة للشرب الذي يقي السكان غائلة كثير من الأمراض

والتخلص من الفضلات له المقام الثاني في المحافظة على صحة السكان بدون تمييز بينهم ، وهذا أيضاً من الاعمال التي تقوم بها الحكومات أو البلديات لصالح جميع أفراد الجمهور ، وخير تلك الطرق اما بنقل المواد البرازية في الحال من المساكن الى حيث تعالج حتى تستحيل الى مواد غير ضارة

وأنافة في الزراعة أو الصناعة ، وهذا ما يشاهد في عملية المجاري
أما فضلات الأكل وما يتخلف عن كنس المنازل والطرق فيزال بجمعه ونقله بسرعة ،
وما زالت القرى المصرية محرومة من كل هذا ، فالفلاح يعيش بين فضلاته وفضلات المواشي في
جو لا يطاق ، عدا خطره على الصحة ، ومن الديموقراطية الحق أن لا يترك على هذه الحال
وأما تحسين المساكن فقد جرى شوطاً بعيداً في الامم الحديثة ، فقامت الحكومات ببناء آلاف
من المنازل الصحية وآوت إليها الفقراء باجر قليل فوقتهم ووقت باقي افراد الامة شر الامراض العديدة
والضعف الصحي الذي ينتج عن المساكن الغير الصحية

وقد عملت تجربة من هذا القبيل في القاهرة ، فبنيت مساكن للعمال في مكان تل معمل البارود
القرب من كلية الطب ، ولكن تبين فيما بعد ان العمال لا يمكنهم اداء ايجارها المرتفع ، فسكنها
الآن بعض الموظفين ، وذلك لان العامل في البلاد الاوربية يمكنه ان يسكن في منزل صحي وان يدفع
اجاره باعتبار الفوائد المعقولة بالنسبة لرأس المال الذي تقتضيه ، ولكن العامل في مصر لا يمكنه في
الوقت الحاضر ان يقيم في منزل صحي ويدفع فوائد رأس المال الذي يتكلفه ، فهو لا يكسب في
التوسط اكثر من خمسة قروش في اليوم ، اما في القرى فالعامل يشتغل في الوقت الحاضر بقرشين
ونصف القرش ينفق منها على جميع ضروريات الحياة له ولزوجته واولاده الصغار فلا يمكنه ان ينفق
على المسكن اكثر من نصف القرش في اليوم اي ١٥ قرشاً في الشهر او ١٨٠ قرشاً في العام ، وهذا
المبلغ يعتبر فائدة لرأس مال قدره ٦٠ جنيهاً باعتبار ٣ في المائة اذا ضربنا صفحاً عن القدر اللازم
لاصلاح المنزل والمحافظة عليه ، ولا يمكن في الوقت الحاضر اقامة مسكن صحي بهذا المبلغ ، ولذلك
لا رجى اصلاح في مصر ما لم تزد اجور العمال ، ومن الخطأ اعتبار هذه المساكن منحة لسكانها بل
في مساعدة لهم ودفعاً للاستغلال الغير المشروع عنهم

واما مراقبة الاغذية واعدام غير الصالح منها فهو عمل اساسه منع الضرر عن جميع الافراد من دون
تمييز بينهم ، ومن الاسف ان تنفيذ القوانين الخاصة بذلك لا يلقى للآن العناية الواجبة في مصر
وذلك لان الافراد انفسهم لا يقدرون قيمة هذا العمل بل يقبلون على شراء الاشياء التالفة من
الواد الغذائية طمعاً في قلة ثمنها ولكن فاتهم مقدار الفائدة العظيمة التي تعود عليهم اذا كانت المواد
جيدة خصوصاً في المواد السهلة التعفن مثل اللبن وهو قوام حياة الاطفال والمرضى والناقلين

ومقاومة الامراض المعدية والابوثة من اجل الخدمات الديموقراطية التي تؤدي في الوقت
الحاضر ، فقد اصبح الجدري مرضاً نادراً ، وقد كان الى عهد قريب لا تغيب ذكره عنا لكثرة
الافراد الذين تظهر على وجوههم آثاره والتي لا تزول حتى الممات ، وكذلك الكوليرا التي كانت تؤدي
لجأة الالوف من السكان ، فكثيرون من الحاضرين لم يروا احوالها ، وكل ذلك بفضل الاحتياطات
الصحية ومقاومة الابوثة في مبدئها بدون تفريق بين افراد الامة ، فالمرض بطبيعته لا يفرق

بين الافراد . فهناك المحافظة الصحية على الحدود وفي الموالي وفي المطارات وفي مديريات القطر وهي على استعداد دائم للعمل حالما تظهر حالة مرض وبائي . فيتغلبون على الداء قبل استفحاله . وهناك عدد وافر من المعازل الصحية ومستشفيات الحميات والكوردونات لعزل مثل هذه الحالات والعناية بها والمحافظة على سائر الافراد من انتشار العدوى بينهم . وعلى هذا نرى ان تعاليم سيدنا موسى القيمة من الوجهة الصحية قد صار تنفيذها على شكل ديموقراطي واسع النطاق في عصرنا الحالي وقد تكملت باكثر قسط من النجاح . فكان من تأثير الاعمال الصحية الكبرى في الامم المتحضرة ان طال متوسط عمر الافراد جميعاً سنوات عديدة بدون تمييز بينهم وقلّت نسبة الوفيات بين الاطفال جميعاً لا فرق كبير بين مختلف الطبقات في ذلك ، وهذا اكبر دليل على ديموقراطية الصحة في العصر الحالي وآخر ما وصلت اليه الحال في ارق البلدان الأوربية من هذه الوجهة ان العناية بصحة أفراد الشعب تبدأ عند التفكير في الزواج ، فلا يصرح به الا اذا كان الزوجان خاليين من الأمراض التي يمكن أن تنتقل الى الذرية، بل قد شرعت المانيا اخيراً في تعقيم افراد الشعب المصابين بأمراض تؤثر في نسلهم كخير وقاية للمجموع من انتاج نسل شرعي أو غير شرعي مصاب بأفات تجعله حالة أو مصدر خطر على باقي أفراد الشعب . فاذا حملت المرأة فقد أعدت لها مستوصفات للعناية بها ودرء ما يحدث للحامل من المضاعفات أو الحوادث . فاذا جاءها المخاض تولى أمرها قابلات أو اطباء على حساب المملكة حتى يتم الوضع وتنهض الام . أما الطفل فيتولى أمره مركز رعاية الطفل حتى يبلغ الخامسة من عمره . فيجبر على الانتظام في مدرسة، وهناك يكون تحت رعاية اطباء المدرسة وهم عديدون على حسب اختصاصهم في مختلف فروع الطب خصوصاً الأمراض الباطنية المعدية وأمراض الأنف والأذن والحنجرة والاسنان . ويستمر هناك الى أن يبلغ السادسة عشرة من عمره فيندمج في سلك العمال وهناك يكون ملزماً بالاشتراك في التأمين الصحي . الا اذا كان ممن يزيد ايرادهم على ٢٥٠ جنياً ، فهو لاء بطبيعة الحال يمكنهم الحصول على العناية الطبية والصحية ببذل الاجور المقررة لذلك وعلى ذلك نجد أن الديمقراطية الطبية والصحية متوفرة تماماً في هذه الممالك . فهي تفكر في افراد الشعب قبل ان يكونوا أجنة في ارحام امهاتهم ولا تزال تراهم حتى يتوارون في المقابر ، ولكن الوسائل المتبعة في هذه المنشآت الطبية والصحية من الوسائل الضرورية فقط ، ولا يمكن مقابلة طرق العلاج المتبعة بما يمكن ان يحمل عليه الاغنياء ، وليس معنى هذا ان هناك نقصاً من الوجهة الفنية . بل الذي ينقص هو وسائل الراحة والترف والتنعم ، ويمكن ادراك هذا من حالة مريضين بالتهاب الزائدة الدودية أحدهما في عنابر مستشفى قصر العيني والآخر في الدرجة الاولى في مستشفى خصوصي . فالعملية في كلا الحالين تعمل بالطرق العلمية الصحيحة ، ولكن الحجرة والغذاء والخدم و . و . الخ تختلف تمام الاختلاف في الحالتين^(١)

(١) وقد وقف المحاضر الجانب الاخير من محاضراته على مشروع الالتزام العلاجي القروي وقد نشرنا فصلاً وافياً فيه في مقتطف مايو ١٩٣٤ . فليراجع هناك

الفاظ التصنيف

في الحيوانات الدنيا

للمبر مصطفى الشربلي

- ١ -

بيئتُ في عدد شباط (فبراير) ١٩٣٤ من المقتطف اصالح الطرائق الواجب اتباعها في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية. ومن جملة ما ذكرته في ذلك المقال ان الالفاظ التي تدلُّ معانيها على صفات بارزة في النبات او الحيوان تترجم الى العربية بمذلولات تلك المعاني. فالفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا كلها او معظمها لها معان. فينبغي اذن الرجوع الى اصلها اليوناني او اللاتيني وبعدها توضع لها ألفاظ عربية تفيد المعاني المذكورة إما تماماً او على وجه التقريب عند الحاجة الى الاختصار. وهذا ما قمت به في هذا المقال الموجز. وقد سبقني الى بعض الالفاظ الواردة فيه اصحاب مؤلفات الحيوان والمعاجم (أو المعجمات) العلمية. ولكن نصف تلك الالفاظ على الأقل هي من وضعي او ممالي فيه نظر يختلف عن نظر المؤلفين المشار اليهم. ومن البديهي ان هذا البحث انما كتب لمن يشتغلون باللغة العربية والفاظها ولاساتذة الحيوان في مدارس التجهيز والجامعات. اما غيرهم فربما ملوا قراءته

يقسمون دوحه الحيوان (مملكة الحيوان) بادىء بدء قسمين كبيرين كل منهما ردف دوحه (ردف مملكة) وهما اولاً الحيوانات التي يكون فردا خلية واحدة. ثانياً الحيوانات التي يتركب فردا من خلايا عدة

فالاولى تسمى Protozoaires واصالح لفظة تقابلها « حَيَوِيَّات » وسماها بعضهم دُويَّات وأوَّلِيَّات. والثانية تسمى Métazoaires ومعناها العديدة الخلايا وقد يفيد التعبير عنها بلفظة واحدة هي « الخَلَوِيَّات »

الحيويات

تقسم الحيويات ثلاث شعب (قبائل، قبيل برأي من درسوا بالانكليزية خاصة) ففي الاولى يوجد حيويات مجهرية خلية خالية من غشاء يحيط بها. ويكون لها نواغض تسعى بها او تلتقط بها. ويسمونها Rhizopodes اي جذرية الاقدام. فاذا لم اف نطلق عليها لفظة واحدة قلنا

« الجَذَرِيَّات » . وفي الشعبة الثانية تكون الجبلية الاولى من خلية الحيويين محاطة بغشاء كما يكون تلك الخلية أهداب تتحرك بها في الماء . وهي تسمى Infusoires اي « النقيعيَّات » . اما الثالثة فهي شعبة الطفيليات المسماة Sporozoaires اي « الغُبَيْرِيَّات » سميت كذلك لانها تتكاثر بواسطة غُبَيْرَات Spores (ولا تقل بزوراً) . وتكون خلايا بعض الغبيريات محاطة بغشاء وبعضها لا غشاء لها . وجميعها خالية من اهداب تتحرك بها

﴿ الجذريات ﴾ تقسم شعبة الجذريات قسمين . ردف شعبة « الجذريات القصية » Rhizopodes lobés و ردف شعبة « الجذريات الشبكية » R. réticulés وفي الردف الاول صفان (طائفتان) وهما اولاً صف « النغاضات » او « المتحوّلات » Amiboides وفيه اسط الحيويونات المسماة Amibes ومعناها النغاضة او المتحوّلة او المتبدلة . ثانياً صف « الشمسيات » Héliozaaires وجميعها حيويونات مائية لها نواغض دقاق تشع حول الخلية ولذا سميت الشمسيات اما الردف الثاني ففيه ايضاً صفان اولهما « النقيبيَّات » او « المثقبات » Foraminifères وثانيهما « الشعاعيات » Radiolaires ولكل منهما صفات ليس ذكرها من متناول هذا المقال

﴿ النقيعيَّات ﴾ في شعبة النقيعيَّات Infusoires صفان الاول تتحرك حيويوناته بأهداب طوال غلاظ قليلة العدد ينذر ان يتجاوز عددها ست هذبات في الحيويين الواحد . ويسمون هذه الاهداب اسواطاً ولذا اطلقوا على هذا الصف اسم « النقيعيَّات السوطية » او « السوطيَّات » Flagellés . اما الصف الثاني فله اهداب مهتزة صغار دقاق كبيرة العدد ربما بلغت ٢٥٠٠٠ هذبة في حيويين واحد . واسم هذا الصف « النقيعيَّات الهدبية » او « الهدبيَّات » L. ciliés وفي كلٍّ من صفي السوطيات والهدبيات أربع رتب . فرتب السوطيات هي أولاً « السوطيات الجذرية » Rhizoflagellés وهي ببساطتها تقرب من الجذريات . ثانياً « السوطيات الأصلية » Euflagellés وفيها أهم خصائص السوطيات . ثالثاً « السوطيات المُطَوِّقة » Choanoflagellés ويكون سوطها محاطاً بطوق . رابعاً « السوطيات المثنائية » Cystoflagellés وفيها حيويونات تشتمل أجسامها على فصفور مشع

أما صف الهدبيات فتقسيمه رتباً يقوم على شكل الاهداب في تلك الحيويونات . ورتبه الاربع هي : أولاً « كاملة الهدب » Holotriches سميت كذلك لان أهداب الحيويين تكسو كل جسمه . ثانياً « مختلفة الهدب » Hétérotriches ويكون في أهدابها ضرب يختلف عن الاهداب الأصلية . ثالثاً « قرصية الهدب » Discotriches ولها أهداب تقوم على صفيحة كالقرص . رابعاً « تحتية الهدب » Hypotriches وأهدابها قد زالت اجمالاً إلا حوالى النعم

ويقسمون السوطيات والهدبيات الى فصائل عدة يطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نستقصيها

﴿ الغبيريّات ﴾ جميع الغبيريّات طفيليات تعيش في أجسام غيرها من الكائنات . واسمها مشتق من الغبيريّات لانها تتكاثر بها . وفي هذه الشعبة صفان مهمان . أولاً « الحبيريّات » Coccidiens وجميعها كروية الشكل صغيرة القد تعيش واحدها في خلية من خلايا مضيفها من الفقاريات والرخوة خاصة . وفيها أشكال كالغبيريّات الدموية Hémosporidies و « الغبيريّات اللحمية » Sarcosporidies و « الغبيريّات المخاطية » Myxosporidies و « الغبيريّات الدقاق » Microsporidies أما الصف الثاني فهو يسمى بلفظة Grégariens لم اهتمد الى أصلها فيما حوته خزانه كتي من المراجع

الخلويات

اختلف علماء الحيوان في كيفية تقسيم الخلويات الى شعب ، وقد اتبعت أحد هذه التصنيفات فكان على الصورة الآتية : يقسمون الخلويات بادىء بدء قسمين كبيرين كل منهما فوق شعبة وهما . « الحيوانات النباتية » Phytozoaires و « الحيوانات المتناظرة أو المتناظرات » Artiozoaires ففي القسم الاول ثلاث شعب معروفة وهي « الاسفنجيّات » Spongiaires و « المجوّفات أو مجوفات البطون » Coelentérés و « الشوكيّات أو شوكيات الجلد » Echinodermes . أما القسم الثاني ففيه شعب « الديدان » Vers و « أشباه الديدان أو وحيدة الشعبات » Vermidiens ou monomérises و « الرخوة أو الهلّاميّات » Mollusques و « المفصليّات » Arthropodes و « الحبليات » Cordés

﴿ الاسفنجيّات ﴾ تعيش معظم الاسفنجيّات في البحر لاصقة بالصخور شأن كثير من الحيوانات النباتية . وفي أصقالها شبكة من ألياف متشابهة يسمونها « سُنَيْبِلَات » Spicules . وتختلف مادة هذه السُنَيْبِلَات . وعلى اختلافها يبنون تصنيف الاسفنجيّات فيجعلونها على صفتين : « الاسفنج الكلسي » Eponge calcaire و « الاسفنج الرملي » E. siliceuse كما أنهم يبنون على شكل تلك السُنَيْبِلَات تصنيف الاسفنج الرملي وتقسيمه الى رتب مثل « سداسية الفروع » Hexactinellidés و « رباعية الفروع » Tétractinellidés و « وحيدة الفروع » Monactinellidés . وهناك رتبة « الاسفنج القرني » Cératospongiés لها اصقال مؤلفة من الياف قرنية متشابهة واليها ينسب الاسفنج الشائع

﴿المَجُوفَاتُ﴾ المجوفات أو مجوفات البطون من أكثر الحيوانات عدداً وانتشاراً في المياه . ومعظمها بحرية . ويسمونها زهر البحر لما لها من الاشكال الجميلة والالوان الزاهية ، واليهما ينسب العُدَّار Hydre (عن معجم الحيوان) ورثة البحر أو فرج البحر Méduse واضرابهما وتقسم هذه الشعبة الى أربعة صفوف وهي اولاً « العُدَّارات الرئوية » Hydroméduses ثانياً « المرجانيات » Coralliaires ثالثاً القُرَّاصِيَّات Acalèphes رابعاً « المِسْطِيطِيَّات » Ctenophores فصف العُدَّارات الرئوية يحتوي على ثلاثة روادف وهي ردف صف « العُدَّاريَّات » Hydroïdes وردف صف « الرئويَّات الخشنة » او رئويَّات البحر الخشنة « Trachyméduses ثم ردف صف « المِسْطِيطِيَّات » Siphonophores (من السيفون وهو المنصص) وفي العُدَّاريَّات ثلاث رتب : « العُدَّارات » Hydraires و« الجُرَيْسيَّات او الجُدَّجُليَّات » Campanulaires والعُدَّارات المرجانية « Hydrocoralliaires

وفي صف المرجانيات بعض من الرتب وتحت الرتب مثل المِسْطِيطِيَّات Actiniaires وغيرها

﴿الشوكيات﴾ تشتمل شعبة الشوكيات على حيوانات متجانسة كبيرة العدد تعيش في البحار وتتركب من جسم له شكل نجمة ذات خمس شعب إجمالاً . تقسم الشوكيات خمسة صفوف وهي اولاً « النَجْمِيَّات » Stellérides وفيها نجم البحر المعروف وغيره من الحيوانات تتجلى فيها خصائص الشوكيات المهمة . ثانياً « قُنْفُذِيَّات البحر » Echinides واليهما تنسب قنفاذ البحر التي لا تكون فيها الشعب الخمس جليلة كما هي في نجوم البحر . ثالثاً « الصِّلِّيَّات او أذنان الحية » Ophiurides سميت بالاسم الأخير لأن شعبها الخمس تشبه الحيات في حركاتها حول مركز الجسم . رابعاً « قِثَائِيَّات البحر » Holothurides وفيها خيار البحر او قنأ البحر وغيره من الشوكيات التي تشبه النباتات المسمى بهذا الاسم . خامساً « النَّوْرِيَّات » Crinoïdes وشكلها ابعد الشوكيات عن شكل نجم البحر او قنفاذ البحر فهي تشبه ازهاراً قائمة على اعناقها ولذلك سميت بما ذكر

﴿الديدان﴾ الدود او الديدان حيوانات لا فقار لها ولا مفاصل حتى عندما يكون جسمها مركباً من اجزاء متصلة . وثمة اختلاف بين العلماء في تصنيفها شأنهم في تصنيف كثير من الحيوانات السائرة . ونحن نذكر احد هذه التصنيفات وقد لا يكون اصلحها لان غايتنا من هذا المقال وضع الالفاظ العربية لاقسام المصنفات ليس غير . تقسم شعبة الديدان ثلاثة اقسام كل منها ردف شعبة وهي « المِفْطِطِحات » Plathelminthes و« الحَلَقِيَّات » Annelés و« الخَيْطِيَّات » Némathelminthes فالود المفلطحات سميت كذلك لاشكال معظمها المفلطحة وان كان بعضها غير مفلطح . وليس لجهازها الهضمي مخرج او فتحة . وليس لها جهاز للتنفس ولا جهاز لدوران الدم . ومعظمها خناث

طفيليات . وفيها ثلاثة صفوف « المُهْتَزَّات » Turbellariés ولها اهداب مهتزة تكسو جسمها وهي تعيش في الماء الحلو او المالح . و « المُنْقَطَّات » Trématodes وتشتمل على دود مفلطحه قصار لا اهداب لها بل لها افواه كالحاجم . و « الشَّرِيطِيَّات » Cestodes وهي طفيليات مركبة من قطع متتابعة منها الدودة الوحيدة (تينيا) المعروفة التي تعيش في جوف الانسان . وهناك جماعة من الدود مفرطة في طولها ربما بلغ طول واحدتها ثلاثين متراً بعرض خمسة مليمترات فهي اذن اطول الحيوانات على الاطلاق ولذا سميتها « السِّلَهِبِيَّات » ويسمونها بالفرنسية Némertiens وهم يلحقونها بالمفلطحات وبعضهم يلحقها بالمهترزات مع ان لجهازها الهضمي مخرجاً ومع ان لها جهازاً لدورة الدم ومع ان فيها ذكوراً واناثاً

اما الدود الحلقيات فلها اجسام طوال مجزئات قطعاً تفصل بينها حواجز . وهذه القطع او الحلقات تشتمل على زوائد يتحرك الحيوان بها وأظهرها زغب شائك . وللحلقيات صفوف ورتب منها « الهَلْبَاء » Polychètes وهي دود بحرية في الغالب يكثر فيها الزغب ولذا سميت الهلباء . ومنها « المعراء » Oligochètes وهي على العكس من الاولى تقطن اليابسة او المياه الحلوة . زغبها قليل واليها تنسب دود الارض أي الخراطين Terricoles ودود المناقع Limicoles . ومن الحلقيات ايضاً « العَلَقِيَّات » Hirudinées نسبة الى العلق المعروف وفي هذا الصف رتبتان « الخُرْطُومِيَّات » Rhynchobdellidés و « الحَنَكِيَّات » Gnathobdellidés

واما الخيطيات فلها اجسام مستطيلات او اسطوانيات او مغزليات . وهن خاليات من الاهداب المهتزة . وهن رداء او جلد شفاف قاس شبيه بالذي يكون في الحشرات . ولهذا يفصلها بعض علماء الحيوان من شعبة الديدان ويجعلونها شعبة مستقلة هي اقرب الى المفصليات منها الى الديدان . وفي الخيطيات صنفان مهمان هما اولاً « الاسطوانيات » Nématodes واكثرها تعيش طفيلية في اعضاء الانسان كالصفار او الصفار Ascaride والمعقوفة Ankylostome والهدابة Filaire (سماها الدكتور حبيب صادر عرقه في كتابه « الامراض المعدية في البلاد العربية » ولم اجد في جملة معاني العرقه معنى لصفات الدودة المذكورة) . ثانياً « شائكات الرأس » Acanthocéphales وفيها دود تعيش في جوف الخنزير وبعض الطيور

﴿ اشباه الديدان ﴾ يسمى منها ايضاً وحيدة الشعبات . وهي حيوانات لها اشكال مختلفة وصفات بعضها قريب من صفات الديدان ومنها حيوانات صغيرة هي اصغر الخلويات . وصفوفها ثلاثة . « الدَوَّارات او الدولابيات » Rotifères و « الطُّحَلْبِيَّات » Bryozoaires و « عَضْدِيَّات الاقدام »

Brachiopodes

الهلاميات * يسمونها ايضاً الرخوة . ومن ابرز صفاتها وجود المحارات او الصدقات الكلسية فيها . واجسامها رخوة بلا اعضاء قاسية ولا اجزاء مفصولة . وليس لجلودها شعر ولا شوك . وهي منتشرة في انحاء الارض في البحار والأنهار والأحواض والمناقع . وعدد انواعها عظيم لكن صفوفها المهمة ثلاثة وهي اولاً « مزدوجات الصدف او ذوات الصدفتين » Bivalves ou Pélécy-pode ثانياً « المعديات او معديات القوائم » Gastéropodes ثالثاً « الرأسيات أو رأسيات الارجل » Céphalopodes وذوات الصدفتين تشتمل على رتب منها « مختلفة العضل » Anisomyaires و« متساوية العضلتين » Dimyaires . والى صف ذوات الصدفتين تنسب الميضية والاستربدية ومحار اللؤلؤ وغيرها كثير أما صف المعديات ففيه ردف صف « دُعَامِيَةِ الْخِيَاشِيم » Prosobranches ومنها رتبة « وحيدات الأذنين » Monotocardes ورتبة « مزدوجات الأذنين » Diotocardes ورتبة « مختلفات الأذنين » Hétérocardes

وفي صف المعديات ايضاً ردف صف « خلفية الخياشيم » Opisthobranches وفيها الرتب الآتية:

مستورة الخياشيم أو مغطاة الخياشيم Tectibranches

جُرَابِيَةِ اللِّسَان أو زَرْقِيَةِ اللِّسَان Ascoglosse

عريانة الخياشيم Nudibranches

جناحية الارجل Ptéropodes

وثمة ردف صف ثالث للمعديات وهو « الرئويات أو المعديات الرئوية » Gastéropodes pulmonés وفيه رتبة « ريشية الاعين » Stylommatophores ومنها البزاق المعروف . ورتبة « دُعَامِيَةِ الاعين » Basommatophores وفيها أنواع كثر تشبه البزاق

واعلى صفوف الهلاميات في التصنيف صف الرأسيات المار الذكر . وأعضاء هذه الحيوانات متكاملة تشبه أعضاء الفقاريات في بعضها . وجميعها بحرية . وكثير منها يصاد ويؤكل . وفيها رتبتان « رباعية الخياشيم » Tetrabranches ومزدوجة الخياشيم Dibranches . والرتبة الثانية تشتمل على « الأخطبوطيات » Octopodes وهي ثمانية الاقدام وعلى « عُشَّارِيَةِ الأقدام » Décapodes ومنها الحبار أو السَّبَبِيدَج وهو باللسان العلمي Sepia وبالفرنسية Sèche

هذا ما رأيت درجه في هذا المقال من أهم الالفاظ المستعملة في تصنيف الحيوانات الدنيا . ولا أدعي العصمة فيما وضعته ولا فيما عدلته من الالفاظ العربية . وانما هي محاولة حاولت فيها القاء دليوي بين الدلاء فيكون امام المسؤولين عن وضع معجم المصطلحات العلمية المرتقب مادة جديدة ينظرون فيها اذا شاءوا وشاء لهم مبلغ علمهم بهذه الامور . وبقي لاتمام هذا البحث الصغير ان اذكر الالفاظ المختصة بالمفصليات وأخص منها الحشرات . ولما كان عدد هذه الالفاظ كبيراً وكان يوجد منها لدي شيء كثير مما خلت منه المعجمات الاعجمية العربية المعروفة ارجأت ذكرها للعدد القادم

اذا استشفيت من داء بداء

حمى تشفى من الشلل الجنوني

بطل هذه القصة ، رجل يُدعى فاجنر يورج . اذا نظرت اليه حسبتهُ أستاذاً مسلماً ، لا ثائراً في نفسه روح الحرب والنضال ، التي مكنته بعد كفاح ثلاثين سنة من ان يضع في ايدي الناس ، وسيلة ، تقهر شلل المجانين الناشئ عن الاصابة باكره الامراض وأشدّها فتكاً نعمني الخلق^(١) ان الميكروب الخلزوني الخفيف الذي يسبب هذا الداء من افتك الميكروبات بالانساج ، ومن ابرعها في ابتداع الوسائل للاختفاء عن النظر ، والابتعاد عن وسائل الاطباء في مطاردته . والداء الذي يحدثه هو والسرطان من اعظم اللعنات التي اصيبت بها الانسانية . ولكن طائفة من الرجال ، الشجعان ، وقفوا حياتهم على هذا الكفاح ، وفي مقدمتهم شجاعة وصبراً وابتكاراً صاحبنا فاجنر يورج كان عمله مقتصرأ على التطبيب النفساني ، وهو من جميع فروع الطب ، اقلها فائدة في دفع الموت . ولكن هذا الرجل المسالم ، البعيد عن عمل الطب الحقيقي ، قلب ناحية من تعاليمه رأساً على عقب ، فأثبت ان الحمى ، وقد كانت تحسب اعدى عداء الانسان ، ليست الا نارا يشوى في اثونها ، هذا الميكروب الخفيف ، باعث الشلل الجنوني في الانسان ان عمله يبعث على الدهش والاعجاب ؟ فلقد استعمل داء عياء لمعالجة داء عياء . بل انه مهد السبيل لرجل لا صلة له بالطب ، فاستنبط وسيلة لهذا النوع من العلاج ، لا تنطوي على المخاطر التي تنطوي عليها معالجة داء بداء

انقضت عليه ثلاثون سنة وهو يتقلب بين الامل واليأس ، بين النجاح والافاق ، الى ان كان يومه العظيم في ١٤ من يونيو سنة ١٩١٧ . في ذلك اليوم التاريخي ، جمع فاجنر يورج شجاعته ، وحقن في وريد ممثل مصاب بشلل الحلق ، قطرات من الدم تعج فيها جراثيم البرداء (الملاريا) . كان في الستين من عمره ، حينئذ ، وكان عمله اقرب الى الخيبة منه الى النجاح ، وكان قد انقضى عليه ثلاثون سنة ، مذألهيم ، ان نار الحمى ، تطرد من ادمغة المصابين بهذا النوع من الشلل ، غيوم الجنون

(١) الخلق استعمله امرؤ القيس ويقول الباحثون ان القرائن تدل على أنه عني به ما يدعى في عصرنا بالسفلس

ارتدَّ بنظره إليه ، وهو واقف في منتصف العقد التاسع من القرن الماضي ، امام سرير امرأة لا تزال في السابعة والعشرين من العمر ، وقد تحوَّل فيها اضطراب الاعصاب ، عقب ولادتها ، الى جنون لا يشفى . كان يعلم ان جميع الاساليب في جعبة طبه النفساني ، لا تجديها نفعا . وكان قد قضى ست سنوات يدرس علوم الطب ، حتى فاز بشهادة ولقب . ولكن التنافس في الخفاء ، حرمة من منصب وعُديبه . فتألم ولكنه انطوى على ألمه . وقرَّر ان يهجر بلاده ويحيى مصر . بيد ان ضميره التي اليه بهمة ، مؤداها ان استزد علماً قبل ذهابك الى مصر . فلم يجد امامه الا عيادة للمجانين يقوم عليها طبيب شيخ يدعى ليدسدورف . فاتيح له ان يقف الى جانب سرير هذه المرأة هنيئاً لها انها مقبلة على الموت ! كانت قد انت العيادة ، وهي تقول ان الشياطين تزعمها . ثم اشتدَّ بها الجنون الهائج ثلثة فترة من الحرد والانكماش عن الناس . وهاهي الآن وقد انقضت عليها خمسة اشهر وهي لم تكلم احداً . ان وجهها صفحة لا يرسم عليها اي اثر من آثار العقل والذكاء ، فهي والحيوان سواها ، بل هي دون الحيوان في ذلك . ثم اتفق ان اصببت المرأة بالحمى التيفودية . وكانت اصابتها حادة ، فصارت تشنج تشنجا عنيفاً ، وفاجئ يورج ، ملازم سريرها ، منتظراً وفاتها . ثم وقف تشنجه ، وتراخت اعضاؤها في غيبوبة ، وهو يجأ الى الله ، ان ينقذها من الألم قبل ان تفيق . ولكن المرأة افاقت ، فشفيت من الحمى ، وشفيت كذلك من الجنون .

فعدل فاجئ يورج عن السفر الى مصر ! أَلَمْ يتسرَّع في اتخاذ هذا القرار ؟ ألم تكن عجيبة شفاء المرأة من الحمى والجنون اشبه بالقشة الطافية على سطح البحر ، يتعاقب بها المشرف على الغرق ؟ ألم يكن رجلاً قد تلقى أساليب العلم ، فدلَّ علمه على أن شفاء المرأة من اصابتها جاء اتفاقاً ؟ حتى اذا كان شفاء الشلل الجنوني مصاحباً للاصابة بالحمى التيفودية ، فمن يأذن له في اقامة الدليل على ذلك ؟ من يسمح له بتعريضه عمداً للموت بالتيفودية ، على أمل شفائه من الشلل والتيفودية معاً ؟ ولكن حادثة المرأة التي تقدم ذكرها ، تركت أثراً في نفسه لا يمحي . فاكبَّ على كتب المتقدمين من الحكماء . بل رجع الى ابقرط المعروف بأبي الطب . فوجد في بعض ما يعزى اليه من الكتب انه رأى مصروعين يشفون من صرعهم بعد اصابتهم بالبرد ثم قرأ في مجلد آخر قديم ان الكوليرا في فرنسا اكتسحت احد البيمارستانات ففتكت بمعظم قاطنيه ، ولكن الذين نجوا منها ، استعادوا نعتي العقل والاتزان .

قصص اذا أُلقيت عليها ضوء العلم ، حكمت بأنها الى الاساطير والخرافات اقرب . ولكن فاجئ يورج ، كان يقضي نهاره يجول في اجنحة المجانين في المشافي ، وليله مكباً على هذه الكتب القديمة يحاول ان يتبين بين سطورها طريقاً هادياً . واذا كان يجول في احد الأيام ، رأى امرأة ، كانت أمّاً لها تسعة اولاد ، ولكنها جننت ،

فأتى بها الى المستشفى وهي حامل . واصيبت بعد الولادة بالحمرة ، وما انقضت عليها اربعة أشهر حتى كانت في دارها ، سليمة الجسم والعقل معاً

فعاد الى كتب الطب الحديثة ، لعله يستشف في صفحاتها شعاعاً يهديه ، او يفسر له ما يرى بأَم عينه . فوجد حوادث متفرقة فعلت فيها الاصابة بالتيفوس او بالنزلة الصدرية ، فعل الحمى التيفودية أو الملاريا او الحمرة . بل انه عثر على تجربة لرجل يدعى لودوج ماير . فقرأ أن هذا الرجل اخذ مرهم الانثيمون ، وجعل يفرك به شواة (جلد الرأس) المصابين بشلل المجانين فتقرحت واصيبوا بالحمى فشفي بعضهم من الحمى ومن الجنون . فضحك العلماء من لودوج ماير وتجربته ، ونسجت عناكب النسيان ستاراً كثيفاً حولها

وكتب فاجنر يورج مذكرة بما رأى وقرأ ، واقترح ان يُحقن المصابون الذين لا يرجي لهم شفاء بالحمرة والملاريا فلم يصغ اليه احد في اوربا . اما في اميركا فيقول الدكتور ديه كروف انه ذهب في سنة ١٩٣٠ الى اكااديمية الطب في نيويورك لمطالعة هذه المذكرة فوجد ان صفحاتها لم تُنقِص ؟

ولكن الرجل اذا اندفع بشعلة من الايمان لم يُصدّه حائلٌ ما . بل قد تكون المعارضة والمقاومة ، ما يذكى في الرجل الحماسة ، فيندفع في سبيل غرضه ، لاثام المعارضين وكبت اصوات المقاومين . ولكن فاجنر يورج لم يلق من يعارضه ، ولا من يقاومه . وكان الاهمال نصيب ما يقول ، والاهمال على كل حال ليس من بواعث النشاط والحماسة في الغالب

ولكنه حاول ان يحقن بعض المصابين المُشفين بمكروب الحمرة فلم يصابوا بالحمى ولا شفوا من الجنون . ورغب في تجربة الملاريا فلم يرَ احدٌ من الحكمة انشاء عيادة في قلب فينا ، تكون بؤرة تنتشر منها الملاريا . كان ذلك قبل ايام رُسّ وغراسي الذين كشفوا كيف تنقل الملاريا وكيف تعالج وكذلك مضت عليه ثلاث سنوات ، وهو عاجز عن التقدم ، حتى وجد طريقة تمكنه من احدث الحمى في اجسام المصابين من دون ان تكون سبباً لتفشي الاوبئة في العاصمة . ذلك ان اوربا كانت معنية سنة ١٨٩٠ كل العناية ، بمادة التوبركولين ، التي استخرجها روبرت كوخ ، اعظم غزاة للبكتروب ، من باشاس الدرن . وكان الامل الذي بعثته هذه المادة في النفوس قد تحول الى خوف من المخاطر التي يتعرض لها من يحقن بها ، لان مئات من الوفيات حدثت على اثر ذلك واصبح استعملها يُنظر اليه بعين الريب

ولكن فاجنر يورج اقبل عليها . فقضى عشر سنوات يحرب التجارب بها ، حتى بعد ان رُقّي الى منصب استاذ في معهد فينا الطبي . جرّب مئات التجارب ولكنه لما اهلّ القرن العشرون ، راجع نتائج هذه التجارب ، فحكم بأنها الى الاخفاق اقرب . نعم كان قد شفى بعض الذين حقنوا بهذه المادة ، من جنونهم . ولكن تجاربها لم تكن قائمة على اساس علمي . ذلك انه حاول ان يعالج بها

جميع ضروب الجنون، على اختلافها، وهو لا يدري، ان نوعاً خاصاً منها فقط يعنو لهذه الحمى وكان فاجنر يورج رجلاً لا يخدع نفسه. كان في وسعه ان يذيع النجاح العظيم الذي اصابه في بعض الاصابات فلم يفعل. بل اعترف فيما بينه وبين نفسه، انه اخفق. فجلس يتأمل في ضروب الجنون واسبابها فتبين ان اسباب معظمها مجهولة، الا ضرب واحد اتفق الثقات على تعريفه وهو الشلل العام الجنوني، وهو مرض لا يشفى بل يدوم سنوات ثم يقضي الى العتمة والموت فقرر في تلك الليلة التاريخية، انه لن يحاول بعد الآن، ان يعالج بالحمى، الا المصابين بهذا النوع من الجنون - أى الجنون الناشئ عن الشلل العام الذي سببه الخلق (السفلس). وكذلك استعان في سنة ١٩٠١ بطبيب يدعى « بلكز » Pilez فجعلنا يحقنان بالتوركولين جماعة من المجانين في بيمارستان شتينوف. كان بعضهم مصاباً بالعتة وآخرون بالمالنخوليا فكانوا على وشك الانتحار، وغيرهم بجنون العظمة والعبقرية او اضطهاد الناس لهم. لم يعرف من قبل ان مجنوناً دخل هذا البيمارستان وخرج حياً لان الموت كان محتوماً على جميع المصابين طالت حياتهم او قصرت

ومضت بضع سنوات كشف في خلالها عن سبب الشلل الجنوني العام. كان العلماء قد ظنوا قبل ذلك ان هذا النوع من الشلل سببه، مكروب الحلق الخزوني. ولكن في سنة ١٩٠٦ طبق اوغست فون فاسر من الكاشف الذي استنبطه بورديه البلجيكي، لا اكتشاف مكروبات الخلق في ثنايا الجسم. وهو كاشف فاسر من المشهور. وفي السنة نفسها طبق فاسر من هذا الكاشف على سائل الحبل الشوكي في المشلولين (الكلام في المقال خاص بالمصابين بهذا النوع الخاص من الشلل ولذلك نكتفي بذكر المشلولين) فتبين له ان مكروبات الحلق مخفية في الدماغ. وفي سنة ١٩٠٨ تأكد فاجنر يورج ان ٩٩ في المائة من هؤلاء المشلولين، يخفون في ثنايا دماغهم هذه المكروبات وفي سنة ١٩٠٩ عقد مؤتمر طبي دولي في بودابست فقرأ فاجنر يورج رسالة امامه، بسط فيها نتائج معالجة المشلولين بالتوركولين. كان قد اخذ تسعة وستين مصاباً وحقنهم حقناً متوالية بالتوركولين. وترك تسعة وستين آخرين من دون حقن. فكانت النتيجة ان ثمانية من الفريق الاول وخمسة من الفريق الثاني، ظلوا على قيد الحياة. وهي نتيجة ضئيلة لا يمكن ان يبني عليها حكم عام ولكنه لم يقنط. فضى في تجاربه، كانه يجري وراء سراب. والانكى في كل هذا ان بعض المصابين كانوا يشفون بهذا العلاج، فيغتبط فاجنر يورج، ثم تمضي شهور، واذا هم يعودون اليه، فيتبين فيهم انهم على طريق القبر. فياأسف اشد الاسف، من دون ان يسمح للقنوط والوهن ان يتطرقا الى نفسه

فلما كانت سنة ١٩١١ تبين شعاعة من الامل. ذلك ان ارنخ كان قد صنع حقنته المشهورة المعروفة برقم ٦٠٦ وبعد التجربة ثبت انها تفتك بمكروبات الحلق في ادواره الاولى ثم ظهر انه اذا

طال الزمن على هذه المكروبات وهي معششة في جدران الاوعية الدموية ، أصبحت منيعة حتى على حقنة ارنخ الفعالة . فاذا هيجت استفاقت وهي افتك ما تكون ، فيكون في استفاقتها موت المصاب فلما خاب امل فاجنر يورج في حقنة ارنخ مضى يستعمل التوبركلين . ولكنه حاول الآن ان يستعمله في المراتب الاولى من الشلل الجنوني . وفي سنة ١٩١٤ تتبع ٨٦ مشلولاً كان قد عالجهم في سنة ١٩٠٧-١٩٠٩ فوجد ان واحداً وعشرين منهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة وان سبعة من هؤلاء يقومون بأعمالهم على اوفى وجهه

ومن غرائب البسلة الانساني ، ان نتيجة كهذه لم تحدث أي أثر في دوائر الطب العالمية ، مع ان جميع الاطباء كانوا يعلمون ان اقصى مدة يعيشها مصاب بالشلل الجنوني العام قد لا تعدو سنتين !

واخيراً جاء يومه المشهود . كان يوم ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ لما جاءه احد معاونيه واسرّ في اذنه ان في المستشفى جندياً مصاباً بصدمة القنابل وبالملاريا ، وسأله هل يعالجون الملاريا بالكينا . فتوقف فاجنر يورج قليلاً . كان قد اشرف على الستين وهو يعلم ان علاج التوبركلين اشبه بالسراب ، جرى وراءه ثلاثين سنة ، حتى اكتشف انه سراب

هاهي اساريه تنقبض وتنفرج . لقد وصل الى قرار حاسم . ولكن هل يجروء على تنفيذه ؟ انه يعلم ان الملاريا انواع منها ما هو حميد ومنها ما هو خبيث . وهو على كل حال ليس خبيراً بالملاريا . على ان الفرصة ائمن من ان تفوت ، فأسرّ شيئاً في اذن مساعده ، فالطلق هو واخوان له يستخرجون من اذينة الجندي قطيرات من الدم ، حافلة بجراثيم الملاريا

ولكن ما العمل اذا اخذت الملاريا تنتشر في قينا وأحوال المعيشة فيها في السنة الثالثة من الحرب الكبرى اعسر من ان يضاف اليها وباء مخيف ؟ ألا تلقى التبعة على كاهله ؟ ألا تسلقه الصحف بالسنة حداد ؟ ألا يحسب قاتلاً عمومياً ؟ ولكن فاجنر يورج لم يفكر في تلك الساعة في شخصه . بل رأى بعين الذاكرة ، مواكب المشلولين المجانين ، يمرّون امامه موكباً اثر موكب ، خلال ثلاثين سنة من الممارسة الطبية وهو يعالجهم بالتوبركلين ، فلا يقضي لبانة . ان هم الآن ؟ معظمهم قد لقي حتفه واقلسهم قد شفي . أما كيف شفوا فلا يعلم الا الله

لذلك صمم فاجنر يورج في ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ ان لا يعالج الجندي المصاب بالملاريا بالكينا . ولكنه مبالغة في الحيلة ، بعث بطائفة من معاونيه يبحثون في جوار المستشفى عن البعوض الناقل للملاريا فلم يجدوه . عند ذلك اخذ الدم المستخرج من عروق الجندي ، ووضع قطيرات منه في خدش ممثل مصاب بالشلل الجنوني ، وقطيرات اخرى في خدش احد موظفي البريد . وأعيدت التجربة سبع مرات في خلال الشهرين التاليين . وانقضت عشر سنوات فاذا احدث في خلاها ؟ في سنة ١٩٢٧ كان ثلاثة من المصابين التسعة الذين حقنوا بجراثيم الملاريا ، يزالون اعمالهم ،

ويكسبون رزقهم بعرق جباههم وهم أوفر ما يكونوا صحة عقلية وجسدية . كانت جرائم الملاريا قد رفعت حرارتهم الى ما فوق الاربعين بالميزان المئوي ، وكانت القشعريرة التي تصيبهم ، تجعلهم يقتفضون في السرير انتفاضاً ، حتى لتحسب ان جنونهم قد ثار واشتد ، وكانت صيحاتهم تتعالى فترنُّ اصداؤها مزعجة مخيفة . ولكن ثلاثة من تسعة خرجوا من هذا الاتون وقد صهروا فيه الادران التي جعلتهم الى الحيوانات اقرب منهم الى الانسان العاقل . ولكن ماذا حدث للباقيين ؟ مات احدهم — موظف البريد — في خلال تشنج عنيف اصيب به عند حلول دور القشعريرة الملارية . واما الاربعة الآخرون ، فكانوا قد حقنوا على ما يظهر بجراثيم نوع خبيث من الملاريا ، فمات ثلاثة منهم واتخذ الرابع باعطائه جرعات كبيرة من الكينا . وكذلك تعلم فاجنر يورج انه اذا حقن المصابون بالشلل الجنوني ، بجراثيم الملاريا الحميدة ، شفيتهم حماتها من اصابتهم الاولى ، ثم تشفيهم الكينا من اصابتهم الثانية . وهذه حقيقة جديدة في كفاح الانسان ضد المرض والموت

بيد ان الشيء الوحيد الذي عكس على فاجنر يورج صفو انتصاره ، كان ان ثلث الذين عولجوا بالملاريا شفوا واما الثلثان الباقيان فلقيا حتفهما . ولكن لا غرابة في ذلك لان نسيج الدماغ اذا هراهُ مكروب الحلق لا يستطيع ان يرمم نفسه كما يفعل العظم اذا كسر او كما يفعل نسيج العضل او الكبد او غيرها من نسيج الجسم . فكان الثلثين من المصابين الذين عولجوا بالملاريا ، جاءهم العلاج بعد فوات الاوان

هنا شرع هذا المكافح الشديد الشكيمة ، يفعل ما يقضي به المنطق . شرع يعالج المصابين بالشلل الجنوني العام ، عندما تبدأ الاعراض بالظهور عليهم ، اي عندما تبدو عليهم اعراض الاعياء ، وتثبت الكواشف ان مكروب الحلق مختلف في ثنايا ادمغتهم ولكن قبل ان يفتك بنسيجها . فكانت نتيجة هذه التجربة ، وقد وضحت له معالم الطريق ، ان ثلاثة وعشرين من مائة مقضي عليهم بالموت المحتوم ، شفوا وعادوا يزاولون اعمالهم وهم على احسن ما يكون صحة ونشاطاً

ولكنه لم يكتف بهذا . والطبيب اذا اكتشف اسلوباً من العلاج ، ينقذ به ٨٣ في المائة من الموت المحتوم ، ميثال في الغالب الى التحكم والقول بان طريقته خير الطرائق . الا ان فاجنر يورج لم يفعل ذلك بل مضى في تجاربه وامتحاناته . وبعد قليل صرح في رسالة علمية ، انه اذا تبعت المعالجة بالملاريا ، حقن كبيرة من مركب ارنخ (٦٠٦) كانت النتائج اوفى ما يمكن ان تكون . وجعل شعاره في رسالته هذه ما معناه : ليست المسألة مسألة تفضيل طريقة من العلاج على اخرى بل الوصول الى اوفى طرائق العلاج والشفاء

اما كيف تحول الملاريا ، حقنة ارنخ ، في هذا الدور من العلاج ، من شيء لا يفيد الى شيء يفيد ، فلا يزال من الاسرار . يقال ان حمى الملاريا لا تشوي جميع المكروبات كل الشيء . فهل

تضعف ما لا تشويهه ، فتعدهُ لفعل مقذوفات الحقنة ؟ او هل تنشى في جسم الانسان ، مكافئاً جديداً للميكروب فيجهز عليه ؟ او هل هي تحول النسيج الحائل degenerate في دماغ المصاب الى نسيج سليم ، فتعدهُ الطريق لمقذوفات ارنخ الزرنيفية لتكتسح الميكروبات المحتفية في ثناياه ؟ وفي سنة ١٩٢٧ كان هذا الرجل المحسن الى الانسانية ، قد بلغ السبعين . وكان على وشك ان يعزل منصب الاستاذ في معهد فينا الطبي . فاجتمعت طائفة من تلاميذه واعوانه وغيرهم ممن كان مديناً له بالحياة والعقل للاحتفال به . وكان العالم قد اعترف بيده على الانسانية لما منحته لجنة نوبل جائزة نوبل الطبية . ولكنه كان شارد الفكر في ذلك الاحتفال ، لانه وحده كان يدري ، ما يزال امامه من الكفاح مع انه في السبعين !

وهل تحول السبعون دون الكفاح ؟ ان في هذا الرجل نفحة من يتوفن ، الذي مات في التسعين من العمر ، متحدياً العاصفة الثائرة خارج داره ، وهو يلفظ نفسه الاخير ان الملاريا تشفي من الشلل الجنوني العام ، اذا كان المرض لم يبلغ من فتكه بنسج الدماغ مرتبة بعيدة . ولكن الطبيب الجندي ، ينبغي ان يمنع الشلل العام . وفي هذا الميدان يرى الفائدة الصحيحة لطريقة العلاج بالملاريا . لماذا لا يعالج بها ، الذين ثبت وجود مكروب الحلق في اجسامهم ، قبل ان يصابوا باعراض الشلل الجنوني الاولى ؟ لماذا لا يحال بينهم وبين الشلل الجنوني على الاطلاق ؟ وكان كيرل Kyrle ، احد كبار اطباء في قسم الحلق بعيادة الدكتور فنجر بقينا من الذين اصغوا اليه ، وهو يتحدث بهذا ، ولكنه لم يأنس من نفسه اندفاعاً الى تجربة ما يقول . بيد انه في احد الايام في سنة ١٩٢٢ ، كان يتنزه مع فاجنر يورج فقال له انه قد بدأ التجربة ...

استعمل كيرل جميع وسائل الاغراء والاقناع ، ليحمل هؤلاء المصابين ، وهم لا يزالون في الظاهر في عنفوان صحتهم ، ان يقامروا هذه المقامرة ، بالرضوخ لهذا العلاج . حقنهم اولاً بحقنة ارنخ الجديدة — ٩١٤ بدلاً من ٦٠٦ وهي تدعى نيوسلفرسان — ثم ادخل جراثيم الملاريا في اجسامهم وتركهم يتقلبون في نار حماتها وارتجاف قشعريرتها ، ثم شفاهم من الملاريا بالكينا ثم حقنهم بالنيوسلفرسان ثانية . والنتيجة ... ! كانت النتيجة ان واحداً من المئات الذين عولجوا بهذه الطريقة لم يصب بالشلل الجنوني العام ، وقد انقضت نحو تسع سنوات على ذلك . بل هناك ما هو اغرب من الحيلولة بينهم وبين الشلل الجنوني . فقد اثبتت هذه التجارب ، ان هذه المعالجة . تعدهُ الجسم ، لمساعدة حقنة ارنخ الزرنيفية على قتل المكروبات . وبذلك تفسر عجزها السابق الذي حير العلماء فلما حصل كيرل على نتائج الاولى ، اندفع من غير ان يحثه صديقه الشيخ ، ووجد كما وجد فاجنر يورج قبلاً ، ان التبكير في اشعال نار الملاريا في اجسام الملوثين بهذا المكروب الخائل ، اهدى الى النجاح . كان كيرل قد عالج ٢٥٠ مصاباً بهذه الطريقة ، وها هم قد خضوا جميعاً ، وامتحنت دماؤهم فنبت ان دماءهم جميعاً — الا ثلاثة — خالية من ميكروب الحلق ، على قدر ما يستطيع

العلم الحديث ان يتبينه بأدق الكواشف . ومات كيرل في سنة ١٩٢٦ ولكن المشعال الذي سلمه اياه فاجنر يورج ، انتقل الى يد مهندس كهربائي في اميركا يدعى هوتني

القر نظرة على احد معامل البحث في الشركة الكهربائية العامة تر فيه انابيب الراديو تمض وتظلم . ولكنك لا تسمع محادثة دائرة بين قارتين ، بل تشهد طائفة من الاطباء ومساعدتهم وقد ارتدوا ملابسهم البيضاء ، وهم يحاولون ان يمتحنوا آلة جديدة الغرض منها استعمالها في علاج بعض الامراض . ذلك ان الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنقل الاصوات بين البلدان النائية ، تؤثر كذلك تأثيراً غريباً في جسم الانسان والحيوان اذا جمعت ووجهت اليه ، فترتفع حرارته عند اختراقها له ويصاب بحمى عالية

افلا يمكن ان تستعمل هذه الطريقة الطريفة في معالجة الشلل الجنوني بدلاً من الملاريا ؟ فالطبيب ليس معصوماً عن الخطأ . والملاريا اصناف منها الحميد ومنها الخبيث . فالخبيث منها مميت في الغالب . بل ان الحميد منها قد يستعصي احياناً ، يظهر آناً ويمكن آخر . والاصابات الملاريا المتعاقبة تنهك الجسم وتفقّر الدم . أفلا يستطيع الاطباء ان يستعملوا هذه الحمى التي تحدثها الامواج اللاسلكية ، لما استعملت له حمى الملاريا ، وتكون في الوقت نفسه خاضعة لسيطرهم كل الخضوع ؟ جاءت الاشارة الاولى ، الى امكان استعمال الاشعة القصيرة في هذا السبيل من الدكتور ولس هوتني ، مدير قسم المباحث في الشركة الكهربائية العامة في سكنكتدي نيويورك . ذلك انه وجد ان العمال المشتغلين بالآلات الاذاعة اللاسلكية التي تستعمل امواجاً قصيرة ، يصابون بحمى لم يعرف لها سبب طبي . فوجه طائفة من الباحثين الى البحث عن وسيلة تمكنهم من ضبط هذه الامواج ، وتحقيق اثرها في الجسم ، ومعرفة تفصيلات فعلها في احداث الحمى ، لعل الاطباء يمهّدون السبيل الى استعمالها في معالجة بعض الامراض

فبنيت الادوات الكهربائية اللازمة في معامل الشركة المذكورة وعهد الى الدكتورة هلن هُسمَر من كلية البني الطبية في امتحانها . فوجهت اشعتها في احد امتحاناتها الى ضفدع صغيرة فارتفعت حرارتها ١٢ درجة . ثم جربت في حيوانات مختلفة فارتفعت حرارة اجسامها . ثم وجهتها الى محلولات ملحية مختلفة فارتفعت حرارتها أيضاً . وللحال اصدرت تحذيراً يقضي بمنع توجيه الاشعة اللاسلكية القصيرة الى اجسام الناس قبل ان يزداد الباحثون معرفة بخصائصها وأثرها

وقد عني الدكتوران تشارلز كارنتر والبرت بايج بصنع آلة متقنة لهذا الغرض وافلحا بواسطتها في رفع حرارة الجسم الانساني الى درجة تفيد في معالجة بعض الامراض من دون ان يصاب بالمعالج بضيق ما . وبعد تجارب كثيرة جرّباً آلتهم ورائدهما الحذر العظيم في معالجة بعض المصابين فوجدا ان بقاء حرارة المصاب مدة طويلة لا يعقبها أي ضرر

والآلة أشبه شيء بآلة لاسلكية عادية ولكن بدلاً من أن يكون لها سلك هوأى تنبعث منه الاشعة القصيرة في الفضاء لها لوحان من معدن الالومنيوم يدعيان «لوحا المكثف» Condenser Plates فتجتمع بهما القوة الكهربائية داخل الآلة وتستعمل لرفع حرارة الجسم . وللآلة صندوق تحفظ فيه طوله ست اقدام وعرضه ثلاث اقدام وهو قائم على عجلات ليسهل نقله من مكان الى آخر في حجرة الامتحان

يلتقى المريض على ظهره على رباطات قطنية متشابكة معلقة من هيكل خشبي جدرانهُ من نوع من السلولويد فكان الصندوق تحت المريض غرفة مملوءة هواء . ويغطي المريض بلوح من السلولويد هو غطاء الصندوق فيحكم اقفاله فلا يظهر الا رأس المريض من احد طرفيه وكأن المريض فيه معلق في غرفة محكمة السد . ويوضع لوحا التكثيف على جداري الصندوق كل منهما على جدار حتى تخترق جسم المريض الامواج التي تنبعث منهما . وسرعة التذبذب في هذه الامواج تتباين من عشرة ملايين موجة الى اربعة عشر مليوناً في الثانية . والمسافة بين اللوحين تتغير ولكنها تكون نحو ثلاثين بوصة عادة . ويغشى اللوحان بالمطاط منعاً لتطاير الشرر منهما . وللآلة اجزاء اخرى ولكنها ثانوية لا محل للتبسط فيها هنا . وقد تمكن الدكتور كاربنتر والدكتور بلنج من رفع حرارة الجسم ٥ درجات او ست بميزان فارنهایت فوق درجة الحرارة الطبيعية وذلك في مدى ساعة الى ساعة وثلث . وبلغت درجة الحرارة في احدى الحالات ١٠٦ و ٥٠ بميزان فارنهایت ويستطاع رفعها الى اعلى من ذلك . ولكن الباحثين ظناً صواباً ان الحذر يجب ان يكون رائدهما في بدء مباحثهما هذه خوفاً من تعريض الارواح لهذه الاشعة الفتاكة

ومتى بلغت حرارة الجسم الدرجة المطلوبة احتفظ بها اما بتخفيض قوة التيار او بإبعاد لوحي التكثيف او باستعمال منفاخ يحرك الهواء الذي يحيط بالجسم ثم تأخذ الحرارة في العودة الى درجتها الطبيعية تدريجاً اذا ترك المعالج في الصندوق ملتحفاً بملايات من الصوف

فرتز شودن الألماني وبورديه البلجيكي وقاسر من الألماني كشفوا عن ميكروب الحلق الفظيع واعدوا الكواشف لتبينه في ثنايا الجسم . ثم جاء ارنلخ فأخرج قنابله الدقيقة في محلوليه ، ٦٠٦ و ٩١٤ لاطلاقها على ميكروباته ، فأفادت بعض الفائدة ، وتلاه فاجنر يورج ، فأمد الميكروبات بفعل الحمى العالية في الجسم فصارت اتم فتكاً . وها هوذا هوتي وصحبه يجربون التجارب ، لوقاية الجسم من حمى الامراض ، مستعينين على ذلك بالامواج اللاسلكية العجيبة

ان واحداً من كل تسعة يموتون بين الاربعين والستين من العمر في نيويورك يموتون بالشلل الجنوبي العام . فهل يدري مكافو المرض والموت ، ان هؤلاء الرواد قد وضعوا في ايدينا الوسيلة الفعالة للقضاء على هذا العدو الخائل

الزمان مكان

أو اندماج الزمان بالمكان والبعد الرابع

بقلم نقول الحرار

لكي نفهم البعد الرابع الذي كشفت عنه المباحث العلمية الجديدة وأخصها مباحث «النسبية» يجب أن نفهم معنى اندماج الزمان بالمكان كما يعبر عنه علماء اليوم بلفظ واحد Space-time ونحن نترجمه بلفظ عربي واحد «الزمان - مكان» ولكي نفهم هذا الاندماج الذي يستهجنه المفاجأون به ويتعذر عليهم تصوّره يجب أن نفهم ما هو المكان وما هو الزمان أو ما هو المعنى المراد منهما؟ ما هو المظهر

حتى أوائل هذا القرن كان المعنى المراد بلفظ «المكان» الحيز الذي تشغله المادة المحسوسة أو يمكن أن تشغله. مثال ذلك هذا الكتاب الذي في يدك هو مجسم طوله ٢٥ سنتيمتراً وعرضه ١٥ وسمكه سنتيمتر واحد فقط. فالقراغ الذي يملأه هذا الكتاب بهذا المقياس يعتبر مكاناً له. فإذا أخذت الكتاب من موضعه وأبعدته إلى مكان آخر فهل يبقى ذلك الحيز الذي اشغله معتبراً مكاناً؟ لا بد أن تقول: طبعاً. يعتبر مكاناً، أولاً لأنه لا يمكن أن يشغله ذلك الكتاب كما كان يشغله قبل أن ننقله منه أو يشغله جسم آخر بمجمله. وثانياً لأنه لا يمكن أن نستطيع أن أتصوره مشغولاً بذلك الكتاب أو بأي جسم آخر مثله. وبناءً على هذا القول جميع رحاب الفضاء التي نحسبها خالية تُعتبر أمكنة، لأن اجرام المادة تنقل فيها من حيز إلى حيز على التوالي، ويمكننا تصوّرها مشغولة بالاجرام والأجسام المادية جنباً إلى جنب وإن كان حدوث هذا بالفعل مستحيلاً — يمكننا تصور الاجرام مألثة الفضاء هكذا بالرغم من أنها منشورة في الفضاء ومتفرقة فيه تاركة فيما بينها رحاباً سحيقة المسافات ولما كنا نستعين بالتصور — حتى تصور المستبعد أو تصور بعض المستحيالات — في نفهم المكان نوغل في التصور لكي نفهم كيف يمكن أن نتصور المكان. فلنتصور إذن أن المادة اضمحلّت تمام الاضمحلال من الوجود ولم يبق لها أي أثر، ولم يبق في الوجود إلاّ عقلنا فقط يتصور، فأبى صورة تكون فيه للمكان؟

قد تقول: بالرغم من تصوري اضمحلال المادة لا أزال أتصور الفضاء الخالي مكاناً محتمل أن تشغله مادة إذا عادت المادة المضمحلة إلى الوجود — أجل تتصوره كذلك لأن صورة المادة، قبل اضمحلالها، مطبوعة في ذهنك. فيتعذر عليك أن تمحو من ذهنك صورة مطبوعة فيه كما فرضنا محققها من الفضاء. ولكن إذا طلبنا إليك أن تتعمق في تصور الفضاء خالياً من المادة خلواً

مطلقاً فهل تستطيع أن تتصوره فراغاً مطلقاً؟ وإن قلت : أستطيع أن أنصوره هكذا، فهل نستطيع أن نتصوره بلا حدود مهما كان رحيباً؟

هنا أراك واجهاً . أراك في حيرة . لانك ان كنت تتصوره ذا حدود فالحدود هي مادة أو شبه مادة . فأنت إذن لم تفرغه في تصورك ، من المادة افراغاً تاماً كما فرضنا . بل لا تزال تتصوره محاطاً بمادة . وحينئذٍ يمكنك أن تقيسه بين حدوده ولو كما يقيس الفلكيون الابعاد والرحاب السحيقة بواسطة سرعة النور . وحينئذٍ يمكنك أن تتصور هذه الحدود متنقلة فيه كتنقل الاجرام والاجسام . وان كنت تزعم أنك تستطيع أن تتصوره خالياً من كل شيء حتى من الحدود فأنت تصور العدم . وتصور العدم عدم . فإذا أنت لا تتصور شيئاً . بل أنت غير متصور . أنت ساكن الذهن . والا فما هو العدم؟ أو ما هو الفرق بين الفضاء الخالي والعدم

إذن ، لا تستطيع أن تتصور الفضاء خالياً من المادة . أزل المادة من الوجود — أعدم الاجرام بتاناً ، ينعدم الفضاء أيضاً . ينعدم المكان . واذن لا معنى للمكان بلا مادة تشغله . لا معنى للفضاء بلا أجرام تحد رحابه — واذن ، منطقياً ، لا وجود للمكان بتاناً لولا وجود المادة . وجود المادة قرّر وجود المكان . المادة خلقت الحيز الذي أشغلته . فإذا قلنا « المكان » أو « الحيز » أو « الفضاء » (Space) كنا نعني مادة تشغل حيزاً وتتنقل من حيز الى حيز . فذكر المكان يستلزم وجود المادة . وذكر المادة يستلزم معنى المكان . أعني أن معنى المكان مستمد من وجود المادة . وتفسير الفضاء بالحيز الخالي خلواً مطلقاً خطأ محض

لذلك ما نسميه فضاءً هو فضاء محدود بالمادة . متناهم . لأن المادة متناهية أي أن لها قدراً معيناً . والفضاء محدود بها . له أول وله آخر . ولا تسلم عما قبل الاول وعما وراء الآخر . فهذا مستحيل على العقل البشري تصوّره . دعه لعقل الالوهية . ولذلك أيضاً ، يكتب الفضاء أو المكان أو الحيز طبيعته من طبيعة المادة نفسها . فإذا قال العلم الحديث أن الفضاء متحدّب Curved فلاّن المادة التي تشغله متحدبة . وهذا بحث دقيق لا متسع له هنا . فترجئه

فيما تقدّم فرضنا الرحاب بين الاجرام خالية . والحقيقة انها ليست خالية الا من المحسوس . بل هي مملوءة من أنواع مندثرات الاجرام المشعّة الثلاثة : ١ : امواج الفا وهي بروتونات ايجابية الشحنة الكهربية : ٢ : امواج بيتا وهي الالكترونات (كهارب) سلبية الشحنة : ٣ : امواج جّما وهي في عرفهم فوتونات بلا شحنة . — (وفي رأيي هذا الضعيف ليست الامواج نفس البروتونات والالكترونات والفوتونات ، بل هي امواج أثيرية صادرة من اندفاع هذه الوحدات المادية المتدفقة في بحر الاثير المالىء رحاب الفضاء) فالرحاب ليست خالية كما تتراءى لنا بل هي مملوءة تشععات مادية . وامتلاؤها بها جعل لها قيمة المكان أو جعل للمكان قيمة بها ، أو جعل له طبيعته . هذا اذا ضربنا صفحاً عن الاثير ، (أوقيانوس المكان) الذي، وان كان لا يزال فرضاً بلا برهان امتحاني

معملي ، يعد أفضل فرض لتعليل الظاهرات الطبيعية ، ولا سيما ظاهرات التشمع الموجي . ولا مجال هنا للاسترسال في هذا الموضوع . نعود الآن الى « الزمان »

ما هو الزمان ؟

خرجنا من البحث الآنف بنتيجة صعبة التصور . ولكنها نتيجة منطقية لا مناص منها . وهي ان المكان لا وجود حقيقي له . هو العدم . وانما المادة اوجدته . فما قولك بالزمان ؟ اذا كان المكان — مستقلاً عن المادة — عدماً ، فالزمان بالاحرى عدم ايضاً . او بابلغ عبارة هو أشد عدمية . المادة اوجدت المكان . وحركة المادة اوجدت الزمان . ان انتفت الحركة انتفاءً مطلقاً — ان سكن كل متحرك في الكون — انتفى الزمن معها . قد يتراءى لك هذا القول مستهجناً . ولكن اغرب منه القول بان الزمن (او الزمان بمعنى واحد) منتحل من المكان الذي هو منتحل من وجود المادة كما ستري فيما يلي :-

كيف نفهم الزمن ، او الوقت الذي هو في اصطلاحنا جزء من الزمن ؟ — مضيت صباحاً الى عملي . ثم عدت عند الظهر الى منزلك . فكيف عرفت ان الوقت صار ظهراً ؟ — قد تقول : رأيت الشمس تكبدت كبد السماء . صارت في السموت . تقلص ظلي حتى صار تحت قدمي . وقد كانت حين مجيئي الى عملي في الافق وظلي اطول مني . فكان الوقت صباحاً ، ثم صار ظهراً . فاما معنى الصباح والظهر عندك ؟ أليس معناها ان الشمس سارت من الافق الى كبد السماء — وبعبارة فلسفية ان الارض اتمت ربع دورتها على محورها . فاذاً . انت قست الوقت بحركة الارض على محورها ، او بانتقال الشمس المجازي من الافق الى السموت

قد تقول : ليس ضرورياً ان ارقب الشمس لكي اعلم مواقيت النهار . ارقب ساعتي فاعلم مواقيت النهار والليل جميعاً . حسن . استغنيت عن حركة الارض او مسير الشمس . ولكنك استعصت عن حركتهما بحركة عقرب ساعتك . فانت تقيس الزمن بحركة عقرب الساعة . ابدلت حركة بحركة . وهو امر يثبت لك ان الزمن ليس الاً قياس حركة المادة فقط . وقد تقول : اني استغني عن مراقبة الشمس وعن مراقبة عقرب الساعة فاعرف ميعاد الظهر من احساسي بمجرى عملي العمومي . اعرف اني قضيت من الاشغال ما يستغرق ٦ ساعات . فاقول بنفسني : صار الوقت ظهراً

اذن . في مقايسة الوقت او المدة لجأت الى حركتك في عملي الذي اعتمدت ان تنجزه في برهة ٦ ساعات (علمتها من حركة الارض) طالما قستها بحركة عقربي ساعتك . فاذاً لا مناص لك من قياس الوقت بالحركة . قد تقول متعنتاً : يمكنني ان انقطع عن كل عمل وألجأ الى غرفتي بعد ان اقبل جميع نوافذها وتصبح ظلاماً وابقى مدة في هذه الحالة . ومع ذلك احس بمرور الوقت . وقد استطيع ان اخمن المدة التي مرت علي في هذه الحالة

اقول ان فكرك في هذه المدة كان متنقلاً من موضوع الى آخر . وبهذا التنقل قست الوقت

نباشاً تقريبياً . فتنتقل فكرك هو نوع من الحركة . اذن الزمن الذي احسست به هو هذه الحركة . ولنفرض اننا خدرناك بالكوروفورم او بأي مخدر آخر بحيث لا تعود تشعر بشيء وبحيث تقف كل حركة فكرية لك . وبعد مدة منعنا عنك فعل المخدر فصحوت . فاذا سألتك : منذ متى غفوت ؟ لا ريب ان تجيب : اشعر اني كنت صاحياً منذ بضع دقائق ثم غفلت هنيهة قصيرة ثم صحوت . واذا قلنا لك انه مرت ساعة على نومك تندش لانك تمنتقد ان وقت غفلتك كان قصيراً جداً . ولانك لم تعد تشعر بحركة خارجية ولا داخلية ولا فكرية . فهل يبقى عندك شك بعد هذه الفروض بان الزمن لا وجود حقيقي له ، وان مانسميه زمناً ليس الا توالي الحوادث بعضها اثر بعض ؟ فلو توقفت كل حركة في الكون لم يعد للزمن معنىً بتاتاً . فكما ان وجود المكان مكتسب من وجود المادة ، كذلك وجود الزمن مكتسب من حركة المادة . وحركة المادة هي انتقال الجسم المتحرك من حيز الى حيز آخر في المكان . اذن فترات الزمان منتحلة من فسحات المكان . ولذلك نقيس الزمن والمكان بمقياس واحد نقيس المسافة المكانية بمقياس اصطلاحنا عليه كالتر مثلاً وكسوره السنقي والملي متر ، ومضاعفه الكيلو متر الخ . والمتر هو طول رقاص Pendulum يحظر ٨٦٤٠٠ خطرة كلما دارت الارض على محورها دورة كاملة . وهذا العدد هو عدد ثواني اليوم . ولذلك خطرة الرقاص المتري تساوي ثانية . نقياس المكان وقياس الزمان منتحلان معاً من حركة الرقاص

والغريب اننا نستعجن القول ان الزمن لا وجود له البتة وانه ليس الا مقداراً معيناً من الحركة ، في حين اننا في اعمالنا اليومية نقيس الزمن تارة بالمسافة المكانية واخرى نقيس المسافة المكانية بالمدة الزمنية . فنقول مثلاً : ان القرية تبعد عنّا مدة تدخين سيكارة ، وان المسافة بين القاهرة والاسكندرية ٣ ساعات بالسكة الحديدية . واغرب من ذلك ان بعض الناس في الولايات المتحدة يقيسون المسافة بالعملة فيقولون ان فيلادلفيا تبعد عن نيويورك ريالين ونصف ريال ، يعنون ان اجرة السكة الحديدية بينهما هذه القيمة النقدية

وحاصل القول ان الزمن او الوقت هو تعبير مجازي عن انتقال جسم من حيز الى حيز آخر بالنسبة الى انتقال جسم آخر من حيز الى حيز . جعلنا انتقال الشمس من افق الشرق الى افق الغرب ثم عودتها الى الافق الاول مقياساً للوقت سميناه يوماً . ثم قسمنا اليوم الى ٢٤ قسماً سميناه ساعات . ثم قسمنا الساعة الى ٦٠ جزءاً سميناه دقائق وقسمنا الدقيقة الى ٦٠ جزءاً سميناه ثواني . وجعلنا الثانية القياس الادنى لكل حركة اخرى . وما الثانية الا جزء من ٨٦٤٠٠ من دورة الارض على محورها . اي ما يقطعه هذا الجزء من محيط الارض في الفضاء . وبعبارة اخرى هو انتقال اي نقطة من خط الاستواء الارضي في الفضاء ٤٣٠ متراً تقريباً (وهو الخارج من قسمة ٤٠٠٠٠ كيلو متر محيط الارض على ٨٦٤٠٠ ثانية) . فانتقال هذه النقطة الارضية الاستوائية في انفضاء ٤٣٠ متراً بوقت انتقال الارض في فلكها حول الشمس ٣٠ كيلو متراً . وانتقال المريخ في فلكه ٢٤ كيلو متراً

وانتقال المشتري ١٣ وزحل ١٩ وكسور ونبتون $\frac{1}{5}$ تقريباً . ويواقت انتقال النور في الفضاء ٣٠٠ ألف كيلومتر ، وانتقال النظام الشمسي كله في قرص المجرة ٢٠٠ كيلو متر وهلم جرا — كل هذه الانتقالات تتم معاً في هنية واحدة نسميها ثانية

اذن الحقيقة اننا نقيس الزمن او الوقت بمسافة مكانية كما نقيس المكان نفسه بمسافة مقررّة منه . فالقياس للثلاثين واحد مقياس مكاني^(١) . اذا تصورت الكون ساكناً سكوناً مطلقاً لا حركة فيه البتة فلا تعود تستطيع ان تتصور مجرى الزمن . لا يبقى ماض ولا مستقبل . واذا قلنا ان الارض ولدت من الشمس منذ مليون مليون سنة عنيانا ان الارض دارت حول الشمس مليون مليون مرة

كيف يترجم الزمن بالمظهر

بجمل ، ما عرفت مما تقدم ان المكان هو الحيز الذي تشغله المادة ، وان الزمن هو تعبير عن قياس حركة المادة في المكان ، وان هذا القياس هو مسافة مكانية ، ومقياسه الاصطلاحي انتقال اي نقطة في خط الاستواء الارضي مسافة ٤٣٠ مترآ في اثناء دورة الارض على محورها ، او هو خطوة رقص طولها متر . وقد سمي ثانية — اما وقد عرفت ذلك فصار سهلاً عليك ان تفهم كيف ان الزمن مندمج في المكان بسبب تحرك المادة

هل تستطيع ان تنتقل في المكان من غير ان تنتقل في الزمان ؟ مستحيل . لماذا ؟ لان انتقالك هو خطوات متتابعة الواحدة بعد الاخرى ، وكل خطوة هي عبور مسافة مكانية . فعدد الخطوات هو تعبير عن الامتار التي عبرتها وتعبير عن الثواني التي امضيها ، لانه يواقت خطوات الرقص المتري او انتقال نقطة استوائية مسافة ٤٣٠ مترآ في الفضاء — اعني اذا فرضنا كل خطوة هي متر في ثانية فالتر هو خطوة والثانية هي خطوة ايضاً . وكلاهما تعبير عن حركة الانتقال

قد تقول : اذن يمكننا ان نستغني عن القياس الزمني للحركة ونقتصر على المقياس المكاني فنقول مثلاً ان اليوم هو ٨٦٤٠٠ خطوة (او متر) لان دورة الارض على محورها مرة واحدة توافقت هذا العدد من الخطوات وبتقسيم اليوم نجعل الساعة ٣٦٠٠ خطوة والدقيقة ٦٠ خطوة والثانية خطوة واحدة . نتكلم بالخطوات ومجموعات الخطوات بدل الثواني والدقائق والساعات

اقول : نعم ونحن فاعلون مثل هذا . وما سميننا ما يواقت الخطوة ثانية والستين ثانية دقيقة الخ الاصطلاحاً . ولا بد من هذا الاصطلاح لتحديد المقاس الزمني لاختلاف سرعات الاجسام . فاذا قلنا ان

(١) يؤيد هذا القول الحساب الرياضي : المسافة = ت الوقت مضروباً بالسرعة س هكذا م = س ت ومنه $\frac{م}{س} = ت$ اي ان الوقت يساوي المسافة مقسومة على السرعة : مثال ذلك : المسافة بين القاهرة والاسكندرية ٢١٥ كيلو متر او سرعة الاكسبرس ٧٥ كيلو بالساعة اذآ $\frac{٢١٥}{٧٥} = ٣$ ساعات و $٧٥ \times ٣ = ٢١٥$ كيلو متراً . أترى كيف دخل الوقت مع المسافة بالحساب فهما من طبيعة واحدة

النور يستغرق منذ صدوره من الشمس الى ان يصل اليها (٨ دقائق) ٤٨٠ خطوة عنيانا انه كلما خطوط انت خطوة (متراً) خطا النور ٣٠٠ الف كيلومتر أي ان خطوة النور تساوي ٣٠٠ مليون خطوة بخطوتك. فترى اننا نستطيع ان نصرف النظر عن اصطلاح الثواني والدقائق الذي تعودناه كرمز زمني ونعبر عن حركة الانتقال بالامتار لان الثانية والدقيقة الخ رمز مسافة مكانية كما تقدم . فلا يمكن ان نغزل الزمن عن المكان عزلاً يجعله مستقلاً . ولذلك اكرر القول ان الزمن هو مسافة مكانية كالمكان تماماً ولكن لان سرعات الاجسام والاجرام مختلفة عظيم الاختلاف نحن مضطرون ان نجعل اصطلاحاً خاصاً للتعبير عن هذه السرعات لكي نميزه عن الاصطلاح الخاص بالمسافات . فجعلنا الثواني والدقائق الخ لنعبر بها عن سرعة الانتقال (الحركة) وجعلنا الامتار والأميال الخ لنعبر بها عن مسافة الانتقال. ولكننا في حين تعبيرنا عن السرعات بالثواني والدقائق لا نستغني عن ذكر المسافة السكافية فنقول مثلاً ان سرعة القطار بالثانية ١٥ متراً وسرعة الارض بالثانية في فلكها ٣٠ كيلومتراً وسرعة النور بالثانية ٣٠٠ الف كيلومتر وهلم جرا . استنبطنا هذا الاصطلاح لقياس السرعات رأيت مما تقدم كيف ان ما نسميه زماناً يندمج تمام الاندماج بالمكان لانه يعبر عن تحرك المادة في الحيز. كما أن المكان يعبر عن وجودها في الحيز. وبعبارة اخرى ليس الزمن الا وسيلة للتفرقة بين وجود المادة وتحركها . وكلاهما في المكان

معنى البعد الرابع

بعد هذا البيان الواضح سهل عليك ان تفهم المراد من قولهم « بالبعد الرابع » فانت تعلم ان أي جسم او ذرة في الكون يتحدد موقعها في الفضاء بثلاثة ابعاد متعامدة فيها — ابعاد عن اجسام او ذرات اخرى . أي لا يكفي لتحديد موقعها بعدها عن جهة واحدة فقط ، ولا بعدها عن جهتين متعامدتين عندها فقط ، بل لا بد من اتجاه ثالث معامد للاتجاهين الآخرين وهي في نقط تعامدها جميعاً . هناك ينحصر موضعها . فاذا فرضنا انها سائرة (في خط مستقيم او خط منحزم) فالمسافة التي تعبرها هي البعد الرابع . لانه لما كنا نعبر عن عبورها هذا بالاصطلاح الزمني (الذي ينوب عن الاصطلاح المكاني للتمييز بين وجود الجسم في المكان وسرعته فيه) كما علمت صح القول بأن الزمن بعد رابع مكاني ايضاً^(١) وختام الكلام : الوجود هو مادة متحركة ، من خواصها « الزمكان » وفي مقتطف ابريل ١٩٣٣ مقال ضاف شرحت فيه قضية الابعاد الاربعة شرحاً وافياً فليراجع

(١) يؤيد هذا القول المعادلة الرياضية . هكذا : —

اذا رمزنا عن الابعاد الثلاثة بالاحرف ط (طول) ض (عرض) ع (علو وعمق) م (المسافة) التي يعبرها الجسم مستقلاً بابعاده (الثلاثة معه) كان لنا بحسب قضية فيثاغورس $ط^2 + ض^2 + ع^2 = م^2$ باعتبار ان المسافة هي وتر الجسم ذي الابعاد الثلاثة . والجسم هنا هو الحيز الذي يسير به الجسم المتحرك. وقد علمت في الحاشية السابقة ان $م = ت س$ اذا $ت = ط^2 + ض^2 + ع^2$ فترى ان الوقت دخل في حساب المكان كضلع فيه (تس) ولذلك عد بعداً رابعاً لا انكر ان هذه العملية الرياضية الصغيرة تحتاج الى شرح مسهب لكي يفهم القارئ العامي المراد منها . ولكن بكل اسف ان خطة المقتطف لا تسمح بهذا الشرح الذي قد لا يلد الا لنفر معدود من القراء

الفقرانه

نشيد من ملحمة له عنوانها غلواء

مضت أشهرٌ نُذِرَتْ لِمَطَرٍ وَأَظْلَمَ فِيهَا الْمَسَا وَالسَّحَرُ
وَأَقْبَلَ نَوَارُ - عَرَسُ الطَّبِيعَةِ - يَضْحَكُ فِي وَرَقَاتِ الشَّجَرِ
يَدْغِدْغُ بِالْظُلِّ عَشْبَ الْحَقُولِ وَيَطْبَعُ أَلْوَانَهُ فِي الزَّهَرِ
وَيَبْنِي عَلَى الْهَضْبَاتِ مَتَاحِفَ تَسْخَرُ مِنْ هَذِيانِ الْبَشَرِ
كَأَنَّ عِبَاقِرَةَ الْجَنِّ فِيهَا سَكَنَ وَعَلَقْنَ تِلْكَ الصُّوَرُ
نَخَفَ الشَّبَابُ نَدْيَ الْحَيَاةِ يَسْتَقْبِلُ الْحُلُمَ الْمُنْتَظَرُ
عَلَى ثَغْرِ بَسْمَاتِ الرَّبِيعِ وَفِي قَلْبِهِ بَسْمَاتُ آخَرُ

وَفِي يَوْمٍ عِيدٍ نَقَى السَّمَاءُ
أَطْلًا شَفِيقًا عَلَى الْهَضْبَاتِ
وَأَبْصَرَ غُلُوءًا بَيْنَ الزُّهُورِ
تَسْرَحُ فِي عَدْنِهَا نَظْرَاتِ
وَقَدْ لَبَسَتْ ثَوْبَهَا الزُّنْبُقِيَّ
وَأَلْقَتْ عَلَى الْعَشْبِ جَسْمًا هَزِيلًا
نَخَفَ إِلَيْهَا وَفِيهِ عَذَابُ
وَأَثْبَتَ فِيهَا عَيُونًا سَكَرَى
وَقَالَ: «لَقَدْ خَلَعَ الْحَقْلُ عَنْهُ
وَأَلْقَى عَلَيْهِ الرَّبِيعُ وَشَاحًا
فَهَلَّا خَلَعَتْ رِدَاءَ اللَّيَالِي
وَهَلَّا تَشَبَّهَتْ بِالْيَاسْمِينِ
لَقَدْ غَسَلَتْ بَسْمَاتُ الزُّهُورِ
وَعَادَ الْعَفَافُ إِلَى الْهَضْبَاتِ

كَأَنَّ السَّمَاءَ صَفْحَةً مِنْ سُورِ
فَرَاءَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا انْتَشَرَ
كُحُوءًا بَيْنَ شَهِيٍّ الثَّمَرِ
عَرَفْنَ أَزَاهِيرَ خَيْرٍ وَشَرِ
عَلَيْهِ نَسِيجَ بُلُونِ الْخَضِرِ
كَعَصْنٍ مِنَ الْيَاسْمِينِ انْكَسَرَ
بَدَأَ مِنْهُ فِي مَقْلَتَيْهِ أُرْ
نَجْمَدَ فِيهَا رَحِيقَ الْخَدَرِ
رِدَاءَ الشِّتَاءِ وَغَطَى الْحَجَرِ
جَالُ الطَّبِيعَةِ فِيهِ انْحَصَرَ
وَالْبَسَتْ رُوحَكَ ثَوْبَ الْبُكَرِ
فَمَا كَادَ يُحْجِبُ حَتَّى ظَهَرَ
ذُنُوبَ الشِّتَاءِ الْكَفِيفِ الْبَصَرِ
فَفِي كُلِّ غَرَسٍ «فَوْادُ غَفَرٍ»

فقالت : « أحاول أن أتناسى زماناً مضى وخيلاً عَبَرْتُ ... »
 فقال : « وماذا يمثل هذا الخيال ؟ »

فقالت : « غراماً عَشَرَ ! »
 فقال لها : « أوضحي ، بالسماء ! ... وهذا الغرام ؟ »

فقالت : « دَعَرْتُ ! »
 فقال ، وقد جحظت مقلتها : « وهذا ؟ »

فقالت : « حبيباً هَجَرْتُ ! »
 — وهذا الحبيب ؟ !

— غفرتُ له ... ويعفو إلهك عما بَدَرْتُ
 غَفَرْتُ كما غفرتُ في الربيع زهورُ الربى لشتاءٍ كَفَرْتُ
 ولكنَّ بي ندماً كاللهيب يريني الحياة خلالَ الشررِ !

.

وكان النسيمُ يهزُّ الغصونَ
 كأنَّ العطورَ خطايا عذاري
 ولما أفقنَ اعترفنَ بها
 وكان المساءُ على الهضباتِ
 وشمسُ المغربِ تعيرُ الظلالَ
 فقال شفيقٌ ، وفي قلبه
 « عشقتك ، يا غلَوُ ، عشقاً نما
 وكنتِ من الداءِ في نشوةٍ
 ظلاماً تَلَسَّستِ فيه الفناءَ
 وما ذاك إلاَّ لأنَّ فؤادك
 جهلتِ حقيقةَ وجهِ الهوى
 ولما سكرتِ بكذبِ الأغاني
 أفقتِ فلم تجدي في الكؤوسِ
 فينشرُ في الجوِّ عطرُ الزهورِ
 حُلْمٌ بثمارها في الحدورِ
 وقد هزَّهنَّ الضميرُ الطهورُ
 ينفثُ اشباحهُ في فتورِ
 ألوانها في مطاوي الصخورِ
 رجاءُ يموتُ وحبُّ يثورُ
 شقيُّ الرؤى في شواطئ صُورِ
 تريك الحياةَ ظلاماً ونورِ
 ونوراً تنشَّقت فيه العُورُ
 ما ذاق في الحبِّ صدقَ الشعورِ
 نجاتِ الهوى وجهَ مين وزورِ
 وعودتِ قلبك تلكَ الجورِ
 إلاَّ قذارةَ خمرِ الثغورِ

جهلت الهوى فنكرت الربيع
ومن لم يقدر له أن يشم
فقلت: « صدقت ولكنني
فأنت ترى في الربيع الجمال
وتبصر في الزهر لون الحياة
فقال: « ترين بعين القنوط
فهذا الربيع سيبقى ربيعاً
ولكن في أعين اليأسين
لئن كنت دلت تلك العيون
ولم تسمعي لغات العفاف
فقد كفر الدمع عمّا جنبت

وأهوى على صدرها باكية
وما هي إلا دقائق حتى
فأدنت إلى ثغره ثغرها
على مشهد من نقاء الزهور
فأحرق ثغره شفيق على

وإذ صعد البدر خلف الجبال
وهو مت الطير بين الغصون
ولم يبق يستمع في الحقل إلا
أفاق الحبيبان من سكرة
وظلاً من السكر في نزوات
إلى أن دنا موعد للفراق
كأن النجوم الضئيلة في الأف
كأن النجوم زفير خطايا

وذاب على الربوة العالية
لتحلم أحلامها الصافية
تنهد شبابة الراعية
الدموع إلى سكرة ثانية
تطهرها عفة باقية
واصفرت الأنجم الساهية
ق رشح خمور على خابية
تصعده ليلة زانية

بنيون الفنان

بين التصوير والشعر

للكونتور احمد زكي ابوساady

(١)

بلغت حماسة بنيون الغاية من الاندماج الأدبي في محاضراته الثانية واسترعى إعجاب المستمعين إلى درجة جعلت أحد أدباء الانجليز يقول لي مداعباً « إن بنيون يتحمس للفن الشرقي والفن الصيني خاصة تحمس صفوفه ابنائه المثقفين حتى كاد تذوقه له يحيله صينياً في سماته » استهل بنيون هذه المحاضرة بأسلوب درامي فقال : في سنة ١٢٩٥ بلغ وطنه (البندقية) ساحل من الشرق ، وكان قد تغيب في صميم آسيا مدى ست وعشرين سنة قضى معظمها في الصين في خدمة الفاتح المغولي كوبلا خان . وكان هذا الساحل ماركو پولو ، وقد استقبل في وطنه بارتياح أولاً ثم بهليل العجب والدهشة . وقد تزعم بعد ذلك بقليل إحدى السفن في معركة بين البندقيين والجنوبيين انتهت بأسره ، فلما كان في السجن أملى بياناً عن رحلاته وهو المشهور الآن باسم (كتاب ماركو پولو — The Book of Marco Polo) وكان هذا الكتاب الذي أثار احلام كولومبوس لبلاً ونهاراً وألهب بخواطر الوصول إلى الجزر الهندية عن طريق المحيط الغربي — كان هذا الكتاب أول كشف عن الصين والصينيين لأوروبا

كان الرومانيون في عهد الامبراطورية يستوردون الحرير الصيني ، ولكنهم لم يعرفوا عن أهل الصين إلا ما نقلته الرواية عن انهم شعبٌ ظريفٌ عجيبٌ في الجانب الاقصى من آسيا . ولكن ماركو پولو كان مبعوث سيده إلى جميع انحاء الامبراطورية الصينية ، وهو بفضل ذلك يضمن كتابه أدق التفاصيل عن كل ما شاهد وقد كان مشاهداً أريباً

وكانت مدينة هانج شو عاصمة الصين حينئذ في مبدأ انحطاطها لما رآها ماركو پولو ، ولكنها مع ذلك خطفت بصره وأذهلتها ! وهو الذي عرف البندقية والقسطنطينية يصف هانج شو بأنها أجمل وأنعم مدينة على الأرض بمحيطها الفسيح وبحسورها الصخرية التي بلغت الألفين فوق قنواتها العديدة ، وبجملاتها العامة ذات الماء الساخن وقد بلغت الثلثمائة ، وبرجال شرطتها البارعين ، وبأسواقها الكثيرة الحافلة بشتى المحصولات من كل مقاطعة ، وبأمرائها التجار الذين كانوا يعيشون ناعمين كالمملوك ،

وبتلك الكائنات الانيقة الملائكية : زوجاتهم ! وكانت شواطئ البحيرة التي قامت عليها العاصمة مزدحمة بالقصور والمعابد والاديرة . وقد احتشدت في الماء القوارب والصنادل كما ازدحمت الطرقات بمواكب لا آخر لها من العربات

وما هو حال السكان في هذه المدينة العجيبة ؟ يحدّثنا ماركو بولو انهم ما كانوا يحملون الأسلحة ولا يحتفظون بها في بيوتهم — وهذا هو المظهر الخارجي لحالة من المدينة الصادقة — وقد لاحظ بصفة خاصة أدبهم نحو الاجانب ورغبتهم في معاونتهم . فهذه هي جميع الامارات لا حضارة عالية فقط بل لما نسميه عهداً «عصريّاً» ، وفي الواقع وصف حديثاً أحد كتاب الفرنسيين ذلك العهد بأنه من فترات الانسانية الكاملة

(٢)

كان ذلك العهد الذي انقضى اثناء إقامة ماركو بولو في الصين عهد الدولة السنجينية . وسأتكلم بصفة خاصة عن الفن في ذلك العهد لان العبقريّة الصينية عبّّر عنها فيها كما يلوح لي أوثق التعبير . فأولاً يجب عليّ ان اقول كلمة عن السمة الفنية للتصوير الصيني : فاعدا التصوير الحائطية التي اندثرت جميعها تقريباً (وإن كان عددٌ منها نُقِلَ أخيراً الى اوربا وامريكا ، ويوجد نموذجٌ فاخرٌ منها في المتحف البريطاني) نجد ان التصوير الصينية منقوشة عادة على الحرير أو بعددٍ اقل على الورق ، وتُسَمَّع لها الصبغات المائية أو الحبر . ولم يُستعمل التصوير الزيتي الا بتأثير اليسوعيين ولكنه لم يزل حظوة لدى الصينيين

وقد أخذ المستر بنيون بعد هذا التمهيد يعرض أواجه المختارة بالفانوس السحري تمثيلاً لخصائص الفن الصيني وتطوُّره . فوجّه الانظار الى ان التصوير كان معدوداً فرعاً من الكتابة ، وكانت الحروف الصينية تكتب بالفرشاة ، وإجادة كتابتها كانت تستدعي مرآة فائقة و «استاذية» لم يظفر بمثلها الا القليلون من المصورين الاوربيين

وكانت الصورة الاولى عبارة عن رسم خيزران نام على صخرة وقد نُقِشت في القرن الثالث عشر للميلاد . فوجّه المحاضر الانظار الى الجمال في ضربات الفرشاة ، والى درجات التعبير والتظليل من أغمق السواد المصقول الى الاشهب الباهت الى السنجاني الفضي . وقد ذكر المحاضر انه كان يُطلب كثيراً الى النقّاش الشاب على سبيل التمرّن في استعمال الفرشاة ان يقلّد بنقشه ظل الخيزران في ضوء القمر على ستار ، وكان على النقّاش ان يرسم ذلك من مخيلته

وكانت الصورة الثانية عبارة عن رسم تقليدي الموضوع وهو مشهد القمر فوق الأمواج الصاخبة ، وقد ذكر المحاضر انه عرضها ليظهر وجهاً آخر من اوجه الفن الصيني ، خلافاً للمصورين الغربيين الذين قد يحاولون نقل المنظر الواقعي نجد ان المصور الصيني غني بالخصائص الجوهرية اكثر من عنايته بالمظاهر الخارجية للاشياء . ففي رسمه البحر ، كانت محاولته موجّهة الى نقل حركة

الماء الى المُشَاهِد للصورة اي التفعيل النظمي (الرّذم) الذي خُلِقَتْ منه الأمواج . وهذا ما يطابق النظرية الصينية في الفن ، فمذ القرن السادس الميلادي عُرِفَتْ في الصين المقاييس الستة للحكم على اي عمل فني كما وضعها احد رواده ، فكانت نهاية البراعة الفنية تلك التي يهبُ وحييها الحياة . وكان من المعترف به ان حركة الحياة إذالم تعرقها الظروف — رتيبة رذمية (مننظمة التفعيل او التوقيع) ، وانّ الواجب في العمل الفني الحقيقي ان يشمل الرّذم او التوقيع المثالي للحياة

وعرض المستر بنيون بعد ذلك عدداً من الصور المنسوبة الى الفنان كوكاي تشي الذي عاش في القرن الرابع ، وكانت هذه الصور بمثابة رسوم شرحت بها رسالة وجيزة ألفت في القرن الثالث بعنوان (تنبيهات قهرمانه القصر) ، والدفتر الحاوي هذه الصور محفوظ بالمتحف البريطاني . ونحن نلاحظ في صورة هذه القهرمانه او المربية ذلك الثبات المنسجم الذي ينتسب الى المدنية الصينية والذي يُعبر عنه كونفشيوس بقوله : « اعتمد في الحكم على التعليم والآداب الرضية اكثر من الاعتماد على القوانين والعقوبات . واذا وجدت كلمة يمكن ان تهدينا عملياً أثناء حياتنا كلها فربما كانت (الاحسان) » . كان كونفشيوس يبشر بدين الفرد في كل شيء الى المجتمع والدولة . وقد خلعت تعاليم لاوتزو Lao - tzu في ذلك القرن الرابع نفوساً كثيرة . ومعروف في السياسة العصرية تياران فكريان بتعارضان : فثمّة الفكر الذي يعتبر النظام اثن شيء في الدنيا ، وثمة الفكر الآخر الذي يعتبر الحرية أغلى شيء ، ولكن أتباع لاوتزو كانوا يطبقون نوعاً من المقاومة السلبية ، فلم يكونوا في كفاح مع الدنيا وانما انسحبوا منها . كان لاوتزو يقول . « لا تفعل شيئاً . وكل شيء يُفعل ! إن (لا شيء) أنعم واضعف من الماء ، ولكن لمهاجمة الاشياء الصلبة القوية لا يوجد شيء في قوته مثل الماء . . . » وبمثل هذه الخواطر الذهنية ثار كثيرون من الرجال البارزين على نمط الحياة الرسمية ، وحتى على فكرة الخدمة العامة ، وانتحوا أماكن بعيدة منعزلة في الجبال لغرس الاقحوان ، ولشراب النبيذ في ظل الأشجار ولعزف الموسيقى !

هكذا أظهر لنا المستر بنيون ذلك التجرد الرمزي وذلك البحث عن المطلق ، وهو ما كان يعدّ على ما يظهر لبّ الطاوية taoism أو كان قريباً من عقيدة استمدّها من الهند طائفة من البوذيين وهي طائفة زين Zen — طائفة التأملين — وامتزاج هذين التيارين الفكريين صبغ بلون خاص كثيراً من الفن في العهد السنجسي . وعرض المحاضر بعد ذلك صورة تمثل بوذا في سمات أبولو . وهذا الطراز ماثل في متحف لاهور . وقد تعرّض له كبلنج في قصته Kim —

(٣)

انتقل المحاضر بعد ذلك الى الحديث عن انتشار البوذية انتشار المظفر الغلاب من الهند الى الصحراء الاسيوية الوسطى ، الى الصين ، الى كوريا ، الى اليابان ، والى شواطئ المحيط الهادئ . وكانت تمتد خلال آسيا جميعها الطرق العظمى للتجارة حيث كانت البضائع الصينية الحربية تنقل

الى البحر الأبيض المتوسط ، وكان التجار من كل صنف يغدون ويزحون بين اوربا والشرق الاقصى والهند . ولكن نظراً لخدلان الجو والسقيا انقضت حول القرن الثامن تلك الواحات التي كانت كعقد منظوم في ذلك الطريق التجاري العظيم ، وقد جاءت الحفريات الحديثة بكثير من المكتشفات الرائعة عنها ، فمثلاً في مدينة تسنج هو الحج — وهي مدينة مسورة في احدى الواحات واقعة في نهاية الحدود الغربية للصين — وجدت سلسلة من الكهوف المحفورة في الصخر وقد ملئت بالتمائيل البوذية وبنظائرهما من التصاوير الحائطية . وفي احدى هذه الخزائن المقدسة اكتشف السير أورال استين في سنة ١٩٠٨ قبواً مخبوءاً كدست فيه مخطوطات وتصاوير حريرية بعد الآلاف . وقد كومت بعضها فوق بعض كوماً عمقها عشر اقدام ، معرضة للتخطم ، ويظهر انها خبئت هكذا في وقت دُعر عند احدى الغارات البربرية منذ ألف سنة مضت . وكثير من هذه الصور مودع الآن في المتحف البريطاني حيث استمدعت سنين من الجهد العظيم لتنظيفها وتنسيق أجزائها ثم لصقها على نظامها الاول بعد ان كانت في حالة من التمزق والتناثر تبعث على اليأس

وأردف المحاضر هذا البيان بعرض طائفة من هذه الصور وكلها ذات مناظر بوذية : فظهرت في احداها صورة بوذا راكباً عربة يصحبها الجن من الكواكب السيارة ، وفيها يلوح بوذا هندي الطراز بينما يلوح الجن صيني . وفي صورة اخرى منقولة عن علم صغير نرى مشهداً من الاسطورة البوذية اذ يرى بوذا يلتقي لأول مرة برجل مريض ، وفي هذه الصورة نجد كل شيء مترجماً الى الصينية — النماذج ، والملابس والتركيب الهندسي

(٤)

بدأ عهد الدولة التنجينية العظيم في القرن السابع وهو أول العهود الفنية التي تعيننا . أما العهد الثاني فالعهد السننجي ، وأما الثالث فالعهد المننجي . وقد بقيت كل من هذه الدول حول ثلثمائة سنة ، فكان الحياة الفنية الخطيرة في الصين شغلت تسعة قرون تقريباً ، اذ كان العهد التنجيني من القرن السابع الى القرن العاشر ، ومكث العهد السننجي من القرن العاشر الى الثالث عشر ، وامتد العهد المننجي من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر . وبين الدولة السنجية والدولة المنجية قامت دولة قصيرة العهد هي دولة اليوانيين أو المنغول وهي عهد كوبلا خان

ومن نماذج التصوير النادرة للدولة التنجينية عرض المستر بنيون صورة « القديس » وهي نموذج صادق النسبة الى ذلك العهد الذي ضاعت معظم آثاره الفنية ، ولذلك يشق علينا أن نحكم حكماً جازماً عن حالة الفن في ذلك العهد اعتماداً على الآثار الفنية الضئيلة التي بين أيدينا . ولكننا اذا اعتمدنا على ما سجله المؤرخون فاننا نميل الى الاعتقاد بأنه كان أعظم عصور النهضة الصينية في

القوة والسؤدد ومن أعظم عصور الفن في تاريخ الدنيا بأسرها . كانت الصين حينئذ في أوج سلطانها وكان حكمها ممتدًا غربًا حتى بحر قزوين ، وكان ذلك العصر أيضًا عصر أرقى الشعر الصيني . أما عن أعظم آثار التصوير البوذي فيرى المستر بنيون أنها بلا شك آثار الفنان وو - تاو - تزو (Wu Tao—zu) أشهر الاساتذة الصينيين . وثمة قصة عجيبة متواترة عن نهاية هذا الفنان ، فقد رسم منظرًا طامًا كبير الحجم على حائط في القصر الامبراطوري . وقد أسدل عليه ستارٌ أبيض لبزجة الفنان الى جانب لكي يرى الامبراطور ذلك المنظر الجامع لمشهد الجبال والغابات العظيمة وسيول المياه المنعطفة ولجاعة المرتادين للهار الصخرية وللطيور السابحة في الفضاء . فدهش الامبراطور أي دهشة لهذا المنظر الرائع . وشخص اليه مبهورًا ! فقال الفنان : « ولكن داخل المنظر أجل من خارجه ! » ثم صفق بيديه فانفتح باب كهف بين الصخور الأمامية ، وحينئذ خطا الفنان الى داخل عمله وأغلق الباب خلفه . وبينما الامبراطور يحلق مشدوهاً كان هذا الرسم الفني العظيم يبهت ويغيب عن الحائط دون أن يبقى أي أثر منه . فلم ير بعده وو - تاو - تزو مرة أخرى ! وهذه الاسطورة الرمزية البديعة السامية المغزى تحدثنا بأن الفنان يستحيل الى ما يخلقه ، وأن روحه تنتقل الى عمله

والمعروف أن جميع النثمائة من التصاوير الحائطية التي نقشها وو - تاو - تزو قد فقدت ، ومع أن قليلاً من التصاوير الحرة تنسب اليه فن المشكوك فيه كثيراً أن هذه التصاوير أصيلة ، ولعلنا نقرب من حقيقة القوة الفنية والحيوية العظيمة المنسوبة الى وو - تاو - تزو عند ما نتأمل مجموعة من الرسوم الخطية الماثورة عنه ، وهذه موجودة بين احدى المجموعات الخاصة في اوربا ، وهي مصداق افتتاح النقاد والمؤرخين بحذقه العظيم . وليست هذه الصورة مع ذلك من ريشة ذلك الاستاذ العبقري ، وإنما هي نُسخ من الصور الأصلية صنعها أحد الاساتذة البارعين في القرن الحادي عشر ، وربما كانت الصور الأصلية المفقودة صوراً حائطية . وهي تمثل بعض الاساطير الشعبية القديمة عن المردة التي تصارع الحيوانات ، ولم يعرف عن صور أخرى فاقها في قوة الرسم الخطي وفي التعبير عن القوة في الحركة . في ذلك الوقت نشأت مدرسة عظيمة للتصوير العام للطبيعة ، وكان أحد زعماء هذه المدرسة الفنان وانج ووي (Wang Wei) وقد كتب بحثاً في ذلك ، وسجلات هذا التصویر هي أشبه ما تكون بسجلات الموسيقى في اوربا الحديثة حيث تتناول موضوعات متقاربة ومتقابلة وتعرضها بعضها إثر بعض . وليس لهذا للطرز من الرسم مثيل في الفن التصويري

(٥)

انقضت الدولة التنجينية العظيمة في سنة ٩٠٥ م ، وبعد نصف قرن من الحكم بواسطة دول

قصيرة العمر دخلت الامبراطورية في عصر جديد من المجد الذهني — ذلك هو العصر السنجي الذي استمر كالعصر الاول الزاهر ثلثمائة سنة

وروح التصوير في هذا العصر الجديد روح التنبيه القوي . مثال ذلك أن نرى الازهار تغطس من الخارج في داخل إطار الصورة ، وأن نجد خيال نواردة محجوبة عن أعيننا مائلاً فوق الماء ، فيخلق هذا لخواطرننا دنيا من الاخيلة عيبر ما رى !

كان الجبال ينشد لذاته ، وكان يلحظ في اهون الاعمال وأحق الحرف والصنائع كما نرى في صورة الناسك الذي يقطع الخشب . وكان مشهد النوار لشجرة البرقوق مثلاً ، او مشهد الخطمية وهي ترتعش في مجرى الريح لا يقل في دلالة المعنوية والفنية لروح الفنان عن صورة احد المعبودات او واحد الملائكة !

نبغ هذا العصر اذن في فن التصوير الطبيعي العام ، وفيه وجد العصر اسمى الادوات لتعبيره الفني . فكان الجبل والضباب والجدول للفن في العصر السنجي بمثابة ما كان الجسم الانساني العاري للفن في العصر الاثيني . وهذا ما يجعل للفن في ذلك العصر شأنًا عديم النظير ، اذ لم يعرف في اي عصر آخر ولا في اي مكان آخر ان المناظر الطبيعية العامة اكتسبت مثل هذا الشأن بحيث تصير موضوعاً رئيسياً غلباً حتى كأنما تشن وروبنز ورمبرانت قد وهبوا جميعاً اعماق طاقاتهم الفنية وأقوى جهودهم لا لتصوير النماذج الجسدية بل لتصوير هذه المناظر الطبيعية ! وكانت الواح الصور التي عرضها المستر بنيون أثر ذلك شاهداً صادقاً على ان هذا الشعور العميق بروعة الطبيعة وحبا مما ميز الشعب الصيني منذ اقدم العصور . كان المصور الصيني بغير تعمد يكشف في تلك الصور عن ذهنيته وعن اسلوبه في النظر الى الدنيا والى الحياة . فاذا اردنا ان نفهم عقلية الفنانين في العصر السنجي فمن الميسور ان نالج اليها عن طريق شعر وردزورث . وقد يدهش البعض لهذا القول ، ولكن في اشعار الطاويين taoists الصينيين واقوالهم نجد تطابقاً عجيباً حتى في دوران التعابير لشعر وردزورث ، فنقرأ لهم امثال هذه التعابير « ان الدنيا شغلتنا اكثر مما يجب » و « السلبية الحكيمة » و « الباصرة الداخلية التي هي نعيم الوحدة » و « اني اعتقد ان كل زهرة تتمتع بالهواء الذي تستنشق » و « ان نفحة من غابة الربيع قد تعلمك عن الرجال وعن الشر والخير الادبي اكثر مما تتعلمه من جميع الحكماء » !

أليس غريباً حقاً ان يتفق هكذا في التفكير رجل من وهاد كبرلانند منذ مائة سنة ، واولئك الناس في الطرف الآخر من الدنيا منذ مائة والف سنة ؟ ! أليس هذا بمثابة شهادة مذهشة على تماسك الانسانية ؟ !

وقد عرض المحاضر بعد ذلك صوراً توضيحية لهذه العناية الفائقة برسم الطبيعة ، ووجه الانظار بصفة خاصة الى احداها حيث يبدو الاهتمام بالمنظر العام فوق الاهتمام برسم الاشخاص .

وفي الواقع كان الصينيون في العهد السنجي يعتبرون الخلوات الجبلية والسيول المتدفقة رفقاء الروح ، وهذا ما نلمحه مثلاً في صورة الجبل الذي يشمخ حتى يغيب في الضباب قمة بعد قمة كأنها الأوج بعد الأوج من مقاطيع ملحة شعرية عظيمة ، حتى لنحس بأن الطبيعة صارت مرآة الذهن الانساني ! ومثل آخر صورة «عودة الصياد» فكأننا حين نتأملها نتأمل كورو (الرسام الفرنسي الشهير للطبيعة : ١٧٩٦ - ١٨٧٥) وقد وصفت صورته بأنها عبارة عن قصائد شعرية منقوشة الوائاً ، كما عدت من اسمى النماذج في تألف الاصباغ وانسجامها وفي روحانيتها الفنية

ولعل الروح الصادق للفن الصيني هو ما رمز اليه احد كتاب الصين في القرن الثامن حين نعت نفسه بأنه « صائد السمك المسن في الضباب والمياه » ! لقد انفق وقته في صيد السمك ، ولكن هذا نوع من الانفاق الرمزي ، اذ انه لم يستعمل طعماً ولم يصطد سمكاً ! وقد سأله بعضهم : لماذا يتجول هكذا شريداً ، وعرض عليه سكناً مريحاً بدل الزورق الحقيق الذي يعيش فيه . ولكنه اجابه قائلاً : « ماذا تعني بجولاني وتشردي حينما السماء العلى بيتي ، والبدر الساطع رفيقي ، والبحور الاربعة اصدقائي الذين لا ينفصلون عني ! ؟ اني لا أؤثر ان اتبع زمّج الماء الى وطن السحب على ان ادفن نفسي السرمدية تحت تراب الدنيا ! »

ومن انفس الصور التي عرضها المستر بنيون صورة من ريشة — ما يوان Ma Yuan — ولعله اشهر مصوري الطبيعة عند الصينيين — وهي شبيهة من بعض الوجوه بصورة رمبرانت المشهورة « الطاحونة » ، ففي كليتيهما يبرز من الجانب شكل قائم هو اظهر ما في تركيب الصورة ، ولكن بينما وضع رمبرانت طاحونته القديمة تجاه الافق عند الغروب الباهت ، نزع ما — يوان الى شجر الصنوبر تلفحه الريح وقد شمخت فوقه بروج الصخور لممر نهر . وصورة اخرى استرعت الانظار لانها — كما قال المحاضر — شبيهة في موضوعها بصورة « جرس التبشير (Angelus) » للرسام الفرنسي الشهير ميليه ^(١) ، وهي واحدة من ثماني صور طبيعية في روحها ورمائها مما كان يرسم مثيله كل فنان صيني على ما يظهر في وقت ما من اوقات حياته الفنية . وموضوع هذا الرسم الصيني هو « جرس المساء من الهيكل البعيد » . وهو عبارة عن رسم تقريبي بالمداد يمثل الساعة حينما يخطو السائح نحو التلال التي تمثل آخر غاية رحلته فيسمع عن بعد جرس المساء ، ويتطلع الى اعلى فيرى النهار قد انتهى ورؤوس التلال آخذة تعتم في الغسق . ولكن الفنان الصيني لا يلجأ الى رسم الاشخاص لبيان قصته ، وحتى الجرس لا يبدو في الرسم ، وانما يكتب بالرمز اليه باظهار قبة الهيكل بعض الشيء من بين اشجار الغابة فوق التل ، مكتفياً بهذه الاشارة

ولما تقدم الفن الصيني واستكمل نضوجه ابتدع طريقة في تقسيم فراغ الصورة لم يكن لها مثيل

(١) هو غير سمي المولود في اتورب (١٦٤٢ — ١٦٧٩) وان كان كلاهما فرنسي الدم . ورسامنا الشهير مولود في جروش بفرنسا في سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٧٥ ، فيدهما يفصل قرن ونصف القرن

في عالم التصوير ، تلك هي طريقة « الموازنة » وهذا النوع من « التفرغ » الذي يبدو غريباً للعين الأوروبية كان يبدو لأول وهلة هوائياً ، ولكنه في الواقع ناجم عن نظام فكري للطوبية (واشهر ائمة هذه الديانة الصينية كان لاو — تسي Lo—Tse في القرن السادس قبل الميلاد ومن تعاليمه ان التأمل والتفكير المنطقي واجتناب العنف واغفال الشعائر المجردة هي وسائل التجدد) ، وهكذا أصبح الفراغ لا الامتلاء وحده ذا قيمة في التعبير الفني

وعرض المحاضر جملة صور لتمثل كيف انجب الخيال الصيني الرمزين الرائعين للتنين والبر ، وهي في تأليفها مثال للاستاذية البارة . وكانت الصور الختامية جميعها ممثلة لمشاهد الطبيعة . قال بنيون : « ان خلف جميع هذا الفن الصامت تكمن العقيدة الثابتة بأن الفن في جوهره اتصال ما بين ذهن وذهن ، واتصال خواطر وعواطف صهرت في مزاج واحد ومجال التعبير عنها لغة . وفي طاقة المشاهد ان يبلغ الى صميم ذهنية الفنان بواسطة الاثر الفني الصادق ، ثم عن طريق هذا ايضاً الى العمق والفراغ ، الى الافق غير المحدود للحياة العالمية ، وما لم تكمل هذه السلسلة من الارتباطات فان الصورة تعد كأنها غير موجودة او غير مستكملة الوجود . وهي لا تكتسب حياتها الكاملة الا في اذهان من يتأملونها منا ، ولن يزهر تفكير الفنان الا فينا ، ولا يولد عمله الجليل الا في نفوسنا . ومن هذا تظهر قيمة التوكيد للنصيحة النقدية التي توجه دائماً عن اهمية استعداد الناظر وتهيئة نفسه للتأمل في العمل الفني ، وذلك باخلاء ذاته ليملاها كل الاثر الفني ، طارحاً من ذهنه جميع الفروق الدخيلة ، بحيث يدخل فكر الفنان دخول ضيف في غرفة هيئت للترحيب به »

ازاء هذه الخواطر الفياضة يمكننا ان نفهم كيف ان هذا الفن استحال شيئاً فشيئاً الى جهد لقمع المادة واذابتها في فكرة ، وللتعبير بالاشارة عن المعنى الرواغ وعملا لا يمكن وصفه . والشئ الوحيد الذي عد ضرورياً للعمل الفني هو ان يجلب معه بذرة اللقاح بحيث يزهر في ذهن من يتأمله

(٦)

يتضح مما تقدم ان الهام التصوير في العهد السنجي يتنقل ما بين سر لم ينج به كاملاً ، وعواطف وخواطر لا نعرف مصادرها وانما تأتي الينا في حالات خاصة واما كن خاصة ، وذلك الامتلاء الحيوي الوقتي الذي يبدو كالاسترداد لانسجام مفقود بين الانسان والطبيعة

وحول اواخر الدولة السنجية اخذ التصوير يتحول تحولاً مدرسياً . والتقليد المدرسي في التصوير الغربي يعني بالاشخاص وبموضوعات البطولة (كما توصف) وهي موضوعات معرصة لان تصير جد متعبة ، وأما الروح المدرسية في التصوير الصيني فقد لجأت الى تحويل الرسم التقريبي التأثيري بالمداد الى طابع مألوف خاو وهكذا استحال الى مجرد تسليم واطراد

وفي الدولة اليوانية التي جاءت بعد ثم بالاكثر في الدولة المنجية (من القرن الرابع عشر

الى القرن السابع عشر) — بالرغم من وجود فنّانين بارعين — أخذت النزعة الفنية العامة تتحوّل تحوّلاً بطيئاً غير محسوس الى التعلّق بالمظاهر وبالزخرفة وبالصبغة بدل ان تكون عميقة وبسيطة. بيد اننا نجد في ادوار الفنّ الصيني الاخيرة — جنباً الى جنب مع التقليد المدرسي الذي تتكرر معه الطرائق القديمة والأغراض القديمة — نزوعاً الى الثورة

وختم المستر بنيون محاضرتَه النفيسة بقوله: «ولكنني اريد أن أختِم بشيء مثاليٍّ للعبقريّة الصينية في مظهرها المدرسيّ (الاكاديمي)، فلنعدّ الى العهد السنجي». وهنا عرض صورته الأخيرة التي تمثّل طائفة من البلشون (مالك الحزين) ثلجية البياض مستولية على شجرة صفصاف وفيها يتجسّس جمال الفنّ الصيني في طلاقته وفسحته وحركته وانسجام فراغه، قائلاً: «وكأننا نشترك حياة تلك الطيور وهي تخرج من الصورة وتدخل فيها! ولو حاولت أن تقتطع بعض ذلك الرسم لشعرت فوراً بالتدخل فيه كأنما شيء حيّ قد شوّه! وكيفما كان قصورُ الفنّ الصيني — واني لم أعرّض إلا لوجهه واثنين من وجوهه — فلا يستطيع أحدٌ ان ينكر صفته الفنية كفنّ خالص. ولكن الفنّ الصيني لا يعيش لزخرفته الجميلة فقط فانه مثل دنيا لم يكشف بعد إلا عن نصفها، حينما نظلّ دائماً نعجب بنضارة خواطرها ومشاعرها التي تزهو منها، هي الايجاء والالهام اللذان منحهما لأنفسنا اليوم»!

ولا نزاع في أن موضوع الفنّ الصيني موضوع مشوّق جدّاً لانه مشبع بدراسات متنوعة متعددة، وقد اقتصرت محاضرة المستر بنيون على ناحية التصوير في أسلوب عرضي قصصي مقارن، ولا يجوز لعارف اللغة الانجليزية أن نفوته مقالة بنيون نفسه في الجزء الخامس من الطبعة الرابعة عشرة لدائرة المعارف البريطانية (ص ٥٧٥ — ٥٧٩) ولا كتابه المسمى (المصورون في الشرق الأقصى Painters in the Far East) فضلاً عن اهم المؤلفات الممتعة في هذا الموضوع واخصها بالذكر كتاب جايلز Giles في التقديم لتاريخ الفنّ الصيني التصويري Introduction to the History of Chinese Pictorial Art وكتاب أمورا S. Omura عن المصورين الصينيين (Chinese Painters) لقد كان بنيون بمثابة رسول يبشر لنا بجمال الفنّ الشرقي، فما احرانا بالتطلع الى روعة الشرق وان كان للغرب سحره وجاذبيته^(١)، فان من يفسد متعة الجمال الفني يتقصاه في الاقطار والاجيال على تباين اللغات والاديان كما ضرب لنا المثل الحي على ذلك شاعرنا المحاضر الفنان

(١) راجع ما تنشره مجلة (آسيا) Asia بين وقت وآخر من بحوث عن الفن الشرقي. انظر مثلاً عدد يونيه سنة ١٩٣٤ وما ذكر فيه عن مدرسة بالاك الروسية وتأثرها بالفن الصيني وعدد ابريل ١٩٢٦ عن الفن الياباني

التحليق بمنطاد

الى علو ستين الف قدم

تنزل قصة غزو الانسان لطبقات الجو العليا من كتاب المغامرة في صفحة من اعجب الصفحات. فمن نحو ثلاثين سنة حلق رائدان المانيان بسلّم مدلى من بلون الى علو ٣٥٤٢٠ قدماً فحسب تحليقهما من العجائب. ولكن الانسان لا يستطيع العيش طويلاً حيث مقدار الاكسجين في الهواء قليل، وهذان الرائدان كادا ان يلقيا حتفهما فظلّ عملهما هذا لا ندّ له مدة عشرين سنة ولكن ارتفاع الطائرات، واستنباط اسطوانة خاصة تجهز الطيار بالاكسجين عند ما يقل هذا العنصر الحيوي في الهواء، مهّدا للانسان طريقاً جديدة لغزو طبقات الجو العليا. خلّق الطيار الفرنسي لوكوانت Lecoq سنة ١٩٢٣ بطيارة الى علو ٣٦٥٢٠ قدماً. ومن ثم مضت الامم تقبّاري في هذا الميدان فاحرزت امم مختلفة قصب السبق فيه الى ان كانت سنة ١٩٣٤ اذ حلق دوناتي Donati الايطالي الى علو لم يبلغه احد قبله ولا بعده، بالطيارة، وهو ٤٧٣٥٠ قدماً. وكان غراي الاميركي قد حاول ان يفوق من تقدمه مرتين باستعمال المنطاد فاضطر في الاولى ان يقفز بمظلته بعد ان بلغ ارتفاع ٤٢٤٧٠ قدماً ووجد في الثانية ميتاً في سل المنطاد وقد تعطل جهاز الاكسجين فلما استنبط الاستاذ بيكار البلجيكي الكرة المعدنية المحكمة الاقبال، المدلاة من البلون بامراس، تغير وجه هذا الضرب من المغامرة او الرياضة. ذلك ان انطيار يستطيع ان يجلس الآن داخل الكرة بمنجى عن هبوط الحرارة وقلّة الاكسجين خارجها، معتمداً على اجهزة في الداخل تجعل جو الكرة جواً طبيعياً، ثمّة مادة كيميائية تمتص ثاني اكسيد الكربون الذي يزفره واخرى لامتصاص الرطوبة واسطوانات خاصة لتجهيزه بالاكسجين. فاصبح الارتفاع الذي يبلغه غزاة الجو بعد استنباط بيكار لا يتوقف على جلد الطيار، بل على حجم البلون الذي تدلى منه هذه الكرة العجيبة بلغ بيكار في مغامرته الاولى (سنة ١٩٣١) ارتفاع ٥١٧٧٥ قدماً وفي رحلته الثانية (سنة ١٩٣٢) ارتفاع ٥٣١٥٠ قدماً وهما ارتفاعان لم تبلغهما اية طيارة بعد. وتلت محاولتي بيكار محاولتان في روسيا ومحاوله في بلجيكا وثلاث في الولايات المتحدة الاميركية. وقصب السبق في هذا الضرب من التحليق للكومندور ستل Settle والكابتن فورديني Fordney الاميركيين احرزاه في سنة ١٩٣٣ اذ حلقا بمنطاد «قرن التقدم» الى ارتفاع ٦١٢٣٧ قدماً. ومما يؤسف له ان الطيارين الروس بلغوا في

تحليقهم الى علو ٧٢ الف قدم ولكنهم لم يعودوا احياء الى سطح الارض وعودة الطيارين احياء الى سطح الارض شرط اساسي في احراز قصص السبق

الا ان التحليق الى أقصى ارتفاع مستطاع لم يكن بمقدوره الغرض الذي رمت اليه المحاولات المختلفة في بلجيكا وروسيا واميركا بل كان المنطاد في كل حالة قد جهز بأدوات علمية متباعدة غرضها الكشف عن بعض الاسرار الطبيعية التي يمنعنا عن كشفها الدثار الهوائي الكثيف المحيط بالارض ولعل القارئ يدرك ما تقتضيه محاولة من هذا القبيل وما تتجه اليه من الاغراض من وصف رحلة قام بها المنطاد الاميركي (اكسپلورر Explorer) في صيف السنة الماضية

كان الغرض من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، الكشف العلمي . ولذلك كانت الادوات العلمية التي جهز بها — وبعضها صنع له خاصة — تزن اكثر من طن . ففكرة المنطاد كانت في الواقع معملا علميا محلقا في الجو . ولما كان الهواء في طبقات الجو العالية لطيفا كل اللطف ، وضغطه هناك لا يزيد على جزء من ١٥ جزءا من ضغطه على سطح الارض ، كان لا بد من جعل كيس المنطاد كبيرا حتى يستطيع ان يحمل بعد انتفاخه ، كرة من المعدن فيها ثلاثة طيارين عدا الادوات العلمية فالمنطاد الذي حلق به بيكار كانت سعته ٥٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز . والمنطاد الذي حلق به « ستل » و « فوردني » كانت سعته ٦٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة . ومنطاد الروس كانت سعته ٩٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة . اما هذا المنطاد — الاكسپلورر — فكانت سعته ٣٠٠٠ ٠٠٠ قدم مكعبة وكانت الجمعية الجغرافية القومية الاميركية بالاشتراك مع سلاح الطيران الاميركي ، قد عينت لجنة من العلماء لوضع برنامج علمي لرحلة المنطاد فخصرته في اربعة اغراض : —

(اولا) دراسة الاشعة الكونية — (ثانيا) تحديد مكان طبقة الاوزون في الطبقة الطخروورية (Stratosphere) — (ثالثا) تركيب الهواء على مرتفعات مختلفة من الطبقة الطخروورية — (رابعا) المقابلة بين اقيسة الارتفاع المعينة بطريقة التصوير الفوتوغرافي لسطح الارض من عل ، والاقيسة المعينة بالاعتماد على ضغط الهواء (البارومتر)

وقد اشتركت طائفة كبيرة من علماء اميركا في إعداد أفضل الأجهزة العلمية لتحقيق هذه الاغراض . بل أن هذه الرحلة من أولها الى آخرها آية من آيات التعاون في سبيل العلم . فالجمعية الجغرافية القومية تعهدت بتسديد نفقات الرحلة ، وسلاح الطيران الاميركي بانتداب ثلاثة من اربع طياريه للقيام بها ، وقد اشتركت السلطات العامة والمحلية في اختيار ميدان لملء المنطاد بالغاز واعداده وتجهيزه بوسائل الاضاءة والحراسة والمخاطبة السلكية واللاسلكية والمعالجة والوقاية من النار والابناء بحالة الجو

ولما تمت المعدات في ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٤ ووردت الانباء من رصد الجو ان الحالة الجوية على خير ما يمكن ان تكون ، أخرج كيس المنطاد من مخبأه ، وبدأ ملؤه بغاز الايدروجين في الساعة

الثامنة مساءً فلما كان منتصف الليل كان كيس المنطاد يحتوي على ٢٠٠ ألف قدم مكعبة من الغاز مع أن سعته ثلاثة ملايين قدم مكعبة . وتفسير ذلك أنه إذا أخذ المنطاد في الارتفاع ، تمدد الغاز . فإذا بلغ الغاز مدى سعة المنطاد من التمدد ، اخذ يخرج من صمامات خاصة بذلك . وكان المقدّر أن يرتفع هذا المنطاد الى ٦٥ ألف قدم . وعند هذا العلو يكون الغاز الذي فيه قد بلغ في تمدده سعة المنطاد الكاملة فيشرع في التسرب منه . لذلك اكتفي بملئه بما مقداره ٧ في المائة من سعته التامة . ويقول الذين رأوا المنطاد عند أول تحليقه أنه كان يشبه علامة كبيرة من علامات التعجب !

ولما تمّ فحص معدات المنطاد جميعها ، صعد الماجور كينز والكابتن ستيقنز والكابتن اندرسن الى الكرة ، وكان قرن الغزالة قد ذرّ ، فأصدر الماجور كينز أمره باطلاق المنطاد من القيود التي تقيده بالارض . فهتف عشرون ألفاً من الاميركيين كانوا قد احتشدوا هناك لمشاهدته

كانت الخطة ان يترى الطيارون قليلاً في تحليقهم عند ما يبلغون ارتفاع ٤٠ ألف قدم للقيام بالارصاد العلمية ثم يتوقفون ثانياً عند ما يبلغون ارتفاع ٦٠ ألف قدم . ثم بعد ذلك يرتفعون الى أقصى ما يمكن ان يبلغه المنطاد وهو ٦٥ ألف قدم . وقد تمت المرحلة الاولى بحسب البرنامج المتفق عليه . ثم مضوا في التحليق رويداً رويداً ، حتى أمّوا المرحلة الثانية ، وكان كيس المنطاد قد انتفخ فاصبح كرة عظيمة وقد تدلت منها كرة صغيرة . فتطلع أحد الرجال من ثقب في أعلى الكرة المعدنية الى الكيس الكبير ، فوجد فيه شقوقاً دلّت على أن الحيلة تقضي بالاستغناء عن التحليق الى علو ٦٥ قدماً لئلا يتسع الخرق بازدياد انتفاخ الكيس . ولذلك بعد أن قضوا نحو نصف ساعة على ارتفاع ٦٠ ألف قدم ، اخذوا يهبطون رويداً رويداً الى ان بلغوا ارتفاع ١٨ ألف قدم فخرج الرجال من الكرة — لان التنفس على هذا العلو طبيعي لطيارين مجرّبين — الى سطحها وقد لبس كل منهم مظلته الواقية ، وراقبوا الشقوق في كيس المنطاد ، فأروها قد اتسعت . ثم ما لبث القسم الاسفل من نسيج الكيس ان سقط على الكرة واصبح في مستطاع الرجال أن ينظروا الى داخل المنطاد ، فاذا هو أشبه ما يكون بمظلة (باراشوت) الكبيرة . ولكن وجه الخطر في ذلك ان ايدروجينه كان قد أخذ يختلط بالهواء ، وخليط الايدروجين والهواء ، خليط متفجر ، فلما كان المنطاد على ثلاثة آلاف قدم فوق الارض حدث انفجار نصف الكيس ، واخذت الكرة المعدنية تسقط كأنها جامود صخر منقض . ولكن الرجال كانوا متأهبين للخطر ، فقفزوا في الهواء معتمدين على مظلاتهم الواقية ، وسقطت الكرة في حقول الخنطة ووصل الرجال سالمين الى الارض

وكان الظن في البدء ان الادوات العلمية تحطمت جميعها ، وان الشرائط السينمائية التي دونت عليها الارصاد تدويناً فتوغرافياً قد تلفت لتعرضها للضوء بعد السقوط ولكن المجلة العلمية الشهرية تقول ان جانباً كبيراً من الارصاد قد حفظ ، والمعدات تعدّ الآن لرحلة اخرى في الصيف المقبل بمنطاد تكون سعته ٣٧٠٠٠ ر ٣٧٠٠٠ قدم مكعبة ويملاً كيسه بالهليوم بدلاً من الايدروجين منعاً لخطر الانفجار

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرميحاني

[اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عن لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز اذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة او الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدميحاني]

شجر الأراك

وهو شجيرة ملساء اوراقها متعابلة كاملة الحافات ثخينة ولها ملمس الجلد مستطيلة . واذا مضغت كان طعمها كالخردل فلا عجب اذا سماها الانجليز في لغتهم بشجرة الخردل. وزهرها صغير جداً ابيض مخضر يوجد في عناقيد باطراف الاغصان او في آباط الاوراق . وثمرتها اكبر من الحبة قليلاً^(١)
اسمها العلمي (Salvadora persica, L) (سالفادورا پرسيقا) وفصيلته الاراكية (Salvadoraceae)
(سالفادوراسية) وبالانجليزية (The mustard-tree) وبالفرنسية (Salvadore)
وهو بري نادر في الصحاري المصرية في الارض الكاسية ولكنه ذائع في السودان وفلسطين وبلاد العرب وغيرها

واهل السودان يستأكون بالفروع وهذا ما يعرف عند العرب وعندنا بالسواك . ويعتصرون من البزور زيتاً اخضر . ويستعملون خلاصة ما يغلي من قشرة الشجيرة طبياً لأمراض الجلد . ويأكلون الثمار ويقال أن الشجيرة تنتج نوعاً من الراتنج او الصمغ نافع لصنع (الورنيش)

شجر الأثل

ويقال له (العبل) و (الحطب الأحمر) . في بلاد النوبة والسودان (الفارق) و (العبل) و (الطرفا)

(١) في تاج العروس انما عند العرب الجهاض او الجهاد او البربر او المرد او الكباش

وهو شجر تتصل فروعها ببعضها اتصالاً مفصلياً وورقه ضئيل تبدو الطائفة من اغصانه الصغيرة كمفصلة الريش المعروفة وزهره مبعثر بلا نظام في سنابل رفيعة طويلة
اسمه العلمي (*Tamarix articulata*, Vahl.) (تاماريقس ارطيقولاتا) وفصيلته الطرفائية (*Tamaricaceae*) (تاماريقاسية) وبالانجليزية (*Tamarisk*) وبالفرنسية (*Tamaris*)
والأثل موحد في مصر في الأراضي الرملية والملحية وفي السودان وفي جنوب المنطقة الاستوائية وشمال افريقية والشرق الادنى الى الهند
ينتفع بخشبه للوقود ويصنع منه فخم وخشبه أبيض متوسط الصلابة واذا احرق وهو اخضر تصاعدت من دخانه رائحة كريهة

وفي السودان يستعمل عصفه في الصباغة واللباغة ويسمونه (البيجيم) وهو بالفارسية (كَزْ مازِك)^(١) ونقل الى العربية (جَزْ مَازِج) أو (حَند مَازِج) أي ثمرة الأثل وتوجد من الأثل أنواع أخرى أهمها نوعان بمصر والسودان وبلاد العرب وسوريا وهما (*T. nilotica*, Ehrb.) (تاماريقس نيلوتيقا) وهو شجرة توجد في الأراضي الرملية وعلى ضفاف الترع اوراقها كعشور السمك وفروعها دقيقة قائمة وزهرها أبيض أو أبيض قرمزي مكتمل في عناقيد بأطراف الفروع . والثاني (*T. mannifera*, Ehrb.) (تاماريقس مانيفرا) شجرة تنمو على الشواطىء البحرية اوراقها كما في النوع السابق وزهرها في سنابل كثيفة

وبوجد في الهند (*T. indica*, Rox. v. *T. gallica*, L.) (تاماريقس انديقا أو تاماريقس غاليقا) وفي بلاد العرب وبلاد البحر الابيض المتوسط أيضاً وينتفع طبيياً بما يفرزه من السكر المعروف (بالمن العربي) قيل إن افرازه ناتج عن وخز حشرة (*Coccus manniparus*) (قوقوس ماننپاروس) وهو غير (الترنجيبين) أو (التره نيابن) أو (الترانجلين) أو (المن الفارسي) الذي يفرزه نبات آخر اسمه (الحاج) المعروف في مصر (بالعاقول) أو (شوك الجمال) من الفصيلة البقلية وهو غير (الشيرخشت) أو (المن الخراساني) الذي قيل إنه من نوع شجر من الزيتون وغير (المن الصقلي) الذي يفرزه نوعان من شجر (لسان العصفير أو الدردار) من الفصيلة الزيتونية وغير (المن الصمغي الاسترالي) الذي يفرزه نوع من شجر (الاوكاليمتوس) من الفصيلة الآسية وغير (المن الكرديستاني) الذي يقال بأنه من نوع شجر من البلوط من الفصيلة البلوطية الى غير ذلك من انواع المن المختلفة. هذا وكثيراً ما تسمى جميع انواع المن (بالشيرخشت) وهي كلمة فارسية نقلت الى العربية اما المن الذي انزل على بني اسرائيل فقد قيل فيه ان كلمة (manna) الافرنجية ويقابلها (من) بالعربية اصلها مشتقة من كلمة (man-hu) العبرية ومعناها بالعربية (ما هي ؟) للاستفهام او التعجب

(١) قال الرئيس بن سينا في القانون السكر مازك حب الاثل وهي كلمة فارسية اي عصف الطرفاء ومازك بالفارسية هو العفص وكر تعريب كج وهو الاعوج وكأن تفسيره العفص الاعوج

فاذا صح ذلك فهي دلالة على ما كان عليه بنو اسرائيل من الدهشة والجهل بحقيقة تلك المادة اثناء وقوع المعجزة

وعليه فالقول بأن من بني اسرائيل كان من المن العربي افتراضي محض خصوصاً وقد قيل في وصفه في بعض المراجع انه (كان ابيض شبيهاً بيزور الكزبرة)

وتقول بعض المصادر العربية إنه ظل كان ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويحفر جفاف الصمغ كالشيرخشت والترنجيبين. وفي الصحاح المن كالترنجيبين . وفي المحكم ظل ينزل من السماء وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بني اسرائيل. وقال الليث المن كان يسقط على بني اسرائيل من السماء اذ هم في التيه وكان كالعسل الحامس (الشديد) حلاوة . والمعروف بالمن عند الاطباء ما وقع على شجر البلوط

وقال الألويسي والمشهور ان المن الترنجيبين وهو شيء يشبه الصمغ حلو مع شيء من الحموضة كان ينزل على بني اسرائيل كالطل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس في كل يوم الا يوم السبت وكان كل شخص مأموراً بأن يأخذ قدر صاع كل يوم او ما يكفيه يوماً وليلة ولا يدخر الا يوم الجمعة فان ادخار حصة السبت كان مباحاً فيه وقيل المراد به جميع ما من الله تعالى به عليهم في التيه وجاءهم عفواً بلا تعب واليه ذهب الزجاج ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم السكامة واسمها بالانكليزية (Truffle) من المن الذي من الله تعالى به على بني اسرائيل

نبات الفوة

الفوة عشب اخضر برّاق له ساق زاحفة تكون قصيرة احياناً وله سوق هوائية منتشرة قد تنساق بأشواك قصيرة توجد على حافات الاوراق وعروقها او على زوايا الساق الرباعية الضلوع وعروقها الجذرية قرمزية اللون تقريباً شحمية وامتدادها في الارض اطول من السوق . وأوراقه في دوائر بكل منها اربع او ست . وورقته بيضيه مستطيلة طوله من ٢ - ٣ سنتيمتر ولها ذنيب (عنق) قصير جداً او جالسة تقريباً . وزهراته صغيرة مصفرة تميل الى الاخضرار في عناقيد ابطية او طرفية غير مكتملة اطول بكثير من الاوراق . وثماره صغيرة سوداء . وهو من الاعشاب المعمرة

اسمه العلمي (Rubia tinctorum, L.) (روبا تنكتوريوم) وفصيلته الفوية (Rubiaceae) (روباسية) وبالانكليزية (Dyers' Madder) وبالفرنسية (La Garance)

والعرب يطلقون الفوة على العروق (الجذور) وهي التي تستعمل في الصباغة للحصول على اللون الاحمر وذلك من قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء فهم يسمون عروق النبات باسمه كما ورد في المعجمات

والقوة تزرع في بلاد البحر الابيض المتوسط وفي الهند وقد كانت تزرع في مصر ابتداء من سنة ١٨٣٣ من النباتات التي ادخلها محمد علي باشا ثم ابطلت زراعتها بعدئذ والجذور تجفف وتسحق وتستعمل في الصباغة ويطلق عليها (قوة الصباغين) او (العروق الحمر) أو (عروق الصباغين) وتدخل في صناعة المداد المسمى (اليزارين) (Alizarin) وقد استعيض عنه بالاليزارين الصناعي المستخرج من قطران الفحم الحجري وللforce استعمالات في الطب ويوجد منها انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وامريكة وافريقية

كوكب الوعر

عشب معمّر اغصانه ترتفع ٢٠ سنقيمتراً وأوراقه بيضية الشكل مستطيلة تكون دوائر على الساق في كل منها ٨ اوراق وزهراته ذكية الرائحة جداً بيضاء اللون مجمعة في نورة مشطية ثلاثية الشعب

اسمه العلمي (*Asperula odorata*, L.) (اسبرولا اودوراتا) وفصيلته القويّة (*Rubiaceae*) (روبياسية) وبالانجليزية (*Woodruff*)

وبالفرنسية (*Asprule odorant, hépatique étoilée; reines de bois*)

وتحتوي زهراته زيتاً طياراً فيه كثير من مادة (القومارين) (*Cumarin*) يحضر منها شراب قرمزي اللون بألمانيا يسمى (مترانق) (*Maitranck*) له استعمالات في الطب وهو ينبت في الغابات الجبلية بأوربا وآسيا وشمال افريقية

الغاليون الاصفر

ساقه قائمة او صاعدة خشنة اسطوانية وأوراقه منعكسة رفيعة ملساء خضراء اللون لامعة من اعلاها ومائلة الى اللون السنجابي من اسفل ووبرية وتكون دوائر على الساق في كل منها من ٦-١٢ ورقة وزهراته صفراً فاقعة تكون سنبلة متفرعة طرفية . اسمه العلمي (*Galiumverum*, L.) (غاليوم وروم) وفصيلته القويّة (*Rubiaceae*) (روبياسية) وبالانجليزية (*Cheese-Rennet*) وبالفرنسية (*Caillet-lait jaune*)

ويطلق عليه (عشب الإنفحة) من قديم لأن بعضه يخثر اللبن (يجعله جامداً) اذا وضع فيه وله استعمالات في الطب ويوجد من الغاليون انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وافريقية

التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

للككتور حسن كمال

أكرام الاساتذة

والآن ننتقل الى موضوع اكرام اجدادنا لاساتذتهم وشدة احترامهم اياهم ومنه يتضح عظم تقديرهم للعلم وشدة ولعهم بالتعليم ومعاهدة. ولا ادل على ذلك من اراد خطاب كتبه طالب الى استاذة ورد بقرطاس انسطاسي^(١) وفيه يتجلى الشعور الرقيق والاحترام والحب الذي كان يغمر قلوب التلاميذ نحو معلمهم. واليكم تعريبه : —

« الى الاستاذ . . لقد تعهدت تربيتي في طفولتي وكنت تضربني على ظهري حتى دخلت تعاليمك في اذني . انني الآن اشبه بالجواد المرح فلا نوم يأتي نهاراً ولا نعاس يغشاني ليلاً وكل هي ان اقوم بما يرضي سيدي كما يخدم الخادم سيده

« اتمنى لو اسيد لك قصر آخما ببلدتك تحيطه الاشجار من كل الجهات . به زرائب مملوءة بالمواشي وشون ملائنة شعيراً وقمحاً .. وبه القمح والفول والعدس .. والكثبان والخضراوات .. وفواكه تكال بالسلال واتمنى ان يكون لك مع القصر اغنام يتضاعف عددها وكذا بقرات حبالى . وان ازرع لك خمسة افدنة بالخضراوات في جنوب بلدتك من خيار وغيره وخيرات كعدد الرمال

وجاء بقرطاس انسطاسي^(٢) ايضاً خطاب من تلميذ الى معلمه يقتطف منه ما ترجمته : —

« سيدي العزيز : اطال الله عمرك ووهبك الخيرات كل يوم . واسبغ عليك السرور والفلاح والرضى مرات لاتعد ولا تحصى . وجعل الفرح والسرور ملازمين لك والصحة من نصيب اعضائك . انت تزداد شباباً بمرور الايام ولا يعتريك الاذى وتدور احياناً بمخيلتي فأذكرك جلالك الفذ الذي لا يضارعه جمال . عيونك تتلألأ كل يوم واذنك تنصت (لكل ما يقال) . سنونك جميلة جداً . واشهرك مقرونة بالنعيم . وايامك ملائنة حياة وساعاتك كلها صحة وسلامة . الالهة راضية عنك راغبة في كلامك . . . »

الآثار العلمية

✽ الخط الهيرغليني ✽ يعتبر استنباط الكتابة في ذاته اهم ما انجبه الذهن المصري القديم من الوجهة العلمية . فيه تمكن اجدادنا من اثبات معلوماتهم واخبارهم نقشاً على الحجر او كتابة على الورق .

فسجلوا بذلك مباحثهم الفنية واثبتوا سبقهم لساثر الامم في كل العلوم ولعمري كم من السنين صرفها القوم في ابتكار هذا الخط في احوال معاشية اقل ما يقال عنها انها فطرية. وكان الخط الهيرغليني في مبدئه صورياً. وبالرغم من التحسينات التي طرأت عليه قد حافظ على صورته الى آخر عهده. ونسب القوم ابتكار هذا الخط الى معبودهم (تحت). وحوالي عام ٣٠٠ بعد الميلاد زال كل اثر للخط الهيرغليني فبقي مجهولاً حتى عام ١٧٩٩ ميلادية لما اكتشف حجر رشيد. ومنه عرفنا ان الاحرف المصرية القديمة نوعان صوري وصوتي. وان الاحرف الصورية قسماً هجائياً ومركباً. وتمثل الاحرف الصورية الاشياء التي تعنيها. ويكتب الخط الهيرغليني من اليمين الى الشمال او من الشمال الى اليمين او بهيئة اعمدة رأسية. ويقرأ من الجهة التي تتجه اليها اوجه الحيوانات والطيور. ولا يخفى ان هذا الخط هو مجموعة لحيوانات واشجار وادوات ذات الشكل الجذاب. لذلك استعمل كثيراً لزيينة المعابد والمنازل والادوات المنزلية كالصناديق والحلى وادوات الحرب وغير ذلك. ومن هذه المصادر استنتجنا شيئاً كثيراً من معلومات هؤلاء القوم. والجزء الباقي وصل الينا عن طريق القراطيس البردية وروايات المؤرخين

ومن أقدم الازمنة المعروفة اختزل هذا الخط الى الخط الهيراطيقي الذي اعتاد القوم ان يكتبوه على الادراج البردية والتوابيت الخشبية. ويكتب عادة من اليمين الى الشمال ووجد هذا الخط على بعض قصاصات بردية من عهد الاسرة الرابعة (٢٧٢٠ - ٢٥٦٠ ق. م) بجزيرة الفيل باسوان واقدم سجل هيراطيقي هو المعروف باسم قرطاس (پريس Prisse) الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م) وهو محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس Bibliothèque Nationale واستعمل الخط الهيراطيقي حتى القرن الرابع بعد الميلاد

واختزل الخط الهيراطيقي في عهد الاسرة الخامسة والعشرين حوالي (٧١٢ ق. م) واطلق عليه اسم الخط الديموطيقي الذي بطل استعماله حوالي القرن الرابع بعد الميلاد

علم الفلك وتقسيم الزمن من سنة ٢٤٢٢ ق. م. استعمل المصريون السنة الشمسية في توقيتهم وقسموها الى ٣٦٥ يوماً. وقد رسموا السماء وعرفوا اهم نجومها وابتدعوا الآلات التي تعرفهم مواقع النجوم. وهناك رسوم لمواقع النجوم لكل خمسة عشر يوماً على طول السنة. وأهم مرصدهم كان في طيبة ودندرة ومنف وعين شمس. وقسم القوم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعية وكل فصل الى اربعة اشهر فصارت بذلك السنة اثني عشر شهراً. ولم يستعمل المصريون في زمنهم وحدة اطول من السنة ولم يستعملوا الاسبوع وقسموا الليل والنهار الى اثنتي عشر ساعة. وابتكروا ساعات الظل والمزاول والساعات المائية

الزراعة اهم المصريين بالزراعة منذ اقدم العصور فقسموا سنتهم الى ثلاثة فصول فصل البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان. وابتكروا مقاييس النيل وفرضوا الضرائب على المساحة

المزروعة . وشادوا خزاناً بالفيوم يحجز مقداراً من الماء يكفي لري الدلتا بعد هبوط النيل . وابتكروا الشادوف والفأس والمحراث والمدراه والمنجل ومساحة الاراضي وأنشأوا الترع والجسور . واعتنوا بالحيوانات الداجنة واستوردوا الاشجار والحيوانات من البلدان المجاورة . وتفننوا في الصناعات الزراعية . ونقشوا كل ذلك على جدران مقابرهم

✽ الهندسة والحساب ✽ هم ما عثر عليه من هذين العلمين هو قرطاس (Rhind) المحفوظ بمتحف لندرة وهو قرطاس يرجع تاريخه الى حوالي ١٦٠٠ ق . م . وجميع المسائل التي فيه عملية وتتطلب معرفة كبيرة في علمي الحساب والهندسة

مثال (١) (عملية ٣٩) مطلوب قسمة مائة رغيف على عشرة رجال بحيث يكون نصيب ستة رجال خمسين رغيفاً ونصيب الاربعة الباقيين الخمسين رغيفاً الباقية

تحل هذه المسألة بإيجاد العدد الذي يضرب في ٤ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة $12\frac{1}{4}$ ثم إيجاد العدد الذي يضرب في ٦ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة $8\frac{1}{3}$

مثال (٢) مطلوب معرفة مساحة مثلث ارتفاعه ١٠ (خت) وقاعدته ٤ (خت) . الحل : قسم ٤ على ٢ فتكون النتيجة ٢ وهو طول ضلع المستطيل الذي مساحته تساوي مساحة المثلث : اضرب ١٠ خت (وهو ارتفاع المثلث) $\times 2$ فيساوي ٢٠ خت مربع وهو المساحة المطلوبة

ولا يخفى على القارئ ان المقام لا يتسع للتفصيل لذلك اكتفيت بذكر ايسر مثال حسابي وآخر هندسي مشفوعين بطريقة حلها . لكن زيادة في الايضاح سأورد بياناً ببعض الاسئلة التي كانت توضع للطلبة للاجابة عليها للاستئناس بها فقط

- (١) ما هو الكسر الذي يضاف الى $\frac{2}{3} + \frac{1}{10}$ كي يصير المجموع ١ صحيح (عملية ٢١)
- (٢) قسم ستة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٣) : قسم تسعة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٦)
- (٣) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه ربعه يكون المجموع ١٥ — الجواب 12 (عملية ٢٦)
- (٤) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه نصفه وربعه يكون المجموع ١٠ — الجواب $5\frac{5}{6}$ (عملية ٣٤)
- (٥) ما حجم المكعب الذي يبلغ طول كل ضلع فيه ١٠ — الجواب $10 \times 10 = 100$ (عملية ٤٤)

- (٦) هرم طول ضلعه ١٤٠ ذراعاً ونسبة ميله $5\frac{1}{4}$ قبضة فما هو ارتفاعه ؟ الجواب $93\frac{1}{4}$ (عملية ٥٧)
- (٧) ما مساحة قطعة ارض دائرية قطرها ٩ (خت) (عملية ٥٠)
- (٨) هرم طول ضلعه ٣٦ ذراعاً وارتفاعه ٢٥٠ ذراعاً والمطلوب نسبة ميله (عملية ٥٦)

✽ الطب ✽ : برع القدماء المصريون في الطب وخلفوا لنا الاوراق البردية والنقوش الطبية العديدة وأثبتوا لنا بأجلى صورة طول باعهم في هذا العلم . فهم أول من اعتبر القلب مركزاً للاوعية . وأول من اكتشف النبض وعلاقته بالقلب . ثم أنهم أوردوا لنا رسوماً واضحة لعملية الختان وذلك

بمقبرة بسقارة ورسومها أخرى لتجبير العظام في المقبرة نفسها. وأوضحوا لنا وجود مرض السل بالعمود الفقري ولين العظام وأمراض العظام الأخرى وذلك في صور الأشخاص المنقوشة على جدران المعابد أما معلوماتهم عن التحنيط فحدث عنها ولا حرج فهم أول من أوجد هذه الطريقة وأتقنها واستعملوا لذلك العقاقير المتباينة والاجراءات الجراحية الفنية المختلفة. وقد أخذ الغير عنهم هذه الصناعة حتى انتقلت إلى آسيا وأمريكا وغرب إفريقيا واليهام يرجع الفضل في استعمال العقاقير الكثيرة في العلاج حتى عهدنا هذا. من ذلك: زيت الخروع. وقشر الرمان والحنظل. وكبريتات النحاس. والافيون وغير ذلك

التعاليم الدينية والفلسفية

﴿التعاليم الدينية﴾ هي أقدم ما عرف من علوم قدماء المصريين. وجدت مدونة في عدة جهات من أهرام وتوابيت وصفائح قبور وادراج بردية وغير ذلك

وإن هذه التعاليم هي المعروفة بنصوص الأهرام ^(١) التي يرجع تاريخها إلى الأسرتين الخامسة والسادسة (٢٥٦٠-٢٢٧٠ ق. م) وهي خاصة بنعيم الميت وتحوي التعاويذ الكثيرة لراحته في الآخرة وكذا الدعوات التي كانت ترتل وقت تقديم القرابين. ومن عهد الأسرة التاسعة (٢٢٤٠ ق. م) حتى الأسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ - ٩٤٥ ق. م) نقش الأمراء هذه النقوش على توابيتهم من الداخل. وهناك تعاليم دينية أخرى وجدت مكتوبة على توابيت الموتى خاصة بالرعية القصد منها ضمان الغذاء والشراب والراحة لصاحبها والتحكّن من الظهور بالشكل الذي يرغبه كي يتابع سروره وملذاته وتعرف هذه النصوص باسم نصوص التوابيت Coffin Texts ^(٢)

وهناك نصوص دينية أخرى تعرف باسم كتاب الموتى Book of The Dead هي مجموعة دعوات وصلوات وتعاويذ متنوعة وردت مدونة بكثرة على الورق البردي حتى العهد الروماني

ثم كتاب الآخرة Book of what is in the underworld ^(٣) وكتاب ابواب الآخرة Book of Gates ^(٤) ودعاء الشمس Litany of the Sun ^(٥) وقصة إبادة البشر Destruction of Mankind E. Naville Recherche 4. I. 12 ومدايح المعبودات Hymns to the Gods مثل مدحة النيل Hymn to the Nile Maspero 1912 ومدحة آمون رع Hymn to Amen Vol 4,6 Davies و A. Mariette Pap. Mus. Bonloque 1871-II ومدحة اتون Hymn to Aten

Rock tombs of El-Amarna

ولكي أظهر ما تحويه تلك التعاليم من معاني سامية وآداب راقية أورد هنا بعض عبارات جاءت في كتاب الموتى يقولها المتوفي أمام الآلهة في الآخرة هذه ترجمتها: —

(١) Kurt Sethe Die Altaegyptischen Pyramiden texte 4 vols Leipzig 1901—22

(٢) P. Lacau Sarcophage anterieur au nouvele empire, 2 vols 1904. 6 also Cat. General

(٣) des musie du Caire E. Lefebure Annales du Musée Guimet vol. 9, 16

(٤) Naville La litanie du Solleil 1875

لم استعمل القسوة مع انسان . لم أسرق . لم أقتل رجلاً أو امرأة . لم أخسر المكيال . لم أرتكب الغش . لم أخذ لنفسى حاجات الآلهة ، لم أكذب ولم اهرّب الغذاء ولم أتلفظ بألفاظ جارحة . ولم اجهم على انسان . ولم اقتل الوحوش الخاصة بالمعبودات . ولم ارتكب رياءً . ولم أترك الأراضى الزراعية بوراً ، ولم اوقف فتنة . ولم أغترب أحداً . ولم أترك نفسى ضحية الغضب . ولم أتعرض لزوجة بمكره . ولم ارتكب ذنباً ضد العفة . ولم اسبب رعباً . ولم أتعذّ حدود الأزمنة والأمكنة المقدسة . ولم أكن غليظ الخلق . ولم أتنصع الصمم وقت سماع الحق والعدل ولم أشعل نار ثورة . ولم أسبب البكاء لانسان . ولم أرتكب الموبقات . ولم أكن أحمق . ولم أسيء الى انسان . ولم أتبع سبيل الرهبة . ولم أأسرع في اصدار حكم . ولم أنتقم لنفسى من معبود . ولم أزد في كلماتي عن الحقيقة . ولم أخن أحداً . ولم ألعن ملكاً . ولم ألوث ماءً ، ولم أنكبر . ولم أشتّم معبوداً . ولم أكن سيئ الخلق . ولم أسع لترقية . ولم أزد في ثروتي الا بالحلال . ولم أقصر في احترام معبود مدينتى ومنها يتضح أن هذه العبارات التي اطلق عليها القوم اسم «الاعتراف الساي» لم تك في الحقيقة سوى تعريف مطوّل لما نسميه «مكارم الاخلاق»

﴿حكم الفلاسفة﴾ أقدم هذه هي حكم الفيلسوف (پتاج حوتب) حوالي ٢٥٠٠ ق.م تقتطف منها ما يأتي ترجمة المرحوم كمال باشا : اذا كان لك حاجة عند منازع . وكان يفوفك في المهارة فابسط له يديك واحن ظهرك ولا تغضب منه لأنه لا يمكنك من نقض حديثه بل يسوؤك كثيراً لو ناقشته في الكلام وحينئذ يظهر عدم كفاءتك . الزم الحزم متى حدثت لك مناقشة . اذا كان لك حاجة عند شرس وكان شاذاً في الشراسة فكن كالذي لا يتحرك لتكون أفضل منه (لا سيما) لو التزمت الصمت وهو في سباب . ولقد قيل في المثل خير انسان من الزم الحياد . من الصواب التعرّف بالكبار اذا كنت رئيساً تحكم في أمور كثيرة بين العالم فابحث عن اكمل شريعة لتكون غير ملوم . ما أعظم العدل الثابت الاركان الذي لم يكدر صفوه من عهد المعبود ازوريس . التعرّض في سبيل القوانين مسلك الظلم . لا ينال الوضيع رفعة ما لم يهتد الظالم الى مسلك العدل . حدود العدالة ثابتة . هذا التعريف يأخذه كل انسان عن أبيه

لا توقع الرعب (في قلوب) الناس فان الله يجازيك . وان ظن انسان أنه يعيش بذلك ينزع الله العيش من فمه . وان تراعى له أن يغتني بسببه يقول له الرب استرد لنفسى (غناك) . اذا تعدّى انسان على آخرين لقتالهم انتهى أمره الى أن يصير عاجزاً . يجب ان لا يبت الخوف بين الناس . هذا أمر الله كما يجب وصل عيشهم في حال السلم وليقبل منهم ما يعطونه عن رغبة ولا يدعي عليهم شيء لآخذه بالرهبنة . اذا أكلت مع اناس جالسين عند أمير وكانوا اكبر منك فخذ ما يعطونه اياك باحترام وتواضع وانظر الى الذي امامك ولا تحدث فيه لان الانسان يكون مذموماً ان لم يتجنب هذه الخصال . ولا تتكلم بأكثر مما تسأل اذ أنك لا تعلم ما يحتمل استقباله . تسلم حينما تسأل .

الزمان . وإلى الامراء والحكماء الذين دفنوا فيها تجددهم مطروحين في الحادهم (ولا غرابة) فكل من شيد منزلاً (قبراً) زال أثره من الوجود . استمع لي فسأخبرك بما آل إليه أمر هؤلاء القوم . لقد سمعت حكم (المحوتب) و (خرزوزف) الذائعة الصيت ولكن أين هما الآن . لقد تحطمت بيوتهم وانعدمت آثارهم . فلا خبر يأتينا من ناحيتهم ينبئنا عنهم ويطمئن قلوبنا قبل أن نرحل إلى ذلك المكان تناسى تلك الأمور واصرف همك فيما ينفعك . اعمل كل ما تطلبه نفسك . عطر رأسك بالمر واكس نفسك بالكتان الجميل المعطر بالروائح الذكية المقدسة واكثر من الفرح والسرور حتى لا يحزن قلبك اتبع شهواتك ومسررتك وسير الأمور كما تشتهيها حتى يأتيك يوم الحزن وهو اليوم الذي لا يسمع فيه قلبك الساكن ما يدور حوله من النحيب

البكاء لا يعيد للميت الحياة . فتنعم إذاً في هذا اليوم الجزل . ولا تهمله يذهب سدى . فلا أحد يأخذ من الدنيا شيئاً معه كما أنه لم يرجع إلى هذه الدار من ذهب إلى الدار الآخرة

❖ الفصل والروايات ❖ وصلنا منها عدد كبير نقتطف منها ما يأتي : —

روي أن اميراً شاباً حكمت عليه المعبودات وقت ميلاده ان يموت بتمساح او بشعبان او بكلب فسافر إلى سوريا حيث وجد قصرآ تسكنه ابنة ملك النهرين وحوله الشبان يحاولون تسلقه وذلك لان والدها وعد ان يؤهلها لمن يتساق جدار القصر . فحاول الامير المصري ذلك ونجح وبلغ الاميرة لكنه ادعى اولاً أنه ابن ضابط مصري مخفياً بذلك حقيقته . فلما علم ملك النهرين بخبره اغتاظ وامتنع عن اعطائه ابنته حتى كاد يقتله حينئذ اقسمت الاميرة انها تنتحر اذا أعدم الامير فتسكدر والدها من هذا القسم واخيراً سمح لها بالاقتران به . وجاء ان الامير نجح من الموت من تمساح ثم من شعبان وفقدت بقية القصة بعد ذلك والمظنون انها انتهت بموت الامير من كلب يتبعه من مصر طول رحلته الاسيوية ويلاحظ ان هذه الرواية تحوي اقدم مثال للعقيدة العالمية بأن كل شاب يتحتم عليه قبل الافتتان بزوجه ان يظهر لها ضروب الشجاعة كي يستميل قلبها

ومن قصصهم ايضاً ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصة الاخوين تملخص في ان اخوين عاشا معاً في كوخ بأحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً قابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان طامشاً معه كابن له فصبت نفس زوجة الكبير إلى الصغير فرفض طلبها . عندئذ ارادت ان تكيد له فوشت في حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة . فتحفز له وراء الباب . وفي مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهايم ليدهاها اصطبلاتها فاحظت احدى هذه الحيوانات الامر وامرّت إلى راعيها بما يضمر له اخوه الكبير فلما علم بذلك فرّ هارباً خوفاً من القتل ثم حصلت بين الاثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالنأمل في هذه الحكاية يجد القارئ في جزئها الاول شبهة لقصة سيدنا يوسف الغرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرحها بالذكر الحكيم والتوراة

القانون والقضاء

جرت العادة ان يرفع كل متظلم او مدّع دعواه الى الوزير كتابة ويستحسن حضور صاحب الطلب بنفسه . ولذلك كان قصر الوزير ملجأً يجيء اليه المدعون والمتظلمون كل يوم . وكانت تعقد في هذا القصر كل يوم جلسة لاصدار حكمها في تلك الدعاوى . ودلتنا الآثار ان هذه الجلسات كان يؤدي نظامها حجاب وكتابة . وكان الناس يدخلونها بالترتيب بعد ما يصفون استعداداً لمشولهم بين يدي الوزير . وحتم القانون على الوزير اصدار حكمه في قضايا الاراضي المتعلقة بطيبه في ثلاثة ايام من تاريخ رفع الدعوى . اما قضايا الاراضي الخارجة عن طيبة فالنطق فيها كان لا يتأخر عن شهرين . هذا كان النظام القضائي مرعي الجانب لما كانت المملكة تحت اشراف وزير واحد . لكن لما عين وزير ثان للشمال قُسم النفوذ والسلطان بين وزيري الشمال والجنوب وكل جرائم طيبة كان ينظرها الوزير شخصياً . اما المجرمون فيحجزون في سجون خاصة ما داموا في التحقيق فاذا صدر الحكم عليهم ارسلوا الى سجون اخرى ينفذ فيها العقاب . ولكل قضية اوراق تحفظ في السجلات الرسمية كما هو الحال الآن . ويتحتم على كاتب الوصية ان يسجلها شخصياً في قصر الوزير . وتحفظ صور لجميع المستندات وحدود الاراضي والعقود في ادارتي وزيري الجنوب والشمال . وكل طلب يقدم للملك يتحتم عرضه على الوزير اولاً وزيادة على قصري الوزيرين انشئت بالارياض محاكم فرعية من رجال الادارة المتمرسين على تطبيق القانون ويعرفون برجال المجلس المحلي والقضايا الكبيرة الخاصة بالاسر الرقيقة كان يتحتم فيها ارسال مندوب من مجلس القضاء الاعلا لينفذ قرار ذلك المجلس بمعرفة رجال اقرب مجلس محلي وكان القانون الذي يالجا اليه الفقير غاية في العدالة . وجرت العادة ان ينسخ في اربعين درجاً رديئاً ويوضع على منضدة القاضي وقت انعقاد المحكمة للمراجعة وزيادة الايضاح وكان يسمح لكل شخص ان يقرأ القانون ويستفسر الغامض . ومن دواعي الاسف اننا لم نعتز على نسخة من ذلك القانون الذي لا نشك لحظة في عدالته فقد جاء في الآثار ان الوزير كان يحكم بالعدل بدون محابة حتى كان يخرج المتخاصمان من حجرته مجبوري الخاطر . وجاء أن احد الملوك فاه امام احدي المحاكم بأن « القانون ثابت لم يحدث فيه تغيير . لذلك التزمت خبطة السكوت خوفاً من احداث الفرح والسرور » وبلغت العدالة حدّاً لا يكاد يصدقه العقل . من ذلك انه لما ظهرت مؤامرة لاغتيال حياة ملك لم يكثف الملك بتحقيق مختصر وصادر حكم الاعدام على الجناة بل اصدر امره بتشكيل محكمة للنظر في القضية بشرط ان لا تصدر حكماً بعقاب المتهمين الا بعد ثبوت اجرامهم

واليك مادتين من قانون حور محب

(١) كل موظف او كاهن يقال عنه انه عين في القضاء ليحكم بين القضاة وهو يجني على القانون يحاكم بتهمة الخيانة العظمى « (ب) كل شرطي علم عنه انه دخل المساكن لاجل سرقة الجلود يحكم عليه ابتداء من هذا اليوم بمائة جلدة وبجرحه في خمسة مواضع ثم تسترجع منه الجلود المذكورة »

الديمقراطية والتعليم

[تابع ما قبله]

للكنور امير بقطر

- ٦ -

﴿ الميزانية العامة للتعليم ﴾ من اركان الديمقراطية في التعليم ان تكون نسبة ميزانية التعليم الى ميزانية الدولة الباقية ، متفقة مع حاجة البلاد . ولا نستطيع ان نشرح هذه النقطة بغير ان نبين هذه النسبة في بعض بلدان العالم ومنها مصر

نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة	البلد	نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة	البلد
٣٠.٠٪	جنيف	١٠.٪	الصين
٤٥.٪	بورتوريكو	١١.٤٪	رومانيا
٥٠.٪ (سابقاً)	جزائر الفلبين وغيرها	١١.٧٪	بلغاريا
١٨.٪ اليوم		١٣.٧٪	زوج
٧٣.٪	مصر	١٤.٢٪	دانرك
		١٩.٣٪	هولندا

يقول الاستاذ الدكتور بول منرو صاحب دائرة المعارف (في التربية) ورئيس اللجنة التي نيط بها درس حالة التعليم في العراق ، ان كثيراً من البلدان خصصت في بعض السنوات ٥٠.٪ من ميزانيتها العامة للتعليم ... كما يرى من الجدول السابق

وليس في هذا غرابة اذا علمنا ان الامية والجهل والانحطاط في مستوى العيش كالحمل والطاعون والهواء الاصفر يحتم على الامة قطع دابرها واستئصال شأفتها في اقرب فرصة ممكنة ، لان تأجيل القضاء على هذه الاخطار عشرين سنة مثلاً يؤخر الامة مئات من السنين

ويقول علماء التربية ان مجموع ما ينفق على التعليم يجب في الحالات المعتادة (لا في حالة الجهل والامية الضاربة اطنابها) ألا يقل عن ٤.٪ او ٣.١٪ من مجموع الدخل القومي او دخل مجموع الافراد . وعلى هذا الحساب يكون هذا الرقم من ١٠ ١/٢ الى ١٢ مليون جنيه لان دخل مصر بحسب التقدير الذي عمله حديثاً دكتور ليثي هو ٣٠١ مليون جنيه في العام

﴿ توزيع ميزانية التعليم على درجاته ﴾ مصر تنفق على التعليم الاولي ١٦١٥٥٧٣٧ من الجنيهات

من الميزانية العامة للتعليم وقدرها ٣٦٠٧٥١٦٠ عن سنة ١٩٣٤ - ٣٥ وحتى نعلم هذه النسبة في بعض البلدان الاخرى اقول ان مستر مان الذي انتدبته وزارة المعارف سنة ١٩٢٩ لدرس حالة التعليم في مصر ذكر ان في انكلترا كل جنيه واحد ينفق على التعليم غير الاولي ، يقابله اربعة جنيهات تنفق على التعليم الاولي ، في حين ان في مصر كل جنيه يصرف على التعليم الاولي يقابله ٢ على غير الاولي في كندا وسكانها نحو عشرة ملايين نسمة اي $\frac{1}{3}$ سكان القطر المصري تبلغ الميزانية العامة للتعليم ٣٣ مليون جنيه مقسمة كما يأتي : —

العالي ٤ مليون جنيه والثانوي ٧ مليون جنيه والاولي ٢٢ مليون جنيه المجموع ٣٣ مليون جنيه . اي ان ما ينفق على الاولي ضعف ما ينفق على الثانوي والعالي مجتمعين

وفي ولايات اميركا المتحدة يوجد في المدارس الاولية ٢٥ مليون تلميذ وتلميذة ، وفي المدارس الثانوية ٥ ملايين وفي العالي مليون واحد . هذا مع العلم ان عدد تلاميذ المدارس الثانوية يزيد في مجموعه عن مجموع تلاميذ المدارس الثانوية في جميع ممالك اوربا وآسيا

والتعليم الاولي اهم بكثير من التعليم الثانوي والعالي كما يشاهد من الميزانية المخصصة له لأن التعليم الثانوي من الكماليات في حين ان الاولي من الضروريات ، لأن الاولي عادة يشمل السواد الاعظم من السكان في حين ان الثانوي لا يشمل الا أقلية صغيرة منه . وربما تستغربون اذا قيل لكم ان التعليم الثانوي في انكلترا في يد المدارس الخصوصية (الاهلية) ومجلس الولايات انظروا ما يقوله دكتور كلاباريد الخبير السويسري الذي انتدبته الوزارة سنة ١٩٢٩ عن التعليم الثانوي في مصر

« شاهدنا في المدارس الابتدائية والثانوية في مصر ما تحسده عليها الدول الاوربية في الاثاث والمعدات ، وشاهدنا طبقة من النظار والمفتشين والمعلمين من الدرجة الاولي »

نعم هذا صحيح — معامل وأجهزة وبنائات فخمة ومرتبات وكماليات *luxure* في المدارس الثانوية والابتدائية والعالية ولكن على حساب الفلاح البائس « على حساب المدارس الاولية التي يتمثل فيها الانحطاط والفقر في المعلمين والمعدات والاثاث . اقول في الاثاث والمباني ولا أريد أن اقول أن كبير أطباء وزارة المعارف يقول في تقريره أن التلاميذ القرويين يقضون حاجتهم في أثناء وجودهم في المدرسة في الاماكن التي تقول مصلحة الصحة انها مرعى خصيب للبلهارسيا والانكاستوما ، لانه لا توجد بها مراحيض . ثم ارجو أن تقارنوا معلم المدارس الاولية بالمدارس الثانوية والعالية

نسبة مرتبات المعلمين في درجات التعليم

٦ : ١ - ٣ : ١

النسبة واحدة

في مصر المدارس الاولية : الابتدائية من

« اوربا ١٠ »

١٠:١ - ٣:١

في مصر نسبة الأولية الى الثانوية من

٢:١ - ١٤:١

» اوربا » » » »

١٦:١

» مصر نسبة الأولية الى الجامعة من

٤:١ - ٣:١

» اوربا

ولا غرابة اذا كان التعليم الاولي متأخراً فأنا حديثو العهد به . ففي سنة ١٩١٨ - ١٩ انفتحت

مصر ٤٠٪ لا غير من ميزانية التعليم على المدارس الاولية في حين أن فرنسا في تلك السنة انفتحت

٧٢٪ من ميزانية التعليم على التعليم الاولي

وانظروا الى هذا الجدول الذي يبين ما كانت تنفقه الممالك المختلفة على كل تلميذ أولي سنة

١٩١٣ - ١٤ مقارنة بين ما كانت تنفقه مصر : -

أسماء البلاد	للتعليم الاولي عن التلميذ الواحد قرشاً مصرياً	أسماء البلاد	للتعليم الاولي عن التلميذ الواحد قرشاً مصرياً
اليابان	٦٠	بلجيكا	١٨٧
انجلترا	١٤٠	سويسرا	٢٠٠
روسيا	١٤٣	ولايات اميركا المتحدة	٢٢٢
فرنسا	٧١٠	استراليا	٣٠٧

مصر ١٤ ملياً في العام عن التلميذ في الابتدائية والاولية (الوزارة ومجالس المديرية معاً)

٧- الامية والديموقراطية * من العبث اصلاح القرية، او تعويد السكان النظافة والوقاية من الامراض الرمدية والطفيلية بغير ان يتمشى التعليم الازامي وزوال الامية مع سائر الاصلاحات الاجتماعية في آن واحد . وربما كان مناسباً هنا ان نعلم شيئاً عن الامية وتاريخها في مصر وغيرها في اوربا سنة ١٥٠٠ كان الملوك والامراء اميين - اذا استثنينا القليلين كالفريد الكبير وسنة ١٥٠٠ م كان عدد الذين يقرأون ويكتبون اقل من ١٠٪ . وسنة ١٥٠٠ - ١٧٠٠ لم تزد النسبة عن ١٠٪ الا قليلاً وسنة ١٨٠٠ أخذ التعليم يكون الزامياً تدريجياً وسنة ١٨٧٠ اصبح ٧٥٪ من بريطانيا وفرنسا والمانيا متعلمين

وفي المانيا كانت النسبة سنة ١٨٤١ ٩٠٪ . وسنة ١٨٨١ - ٩٧٪ (قبل الاحتلال بسنة) وسنة ١٨٩٥ - ٩٩٧٪ (اي قبل عباس الثاني بثلاث سنين)

وفي فرنسا من سنة ١٨٧٥ اصبح عدد القراء كثيراً جداً حتى ان كل من ال Petit Journal وال Petit Parisien كان يوزع من النسخ يومياً مليوناً

وهذا الجدول يبين لنا تفصيل سير التعليم في شتى البلدان

البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون	البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون
انكلترا	١٨٣٠ ١٨٥٠ ١٨٨٠	البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون
٥٥	٦٤	٨٤	١٦
اسكتولندا	٧٧	٨٣	٩
ارلندا	٤٦	٥٥	٨٧
فرنسا	٤٢	٥٧	٨٠
روسيا	١	٢	٨٠
النمسا	٢٨	٣٤	١
		٤٩	٣
		١٠	١٠

ولننظر الى هذه النسبة اليوم ١٩٣١ — ١٩٣٢

البلد	النسبة المئوية للاميين	البلد	النسبة المئوية للاميين
بريطانيا العظمى	من صفر الى ١/٣	اسبانيا	٥٤ ٪
المانيا	»	الصين	٨٠ ٪
اليابان	»	سوريا	٨٠ ٪
ولايات اميركا المتحدة	٤ ٪	فلسطين	٨٠ ٪
فرنسا	٨ ٪	مصر	٨٨ ٪
بلجيكا	٩ ٪		

خاتمة

النظام الدكتاتوري والتعليم من الغريب ان الانظمة الدكتاتورية التي لا تتفق في الاصل والديموقراطية ، بل هي والديموقراطية على طرفي نقيض — من الغريب ان النظام الدكتاتوري الذي زاه ينتشر اليوم في كثير من بلدان العالم ، اكثر ديموقراطية في التعليم (في معظم النواحي) من البلاد العريقة في الديموقراطية . ففي تركيا ، يدبر مصطفى كمال دفعها بيد من حديد ويسير بخطوات واسعة نحو نشر التعليم بين الكبار والصغار البنين والبنات ، ولا تمضي سنوات حتى تصبح تركيا من ارقى بلدان العالم في التعليم ، لانها تتبع احدث الانظمة ، وقد دعت جون ديوي منذ سنوات للانتفاع بأرائه الفلسفية الحديثة . وفي ايطاليا التي تحكمها يد الفاشزم الفولاذية وعلى رأسها الجبار موسوليني يتناول التعليم جميع طبقات الامة ، والمدارس الثانوية مثلاً سبعة انواع حتى تشمل جميع الافراد في سن التعليم الثانوي وتقوم بسداد حاجات الامة على الوجه الكامل وفي روسيا البلشفية ، وهي آخر ما كان ينتظر ذكره من البلدان التي تراعي روح الديموقراطية في التعليم ، هذه البلاد اكثر ديموقراطية من جميع بلدان العالم من هذه الناحية ، لان ١٠٠ ٪ من جميع التلاميذ بنات وبنين بين سن ٢ و ١٤ في رعاية الدولة تعنى بغذائهم ولباسهم وتعليمهم وكثيرون من رجال التربية يسافرون كل عام الى تلك المملكة لدراسة نظم التربية هناك

انطاكية وآثارها الفخمة

ارض حضارة ضائعة

بقلم نغولا شكرى

اشارت الصحف الى ان الجنود عثروا في جبل سلبيموس المطل على مدينة انطاكية على آثار رومانية نفيسة كانت مغطاة بطبقة ترابية حتى جاءها السيل فاكتسح الطبقة وجلاها . وتعد الآثار الجديدة من انحر ما خلفه الرومان ويقال انه لا مثيل لها في جميع متاحف العالم الاخرى . والى القارىء بيانها المفصل وفقاً لما اشارت اليه الصحف

١ — تمثال نصبي من الرخام الابيض يمثل قنصلاً رومانياً بزيته الرسمية وهو دقيق الصنع سليم من التشويه كأنه صنع حديثاً والرأس والصدر والقاعدة منفصلة بعضها عن بعض وتتصل بركائز حديدية . وسبب هذا الاتصال هو انه كان من عادات الرومان نصب تمثال لكل قنصل جديد يتولى شؤون الولاية او المدينة ولما كانت البرزة الرسمية معروفة لا تتبدل قط بشاراتا ورموزها ونقوشها كانوا يكتفون بتغيير الرأس فقط وركزه فوق التمثال الجسمي وهناك في المتاحف العالمية كثير من مثل هذه النصب التامة ويفضل هذا لان صاحبه معروف ومتصل به كما ان ما عليه من صور الاشكال البارزة والنقوش البديعة رائعة وجميلة جداً

٢ — تمثال يوناني للآلهة : فينوس (الزهرة) .. وهي نصف حاشية من الرخام الابيض ايضاً عديم الرأس وبعض الساعدين ، اما التكوين الجسمي فهو آية فنية للجمال في المرأة من الكتفين الى الصدر والعنق واليدين والفخذين حتى والقدمين وكأن ذلك الجمال الفني سُمّ الدفن بين طيات الثرى فشق الارض وظهر للعيان فتنة للناظرين

٣ — تمثال نصبي لاحد آلهة اليونان او جبابرتهم ذو لحية مسترسلة وعيون تنبعث منها الهيبة والوقار وهو اضخم القطع الموجودة وسليم من التشوه ايضاً وملابس بطياتها وثنياتها وتجمعاتها تتم على دقة الصنع ومهارة المثالين القدماء لعدم وجود الوسائط الفنية الحديثة لديهم لنحت مثل هذه الدقائق

٤ — تمثال بارز فوق قطعة مستديرة من الغرانيت الاسود يبلغ قطرها ٨٠ سنتيمتراً تقريباً يمثل امرأة عارية ونصفها السفلي يمثل حيواناً جائماً وهي سليمة كاملة

٥ — رأس للاله باخوس بابتسامته الهازئة الساخرة وشعره المشوش وهو اقدم الآثار الموجودة بحسب رأي العارفين

٦ — تمثال طير يشبه فرخ النسر منحني العنق الى الجانب وهو جائم فوق قاعدة من الرخام وكل ما فيه من ريش وتكوين بديع الصنع

- ٧ - رأس سيدة رومانية هو مثل الجمال الروماني بتقاطيع الوجه وتكوين سائر اعضاء الرأس خصوصاً اسلوب تنظيم الشعر وجمعه فوق الرأس بهيئة تاج جميل حسب الزي الروماني
- ٨ - رأس رجل من الغرائب الاحمر الوردي تظهر عليه كل ملامح الرجولة والقوة والبأس
- ٩ - تمثال رجل شيخ مستند الى جدار بحزن وكآبة وهو مرسل الشعر والحية ويقول لبعض العلماء ان هذه النفائس كانت ملكاً لعظيم خاف عليها فطمرها في الجبل وظلت فيه لم تمتد اليها يد حتى جاء السيل فجرف ما كان يغشاها فظهرت الوجوه فتنة للناظرين

وبعد فقد كتبت في عدد سابق من المقتطف مقالاً مستفيضاً اشترت فيه الى الآثار القديمة الموجودة في انطاكية وأهمها الجسر الروماني وبقايا القصور والهياكل والحمامات وميادين السباق واقنية المياه والقبور والتماثيل الرخامية والسور الروماني القديم الذي يحيط بالمدينة فلا حاجة بي للعودة الى هذا الموضوع . على انني ارى لمناسبة الاكتشافات الاخيرة ان اذكر باختصار كيف نشأت حضارة انطاكية وترعرعت ثم ضاعت

وقد لا يكون من الاستطراد الخارج عن الموضوع ان أويد لمناسبة الاكتشافات الاخيرة ان اشهر الآثار الرومانية في انطاكية الطرق والجسور القديمة وقد اكتشفت في سنة ١٥٠٧ خريطة رسمت عليها الطرق والدروب العسكرية في الامبراطورية الرومانية القديمة من بريطانيا الى الهند والمظنون انها وضعت في القرن الرابع للمسيح وانها نسخت عن خريطة اقدم منها بكثير وترى الطرق في بعض ضواحي انطاكية محفوظة حفظاً عجيباً كما في الطريق الممتدة بين انطاكية وكلس فان عرضها عشرون قدماً او اكثر وهي مبلطة ومن البلاط ما طوله اربعة أقدام وعرضه ثلاثة وسمك الواحدة منها ثلاثة اقدام ايضاً

وفي انطاكية وضواحيها جسور رومانية كاملة وكثير من الجسور التي عقدت في القرون الوسطى وأهمها الجسر القائم عند مدخل المدينة واتفق اني رأيت هذا الجسر بعد مطر غزير سالت به الاودية وجرف السيل جسرين حديشين بناهما المهندسون الفرنسيون فوق منظر هذا الجسر وقعاً عظيماً في نفسي لثباته على مقاومة العناصر الطبيعية هذه القرون الطوال واثبت الثناء الطيب على المهندسين الرومانيين وطأطأت رأسي امام اشباحهم اجلالا لقدرهم واعترافاً بتفوقهم في صناعتهم واذا سأل سائل من كان سكان تلك البلاد الذين مدوا هذه الدروب المتقنة وشيدوا الهياكل وبنوا المسارح التمثيلية واعلوا القصور وزخرفوا الحمامات زخرفاً نادر المثل وسكنوا بيوتاً لا ينقصها شيء من اسباب الراحة في هذه الدنيا وثووا فاحتوتهم اضرحة رحيبة لا تقل فخامة عن بيوتهم وقصورهم . اذا سأل سائل هذا السؤال قلنا له ان هذا الوصف الوحيد الذي ينطوي عليه سؤالك كاف للدلالة على ان حضارة انطاكية بلغت شأواً رفيعاً في ذلك العهد . وهناك ما يدل ايضاً على ان تلك الحضارة كانت في ذلك العهد لا تزال في أوجها وانها لم تكن قد مالت الى الزوال او دب اليها شيء من الانحلال لما

دهمتها قوى خارجية غير منظورة ودرستها كأن لم تكن شيئاً مذكوراً
 وكان لاهل البلاد فنون خاصة بهم اثرت فيها الفنون اليونانية الى حين ثم نفضت عنها ذلك التأثير
 واستعادت رونقها الاول كصورها الاصلية ولكنها استبقت من الاثر الغريب ما زادها بهجة وطلاوة
 واتخذت لها طرازاً يفوق طراز سائر الفنون في ذلك الزمان . وظاهر من درس فنون اولئك السكان
 التي اكتشفت في آثارهم وعادياتهم ان معظمهم كانوا اذكاء واغنياء واذا قيست الحضارة بمقياس
 المنازل ظهر لنا ان حضارة انطاكية القديمة كانت رفيعة وان كان كثير من الكتابات التي تركوها
 والنقوش التي احتفروها على الآثار كثير الخطأ في التهجئة والتركيب النحوي فما ذلك الا لان الكتاب
 كانوا يكتبون بلغة اجنبية يعرفها العلماء المحدثون الآن اكثر مما عرفها اهلها اليونان في عصرهم
 اما قولنا ان سكان تلك البلاد كانوا اغنياء في الثروة فبني على كتاباتهم ونقوشهم التي تركوها
 لنا وهي تدل على انهم كانوا اهل كفاف من العيش ينفقون عن سعة وتبقى عندهم فضلة موفرة . ففي
 تلك النقوش ان فلاناً اهدى الى مدينته حماماً عمومياً وآخر بنى كنيسة او ديراً على نفقته الخاصة
 وهكذا . ومن كان اقل غنى اهدى الى قريته هدية على مقدار حاله . وكانوا اهل مسالمة ونظام
 ومحافظة على الامن في مجتمعهم بدليل ان كثيراً من قصورهم كانت تبني ولا جدار او سياج حولها
 لحمايتها من الاعتداء . على انهم لم يكونوا من كبار اصحاب العقار بدليل قرب مدينهم بعضها من بعض
 وبالتالي لم يربوا قطعاناً كبيرة من الماشية ولكنهم كانوا يزرعون شجر الزيتون والكروم ويعصرون
 الزيت والخمر على قدر كبير بدليل كثرة المعاصر في القرى المحيطة بانطاكية . وكانت تجارة القوافل
 بين انطاكية والبلاد الجنوبية ومصر وفارس واسعة النطاق ففي بعض الكتابات ان تاجراً خرج بقافلة
 الى نهر السند او الهند وآخر سافر بمهمة سياسية الى رومه
 ورب سائل يسأل : متى كانت آخرة خصب تلك البلاد وآخرة مدينتها الزاهرة وكم دام عمرانها
 وما هو سبب زواله ؟

ليس من ينكر ان بعض هذه المسائل يتعذر الجواب عنه ، وبعضها لا يكون الجواب عنه شافياً
 ولست اقصد محاولة الجواب عن تلك المسائل وانما اقصد وصف البلاد كما هي والاستدلال بالحاضر
 على الماضي وسيرى القارئ ان هذا الوصف يسهل السبيل الى الجواب عن بعض تلك المسائل على قدر
 الامكان . وتدل الآثار والنقوش والكتابات التي وجدت في تلك البقاع انها لم تكن آهلة بالسكان بعد
 اوائل القرن السابع للمسيح ويخيل لنا ان سنة ٦١٠ كانت تاريخ آخر مدنية الجزء الاكبر منها وهذا
 التاريخ يوافق تاريخ الفتح الفارسي الكبير سنة ٦١٠ - ٦١٢ واوائل الفتح الاسلامي الذي بدأ بعده
 بنحو عشرين سنة . ويستدل من اقدم الكتابات التي وجدت في البلاد ان العمران بلغ فيها شأواً رفيعاً
 في اوائل التاريخ المسيحي كذلك تدل الآثار والتاريخ دلالة قاطعة على ان ذلك العمران بدأ هناك قبل
 التاريخ المسيحي بنحو مئتي سنة او ثلاث مئة سنة على القليل ولكن هناك آثاراً أخرى يؤخذ منها

ان تلك البقعة اقدم عهداً ولو لم نعرف الا القليل عن تلك المدينة القديمة. وتاريخ البلاد كما يؤخذ من التوراة وكتابات المصريين والآشوريين القدماء تدل دلالة صريحة على انه كان في تلك البلاد حضارة راقية في اوائل مدنية الانسان

ومن يسبح الآن في شمال انطاكية ويهبط وادي العاصي الخصب يرى في ذهابه شرقاً سلسلة غير منتظمة من الآكام الكلسية ممتدة الى الشمال الشرقي ومتوسط علوه هذه الآكام ١٥٠٠ قدم ومنها ما علوه ٣٠٠٠ قدم الى ٣٥٠٠ فوق سطح البحر وهي آكام رمداء جرداء لا يرى فيها اثر يد الانسان من طرق مرصوفة وجدران تفصل الحقول بعضها عن بعض وارصفة هائلة الكبر ثم يشاهد خرائب مدن صغيرة مهجورة فيها ابنية كبيرة وصغيرة مبنية من حجارة كلسية بديعة النحت واذا صعد الى مرتفع هناك رأى حواله خرائب مثل هذه الخرائب ممتدة في كل جهة واذا كان بعيداً عنها لا يصدق انها خرائب مهجورة وبعض هذه المباني لا يزال قائماً ولكن سقفه منزوعة عنه على مر الزمن. وقد يسير المرء اميلاً كثيرة في تلك البقعة ولا يرى فيها انساناً ولا خضرة ما سوى بعض شجر البطم هنا وهناك ولا ارضاً ترابية تصلح للزراعة الا في اماكن بين الصخور وحول كل خربة بقايا معاصر لعصر الزيت وصنع النبيذ. اما البناء في هذه الخرائب فيمثل كل طراز معروف عند الامم العريقة في الحضارة من ذلك ابنية تدل الدلائل على انها قديمة جداً وان لم يكن عليها كتابة وهي على شكل كثير الاضلاع ولها افاريز غليظة حول سطوحها وابوابها ومنها ابنية بنيت في القرن الاول والثاني للمسيح بينها هياكل بديعة البناء ومعظمها خرائب لان الناس جعلوا يسطون عليها لاختد حجارة البناء منها وفي جميع تلك الانحاء بيوت جميلة بنيت في القرنين المذكورين وكنائس كبيرة وصغيرة وحمامات ومخازن واسواق وأضرحة على اشكال شتى لا عداد لها. اما كنائس القرن الرابع فأبنية خالية من الزخرف وأما كنائس القرنين الخامس والسادس فأكثر زخرفاً من جميع الابنية التي تمثل العهد المسيحي قبل العهد القوطي في اوربا. والآكام التي في اقصى الشمال غير أهلة ولكن يقصدها في بعض فصول السنة طوائف من التركان يضربون خيامهم فيها وينزل بعض جوانبها بضع عائلات من الاكراد. وفي التلال الكلسية الى شرقي العاصي قرى صغيرة يسكنها قوم من الفلاحين يتكلمون التركية وبينهم قليل من النصيرية وهم يعتمدون في حراثتهم وازرعها على مطر غزير يرونها والا انحلت وفي الشمال كثير من قرى الشراكسة في سفوح الآكام وقد جاء بهم السلطان عبد الحميد اليها وسلحهم وملسهم اغزر عيون تلك البقعة ليكون منهم حاجز حصين بينه وبين العرب

اما القرى التي تكثف انطاكية فأهلة بالعلوين وهم امة مستقلة على صغرها ولغتهم العربية وهم يتزوجون زوجة واحدة وديانهم سرية ولهم زعماء اصحاب مكانة عظيمة عندهم وسلطة كبيرة عليهم ومنازلهم كبيرة رحبة فيها جميع اسباب الراحة

بقي انه ليس من السهل ان نعرف لاول وهلة سبب انقراض حضارة انطاكية الزاهرة هذا الانقراض السريع وكل ما يخبرنا به التاريخ انه طغى على البلاد سيلان من الغزاة سيل الغزاة الفرس من الشرق وسيل الغزاة العرب من الجنوب في الثلث الاول من القرن السابع بعد المسيح وكانت عادة الفرس انهم اذا غزوا بلاداً ، ولم يقووا على البقاء فيها جلوا عنها ودمروا جزءاً كبيراً منها بفصل بينهم وبينها فيأمنون بذلك قيام البلاد المغزوة للاخذ بالنار فلا يبعد والحالة هذه بعد اجتياحهم تلك البلاد ان يكونوا قد قطعوا ما فيها من غابات الزيتون والكروم وخربوا المعاصر وهدموا جدران الحقول ولكن حربين تسيل فيهما الدماء انهاراً ويكثر فيهما التخريب والتقتيل والاسر لا يحولان بلداً خصيباً فقراً جديداً في مثل هذا الزمن الوجيز فلا بد فوق ذلك من اضافة العوامل الطبيعية كالزلازل التي قربت البعيد ومجلت النتائج

وانطاكية موطن اميانوس مرشكينوس وارشيئاس الشاعر الفيلسوف الذي كان شيشرون من تلاميذه وليبيانوس والقديس لوقا والقديس يوحنا فم الذهب . وينسب اليها جماعة كثيرة من اهل العلم وغيرهم من المسلمين . وفي القرن الخامس لقب اسقف انطاكية بطيركا ويطلق لقب بطريك انطاكية على بطريك الروم الارثوذكس وثلاثة من بطاركة الكنيسة الكاثوليكية وهم بطريك الموارنة وبطريك الروم الكاثوليك وبطريك السريان الكاثوليك وما من أحد من هؤلاء يقيم في انطاكية

وقد ازدهرت النصرانية في انطاكية ازدهاراً كبيراً . وليس في العالم كله مدينة غير القدس مرتبطة اكثر من انطاكية بتاريخ الكنيسة الرسولية . ومما يذكر هنا اشتراك المدينتين في كثير من المسائل المتعلقة بانتشار النصرانية من ذلك أن احد الشمامسة السبعة الذين انتخبهم الرسل لخدمة الموائد كان من انطاكية (اع ٦ : ٥) ولما تشتت النصارى من اورشليم بعد قتل اسطفانوس سار قوم منهم الى انطاكية وبشروا فيها بالانجيل (اع ١١ : ١٩) وانحدر اغابيوس وغيره من الانبياء من اورشليم الى انطاكية وانباوا بالجماعة (اع ١١ : ٢٧ و ٢٨) ومنها ارسل برنابا وشاول الى اورشليم للقيام بأعمال خيرية (اع ١١ : ٣٠ و ٢٥) واليهما انحدر قوم من اليهودية وألقوا في كنيستها رجساً (اع ١٥ : ١) وبها لام القديس بولس القديس بطرس لنهجه طريقاً ساقه اليها رسل من اورشليم (غلا ٢ : ١١ و ١٢) ومعظم أهمية انطاكية دينياً ناشت عن استظهار النصرانية فيها على الوثنية فقد قامت بها أول كنيسة للام (اع ١١ : ٢ و ٢١) وبها دعي التلاميذ مسيحيين اولاً (اع ١١ : ٢٦) وقام القديس بولس بأعماله الاولى التبشيرية (اع ١١ : ٢٢ - ٢٦) وسافر منها في بدء سياحته الاولى للتبشير (اع ١١ : ١ - ٣) واليهما رجع (اع ١٤ : ٢٦) وبعد ان عقد الجمع الرسولي الذي انفذت أوامره الى الأمم المرتدة في انطاكية خاصة (اع ١٥ : ٢٣) بدأ سياحته التبشيرية الثانية وانتهى اليها (اع ١٥ : ٣٦ و ١٨ : ٢٢) ثم خرج منها حين بدأ رحلته

الثالثة (ا ع ١٨ : ٣٣) التي انتهت في اورشليم وقيصرية وما من شيء يدل على انه رجع اليها بعد ذلك غير انها بقيت بعده مركزاً مهماً لتقدم النصرانية

أما بطرس الرسول فهو أول اسقف سيم لكنيسة انطاكية سنة ٤٤ فبعد أن أقام فيها سبع سنين عين افوديوس خلفاً له وقصد الى روميه . أما كنيسة القديس بابلأس اسقف انطاكية الذي مات في اثناء الاضطهاد الذي قام به دأكيوس فقد كانت في « دفنه » بحوار انطاكية واستطالت شهرتها حتى أنست الناس عظمة هيكل ابولون المقام هناك . ولما قدم بوليايوس الجاحد دفنه ليقدّم قرباناً لابولون دهش جد الدهشة لأنه لم ير في الهيكل الاحتفالات المعتادة وشكا في بعض كتاباته من أنه لم ير من القرايين الا طيراً من الاوز قدمه رجل فقير بدلاً من التقدّمات السابقة التي كان كل منها مؤلفاً من مائة ذبيحة وحملته غيرته الدينية على الاخذ بثأر ابولون فهدم كنيسة القديس بابلأس واصدر أمره الى النصراني بنقل موتاهم المدفونين في « دفنه » الى انطاكية مع بقايا القديس بابلأس فوضعت عظامه في مركبة ونقلت مخوفة بالنشائد والترانيم والناس من حوالها يهللون ويضجون بحماس كبير . وفي الليلة التالية اضرمت النار حول تمثال ابولون في « دفنه » فسقط وقد نسب يوليانوس ذلك الى نصراني انطاكية فعاقبهم على ذلك عقاباً أليماً وفي سنة ٣٠٣ حدث الاضطهاد الذي قام به ديوكليانوس على انطاكية فخرى فيها من الفظائع ما تقشعر له الابدان هولاً ورعباً وجرى بين الكاثوليك والاريوسيين من الشقاق ما كاد يفضي الى خراب المدينة . وفي النصف الثاني من القرن الرابع اضطربت أحوال كنيستها لتكثر فرق الهرطقة فيها والتأم في انطاكية عشرة مجامع مسيحية من سنة ٢٥٢ الى سنة ٣٨٠ وفي أواسط القرن السادس للميلاد فتح كسرى ملك فارس انطاكية بعد ان كان يوستنيانوس قد بذل جهده في ترميمها واعادة الابنية التي هدمتها الزلازل فاضرم فيها النار فاحترقت ما عدا منطقة « ستراتيوم » والكنيسة الكبرى الا أن الفرس سلبوا منها كثيراً من النفائس وكان القيصر قد انفذ الى ملك فارس سفيرين يدعى احدهما يوحنا والآخر يوليانوس فتمكنوا من مقابلته وعقدا معه معاهدة صلح تقرر فيها أن يؤدي القيصر الى ملك فارس مبلغاً سنوياً على سبيل الاعانة وعلى سبيل الجزية

وقد اتفق المؤرخون ان يوستنيانوس ساعد أهالي انطاكية مساعدات كبيرة تمكنوا بها من بناء حمامات جميلة وانشاء قصور جديدة غاية في الابداع وكنيستين كبيرتين احدهما للعدراء والاخرى للقديس ميخائيل وحولوا مجرى النهر ووسعوه وبلطوا اسواق المدينة تبليطاً حسناً وجروا المياه الصالحة للشرب بأقنية ووسائل اخرى كثيرة ووزعوها على الاحياء المختلفة وحفروا آباراً خاصة للمنشآت القائمة على التلال والاماكن المرتفعة واقاموا المياه الشتاء سدوداً متينة لوقاية البلد من أذاها . كذلك انشأ يوستنيانوس ثلاثة مستشفيات احدها للنساء والثاني للرجال والثالث للعرضى من السياح والغرباء وفي آخر سبتمبر سنة ٥٨٩ حدثت زلزلة شديدة في الساعة الثالثة صباحاً فتساقطت الأبنية في

بضع دقائق وهدم جزء كبير من الكنيسة الكبرى غير ان قبة الكنيسة انفصلت من أصلها وسقطت على بعض الجدران فارتكزت عليه ولم تحمل عنه لأنها توازنت ولم تنفصم انها كانت من المعدن والخشب ولم يعقب هذه الزلزلة من الاضطرابات ما عقب الزلزلة التي حدثت سنة ٥٢٦ غير أن شوكة سوريا كانت قد مالت الى الزوال لان الفرس كانوا يدنون من الفرات وينهبون آسيا الصغرى وفي اثناء هذه الأخطار أخذ فوكاس المغتصب يضطهد اليهود ويهددهم بالقضاء ان لم يعدلوا عن شريعة موسى فثارت ثورتهم وانقضوا على انسطاسيوس الاسقف واحرقوه بالنار حياً فحُرِّت عليهم قساوتهم هذه قصاصاً مرعباً وذبحهم فوكاس شر ذبحة وفي سنة ٦٣٨ للميلاد فتحها المسلمون صلحاً على يد ابي عبيدة بن الجراح في ايام الخليفة عمر وذكر المؤرخون الافرنج ان الذي مكنته من ذلك خيانة يوقنا احد قواد الروم ولم يدخلها الا بعد حصار شديد . وذكر ياقوت ان ابا عبيدة سار اليها من حلب . ثم انتقل اليها قوم من اهل حمص وبلبلك منهم مسلم بن عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الانطاكي وكان مسلم قد قتل على باب من ابوابها فهو يعرف بباب مسلم الى الآن . وفي سنة ٩٧٥ استرجعها الامبراطورية البيزنطية وذكر ياقوت ان الروم استرجعوها سنة ٣٥٣ للهجرة الموافقة ٩٦٤ للميلاد بعد ان ملكوا طرسوس واطنه غير ان الرواية الاولى هي الاصح واستمرت انطاكية في ايدي الروم الى ان استولى عليها منهم سليمان السلجوقي جد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ للهجرة وفي سنة ١٠٩٧ للميلاد حاصر الصليبيون انطاكية ولم يكن لها حينئذ من القوة ما كان لها في عهد الرومانيين لان عدد سكانها تناقص غير ان مساحتها كانت لا تزال ثلاثة فراسخ وكانت اسوارها منيعة جداً وكان فيها ٣٦٠ برجاً للقتال وقلعة مبنية على صخر وخنادق عميقة وفي احد جانبيها نهر وفي الآخر حجة والتلال من حوالها تقبها الهجمات . وكان المحاصرون مؤلفين من اربع امم من الافرنج فتمكنوا من فتحها سنة ١٠٩٨ للميلاد ويقال ان الذي سهل لهم ذلك خيانة رجل ارمني يدعى فيروز كان قد أسلم . وذكر ياقوت ان الافرنج استولوا عليها بحيلة وقد جعل الصليبيون انطاكية قاعدة اميرية باسمها واول من ملكها بوهيموند الترتي وكانت مدة ملكه من سنة ١٠٩٨ الى ١١٠٨ ثم ضمت الى مملكة اورشليم واعيدت بعد ثمان سنوات الى بوهيموند الثاني سنة ١١٢٦ وفي سنة ١٢٦٨ حاصرها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ففتحها بعد حصار استمر اربعة ايام واحرق كنائسها بالنار وقتل من اهلها نحو ١٧ الف نفس وأخذ منهم مئة الف اسير . وقد انحطت قواها بعد ذلك وزال ما كان لها من الرونق والبهاء وفي سنة ١٥١٦ استولى عليها الاتراك . ومن الزلازل التي اصابها وهي في حوزة الدولة العثمانية الزلزلة التي حدثت سنة ١٦١٥ وكادت تهدم المدينة برمتها وقد قتل فيها عدد وفير ثم الزلزلة التي اصابها سنة ١٨٧٢ وقد بدأت في ١٣ ابريل واستمرت عدة ايام فهدمت قسماً من الاسوار وانشق الجسر الروماني القديم في عدة اماكن وتساقطت كنيسة الروم الارثوذكس وهلك الوف من الاهلين

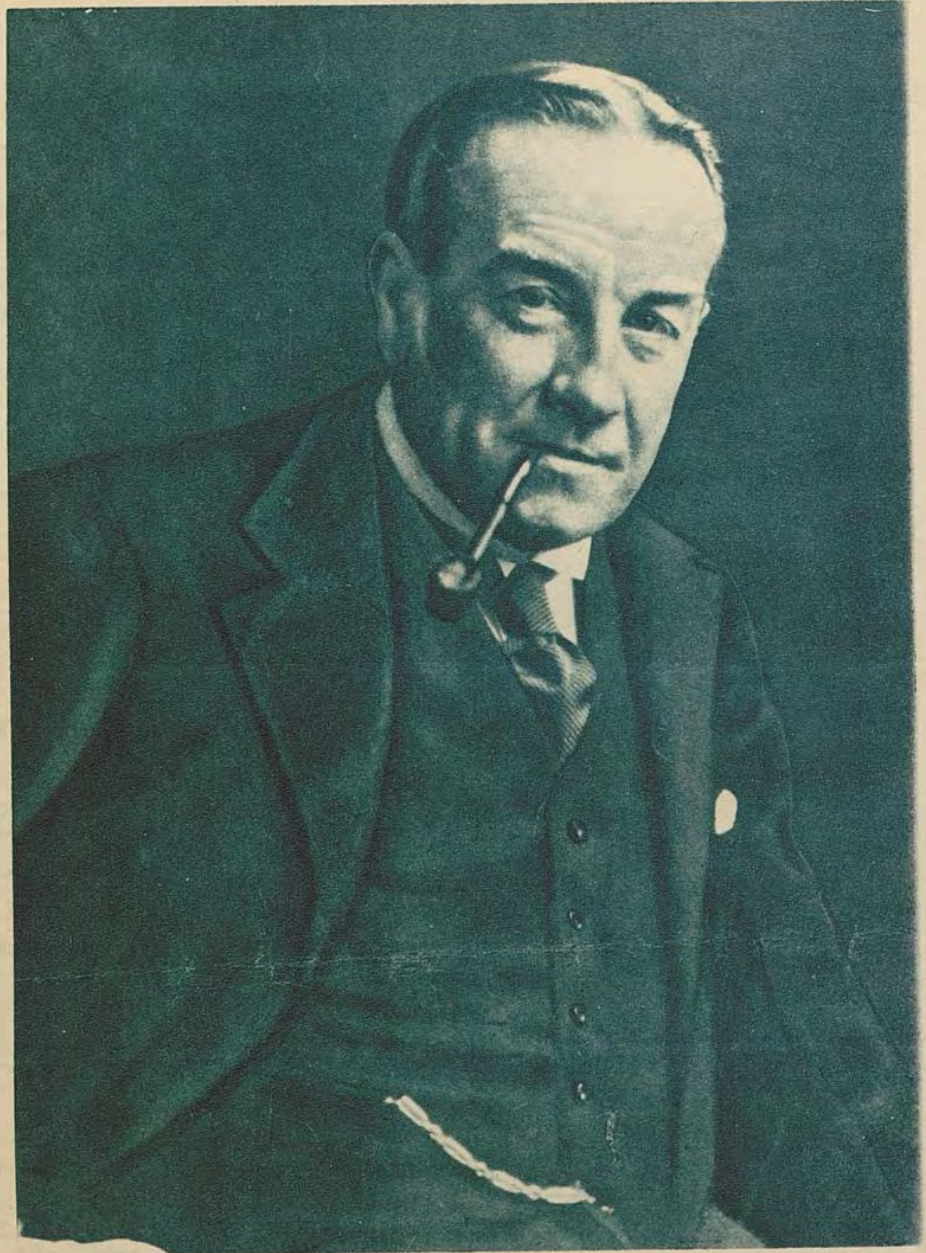
حب الام

في أناييب التجارب العلمية

ان حب الام في نظرنا هو روح الامومة ومجلاها لذلك نسبغ عليه في الناس والحيوانات على السواء ، مسحة من الالوهة ، ومع ذلك يقول الكاتب « رتشي كالدر » في كتابه الجديد « ولادة المستقبل » انه رأى حب الام في انبوب المختبر !

ذهب هذا الكاتب الى الدكتور ويسنر في معهد الوراثة الحيوانية بادنبره فعرض عليه انبوباً فيه سائل قال انه يحتوي على سر الحب في الام . فاحس الكاتب عندئذ برعشة في يديه حتى كاد ان يفلت الانبوب منهما ويتحطم على الارض . فقد أثبت الدكتور ويسنر انه يستطيع أن يولد في اناث الحيوان غريزة الامومة وفقاً لرغبته . وليس السائل الذي يحتوي عليه الانبوب المذكور ، الاغريزة الامومة هذه ، وقد أفرغت في قالب مادي . فقد استخرج الدكتور ويسنر هذا السائل من الغدة النخمية المؤلفة من ثلاثة فصوص في مخفض صغير داخل الجمجمة عند القذال . ثم أثبت انه عند ما تحقق به الفئران التي لم تلد تتصف بجميع مظاهر الامومة ومنها حب الام . فكانه خلق غريزة الامومة بحقنة ابرة ! والمظاهر التي تجلت في تصرف الفئران تستوقف النظر ، فالامومة في الفئران تستغرق خمسة عشر يوماً بعد الولادة ، تبالغ الوالدة في خلالها ، في العطف على مواليدها ، فتحملها وترأفها وتبني لها العشوش وتدافع عن كيانها ، ثم اذا انقضت الايام الخمسة عشر ، تركتها وشأنها ، منصرفه عن كل عناية بها ، فلا يبدو عليها بعد ذلك اي مظهر من مظاهر عطف الام على فلذات مشتقة من كبدها . الا ان حقن الخلاصة المستخرجة من الغدة النخمية ولد في اناث الفئران مظاهر الامومة مع انها كانت غير قريبة العهد بالولادة . وهذا السائل يحتوي على هرمون (رسول) خاص مستخرج من الفص الامامي في الغدة النخمية ، فاذا توصل العلماء الى معرفة بنائه الكيميائي ، اصبح في وسعهم ان يصنعوا « حب الام » في المعمل

ان الدكتور ويسنر واعوانه معنيون الآن بالبحث في أسرار الولادة والتناسل ، وقد وجهوا جانباً كبيراً من عنايتهم الى استكناه اسرار الهرمونات (الرسل الكيميائية التي تطلقها الغدد الصم) المسيطرة على العمليات الشقية (الجنسية Sexual) المعقدة في الجسم ، ويؤخذ من هذه البحوث ان أعمال التناسل والولادة خاضعة لسيطرة الغدة النخمية ، وان هذه الغدة بمثابة المركز الرئيسي أو مقر أركان الحرب لنظام الغدد في جسم الانسان ، منها تنطلق الرسل (الهرمونات) في مجرى الدم حافزة بعض الغدد للعمل أو لنقل الاوامر الى ما يتصل بها من الغدد الاخرى ومن هذه الغدد ما يصد الرسل عن سيرها ، ولا يطلقها من عقاها الا متى حان الوقت الموافق ، والعمل كله قائم على أساس عجيب من التضافر والاتساق

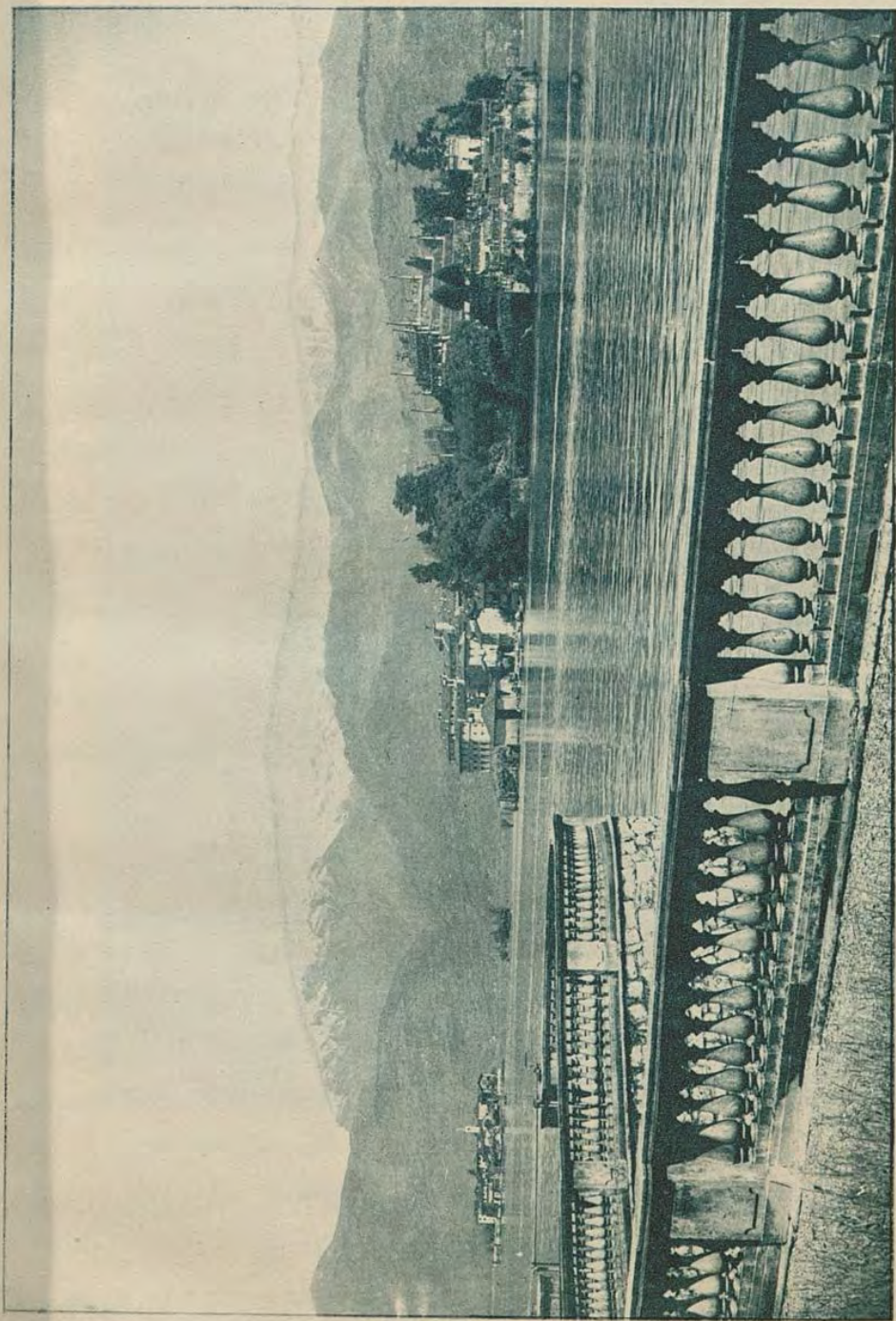


ستانلي بولدوين زعيم المحافظين البريطانيين

Stanley Baldwin



قصر « ايزولا بلا » القائم على جزيرة في بحيرة ماجوري امام بلدة ستريزا حيث عقد مؤتمر ستريزا في ١١ ابريل الماضي
لحضرة موسوليني ومكدونلد وفلاننان والسر جون سيمون



وزار
في الو
أن يس
إذ رأ
الضبا
الجيش
يسمع
المتعم
و
عن قاع
لكي ت
رجال
كا
اراكي
ما يشك
نحقيقه
أ
الامبر
كان لس
يستمد
اليابان
لذ

روح اليابانه ورسالها

زعيمها الحربي يتحدث

«كنوزنا المقدسة ، هي المرآة رمزاً للعدل ، والجوهره
رمزاً للرحمة ، والسيف رمزاً للشجاعة . هذه الفضائل
هي سر روح اليابان »
[الجنرال اراكي]

لما دعي الجنرال اراكي من نحو ثلاث سنوات ونصف سنة ، من قيادة فرقة محلية ، الى تقلد وزارة الحربية ، كانت الحملة المنشورية في بدئها . ولكن مكانة وزير الحربية حينئذٍ وشأنه الكبير في الوزارة اليابانية ، كانا مستمدتين من خطورة الحملة في منشوريا ومن معرفة زملائه أنه يستطيع أن يسير فيسير الجيش الياباني وراءه . ذلك أن الجيش كان قد دب فيه ديبب الخروج عن الطوق ، إذ رأى الدبلوماسية اليابانية في مسألة منشوريا مترددة خائفة لا تقف من الحالة موقفاً حازماً . وكان الضباط الشبان يقرأون لبعض متصوفة اليابان بأن الله لا بدّ معيد لليابان عهد ازدهارها على يد الجيش والقواد والضباط ، فينقضي عندئذٍ عهد المتمول وعهد خادمه السياسي . وبدأ القوم يسمعون في أندية اليابان ودوايرها همساً باحتمال وقوع انقلاب في نظام الحكم ، يقوم به الجيش المتمرد ، فيطرّد السياسيون من منصات الحكم وتنشأ حكومة عسكرية قومية

وكان التقلقل السياسي حينئذٍ على أشده ، فالوزارة السابقة كانت قد استقالت على أثر خروجها عن قاعدة الذهب ، وكانت الجمعيات السرية قد دوّنت في قوائمها أسماء بعض الوزراء وكبار الممولين لكي تتخلص منهم ، لأن في الخلاص منهم فائدة - في رأيها - للوطن ، وكان الضباط يمدون رجال هذه الجمعيات بالمسدسات وقنابل اليد

كانت الحالة في اليابان على ما ذكرنا ، لما دعي الجنرال اراكي لتقلد وزارة الحربية . والجنرال اراكي يحبه الشبان من الضباط ويحترمونه ويثقون به . وهو من ناحية يشاطرهم آراءهم ويعطف على ما يشكون منه . وكان ، وهو في منصب مدير المدرسة الحربية ، قد بسط ايمانه برسالة اليابان ووجوب تحقيقها بالحديد والنار . ففي اراكي رأى الجيش زعيماً يجدد بهم أن يتبعوه . فالى أين يقودهم ؟ أما الجيش في منشوريا ، فوجد في اراكي وزير الحربية الامثل ، لانه لما تقلد المنصب ، أصبحت الامبراطورية اليابانية بجميع مواردها وقواها ، تؤيد الجيش الياباني في مغامرته المنشورية . فاراكي كان لسان الجيش ، والمعرب عن مشيئته ، وفي ذلك ، كاد يكون مستقلاً كل الاستقلال عن الوزارة يستمد سلطته من الامبراطور مباشرة ، والامبراطور هو قائد الجيش الأعلى ، بل هو بمثابة آله في اليابان ، والسلطة التي منحها الامبراطور للجنرال اراكي ، استعملها اراكي الى أقصى حدودها لذلك رأينا الجيش الياباني في سنة ١٩٣٢ . بعد فترة من التردد والأحجام ، في منشوريا

وقد اتخذ خطة الهجوم ، تنفيذاً لمشية الوطنية . فلما سارت الاعمال الحربية سيرها المرسوم ، عجز رجال السياسة عن التدخل في السيطرة عليها ، فكان اراكي وأركان حربه ، والقواد الذين في الميدان ، أصحاب الحل والربط الفعلين في كل ما يتعلق بمشوريا

ويذكر القراء أنه قبلما يقدم تقرير لتون الى جمعية الامم — وهو تقرير اللجنة التي ذهبت الى الصين برأسه لورد لتون من قبيل جمعية الامم لتحقيق مسألة اعتداء اليابان على الصين — اعترفت حكومة اليابان بدولة منشوكو — وهي الدولة التي أقامتها اليابان في منشوريا وأقامت عليها آخر امبراطورة المنشو الصينيين — فأعلنت بهذا الاعتراف انها اتخذت قراراً حاسماً فيما يتعلق بخطتها في شرق اسيا . وفي سبيل هذا القرار خرجت من جمعية الامم متحدية الرأي العام الدولي

والجيش الياباني الآن يعتقد أنه قد فاز بحل المشكلة المنشورية (أو هو يظن أنه قد فاز) بإنشاء دولة منشوكو ، فالتسع المجال أمام اليابان لتعيش اذ كفل لها هذا الحل موارد زراعية ومعدنية تحتاج اليها ، وأسواقاً لبيع بضائعها ومجسماً تردُّ به روسيا . فالجيش قد اختصر الطريق الى هذا الغرض ، وصرم حبال السياسة الطويلة ، بفعل الحديد والنار ، وحقق خطة معينة في السياسة الخارجية تعتقد الأمة اليابانية عن بكرة أبيها ، انها خطة لا ندحة لها عنها اذا أرادت اليابان أن تعيش

والجنرال اراكي اليوم^(١) هو رجل الساعة في اليابان ، عيّن في وزارة الحربية ليمتطي الثمر المتهاج — أي الجيش — فامتطاه على ما يهوى الثمر نفسه . وفسح له المجال لتحقيق الاماني التي يرنو اليها وهو في رنوه اليها انما يعبر عن مشيئة الامة اليابانية بأسرها

وكان بعض المشتغلين بالسياسة يتوقعون أن يقوم اراكي بعد فوزه هذا ، بقلب الحكم في اليابان ، وخصوصاً بعد الخطأ الذي ارتكبه بعض الشبان من الضباط في قتل رئيس الوزارة اينوكاي . ولكن آمالهم خابت فيما يتوقعون ، لان وزير الحربية — اراكي — لم يلبث بعد وقوع الحادثة ان أصدر أمراً قال فيه « ان الجيش افراداً وكلاً مندمجاً ، لا يتحرك الا وفقاً لأمر الامبراطور ، وان كل انحراف عن هذه القاعدة خيانة » . فأثبت انه دستوري ، وقضى الشهور التالية ، محاولاً أن يعيد الى اليابان استقرارها واتزانها ، وكانت قد فقدتهما على أثر التجارب والمغامرات التي هزتها هزاً . ثم ان اراكي رجل لا ينتمي لحزب ، ولا هو صديق للنظام البرلماني ، ولكمه بذل كل ما في لحي يمكن اليابان من استئناف نمو الانظمة النيابية فيها

كان قبل تقلده وزارة الحربية ، مجهولاً عند السواد من الشعب الياباني . انتظم في سلك الجيش وليس له ما يميزه من عزوة أو مال أو نفوذ . كان والداه فقيرين وبدأ هو حياته في منصب كاتب في معمل « صلصة » . وغني عن البيان أن رجلاً بدأ حياته كاتباً بسيطاً في معمل « صلصة » ثم أصبح

(١) استقال اراكي من وزارة الحربية لما رأت الوزارة ان لا تمنحه كل ما طلبه من الزيادة في ميزانية الجيش ولكنه لا يزال من أصحاب الحول والطول في توجيه سياسة اليابان ، وانما من وراء ستار

وهو في السابعة والخمسين « وزير الحربية » وزعيم الجيش الياباني ، كان فتى طموحاً . ولكنه لم يطلب الشهرة ولا سعى اليها . فلم يظهر في ميدان الشؤون العامة في بلاده ، حتى اقتضت ذلك حوادث ماله فيها يد

وليس في سيرته ما يسترعى النظر وإنما في ذهنه ما يسترعي العناية . فبصفة كونه جندياً يابانياً ، شعر بوجوب وضع مبدأ جديد ، يسير بمقتضاه الجيش الياباني . ففي الايام القديمة اي في أيام الاقطاع كان الساموري يطيع أميره طاعة عمياء . فلا بدّ اذاً ، من وضع مبدأ ينظر اليه الجندي الياباني كما كان الساموري ينظرون الى أمرائهم في العهد القديم . واليك ملخص هذا المبدأ : —
ان الطبيعة والقدر وضعا الشعب الياباني موضعاً تحيط به المخاطر والمصاعب من كل ناحية . تصيبه الزلازل والاعاصير والنيران وتضيق به جزائر اجداده . ولكن الشعب لا يسلم للمخاطر التي تزجها اليه الطبيعة ، ولا يجب ان يقف دون العراقيل التي تقوم في سبيل توسعه مكتوف اليدين . فالحياة « حياة خطرة » وهي مصير اليابان المحتوم . وفي دولة هذه حالتها ، تعظم التبعات الملقاة على عاتق الجيش نحو الامة

وهو يضحك من اولئك الكتاب الذين يشبهونه بكبار رجال السياسة من الاوربيين ويقول « ان اليابان لا تحتاج الى هتلر ولا الى موسوليني » ولكنه لا ينكر انها تحتاج الى اراكي . ليس في مظهره ما يدل على انه قائد عظيم او امير من امراء الحرب ، فهو قصير القامة هزيل الجسم تدل اساريره على التقشف والحياة البسيطة ، ولكنه شديد العناية بالآراء التي تطرح عليه ، ويسره كل السرور ان يناقشها ويجادل فيها

قابله احد الصحفيين وبادره بالقول : يا جنرال اني اريد ان أفهم العالم من انت ، فالناس خارج هذه البلاد يعتقدون انك دكتاتور ، وكثيرون يظنون انك تمثل خطة السطو والبسطة في حياة اليابان الخارجية والنزعة الفاشستية في حياتها الداخلية ، فما هو « ركن الروح اليابانية » التي تتحدث عنها . فقال الجنرال : ان ركن الروح اليابانية كنوزنا المقدسة : هي المرأة تمثل العدل ، والجوهره تمثل الرحمة . والسيف يمثل الشجاعة . ان ركن الروح اليابانية هو هذه الفضائل ممثلة في البيت الامبراطوري من بدء تاريخنا : هذه هي حكومتنا المثلى . ان مثلكم الاعلى في الحكومة هو قيام الحكومة على رضا المحكومين . اما نحن فمثلنا هو وحدة الحاكم والمحكوم . فنحن ننظر الى الامة نظرنا الى الاسرة . ونحسب فن الحكومة تعاون الشعب والامبراطور على تحقيق ما فيه الخير العام . هذه الروح مناقضة للنزعة الدكتاتورية . ولما كان مثلنا السلم والوحدة في داخل بلادنا فلا بد من ان يكون روحنا الهادي مناقضاً لنزعة السطو والبسطة في الخارج . وقد مضى على الشعب الياباني ، طائشاً في ظل حكومة الامبراطرة ، القائمة على هذا الروح ، نحو ألفي سنة ولكن في العقود الاخيرة تقلقت افكارنا ، متأثرة بمثل الغرب ، وأخذ بعض شعبنا يميل الى نسيان الاغراض السامية التي وضعها

أجدادنا . فأنا لا امثل خطة خاصة بي . بل ادعو الى العودة الى مبادئنا ومثلنا القديمة الصلحي — لقد بينت في كتابك الذي جعلت عنوانه « رسالة اليابان » ان كل آسيا تقريباً ما عدا اليابان ، إما ضاربة فيها الفوضى او هي محكومة من سلالات اجنبية وقلت ان « رسالة اليابان القومية هي رسالة بناء وفسرتها بقول الحكيم : اقيموا هذه الارض الطافية على اساس مستقر » فهل هذا يعني انه من الواجب على اليابان ان تعيد النظام الى نصابه في بلاد الصين ؟

الجنرال — لما استعمل ذلك الحكيم الالهي الكلمات التي اشترت اليها كان ينادي اليابانيين الى جعل اليابان بلاد نظام وسلام . وانك ولاشك تقر باننا حاولنا ، ان نحول الفوضى في بلادنا الى نظام . فاذا كنا نستطيع ان نمديد المعونة الى الصين او الى اي بلاد غيرها حيث الانسانية تتألم وحيث الناس يقتلون بعضهم بعضاً ، فالواجب علينا يقضي بأن نفعل ذلك . ان مثلنا الاعلى النهائي هو سلام العالم ، قائماً على العدل والرحمة . واود ان تفهم ، اننا في سبيل الوصول الى هذا الغرض انتظمتنا في جمعية الامم

الصلحي — ان مغوليا بلاد شاسعة مترامية الاطراف ، يقطنها نحو اربعة ملايين من السكان في مليون ميل مربع من الارض . فهل تعني يا حضرة الجنرال ان اليابان تستطيع ان تجد في هذه البلاد سعة لسكانها الفائضين ، من دون ان تعتدي او تسطو على احد ؟

الجنرال — للنوع الانساني الحق ان يعيش على وجه الارض فلنفرض ان السكان في بلاد ما كانوا قليلاً اذا قيسوا بمساحة البلاد وغنى مواردها الطبيعية . ولنفرض ان السكان في بلاد اخرى كانوا كثيراً جداً اذا قيسوا بمساحة البلاد وضآلة مواردها الطبيعية . وان البلاد الاولى تقفل في وجه سكان البلاد الاخرى الباب وتمنع تبادل البضائع بالحواجز العالية . افلا يكون هذا العمل حداً لحرية الحياة وانطلاقها . وهل يمكن تحقيق السلام العام ، والرخاء العام بهذه الوسائل ؟

أنا لا اعتقد ان السلام يمكن ان يعزّز ، بالاحتفاظ بالحالة الراهنة بين الامم . فالعالم ليس شيئاً مستقرّاً ، والامة اليابانية ، مثل سائر الامم ، لها الحق في ان تسعى الى الفردوس على الارض على انني اشارك الاقتصاديين في ان الهجرة لا تحل مشكلة زيادة السكان . فنحن نطلب ميداناً حيث نستطيع ان ننمو نمواً طبيعياً بمقتضى القواعد العلمية (وهذه اشارة لاريب فيها الى منشوريا) الصلحي — ان الصين في حالة يرثى لها من الفوضى ، وتضعض أسباب النظام . فاذا سلمنا ان على الدول جانباً كبيراً من التبعية في مساعدة جاراتها ، أفلا تكون رسالة اليابان في الصين ان تخرج بها من الفوضى الى النظام

الجنرال — ان السلام في الشرق الاقصى يجب ان يقوم على وحدة الصين القومية ، وعلى تعاون اليابان والصين ، وقد كان هدف سياستنا الخارجية من ايام الميجي (١٨٦٠ و ١٩١٢) العمل على ترقية الصين والتعاون بين الصين واليابان ، وحتى الآن لم نلق جزاء لنا على صنيعنا . والصينيون من

دون تفكير وتروء في اعمالهم ، هبطوا بالصين الى الدرك الاسفل من الفوضى ، ونحن جيران الصين نأسف اشد الاسف على هذه الحال السائدة هناك ، ولكننا لن نياس ولن يدب القنوط الى نفوسنا ، وسوف لا نضن بمجهود لمساعدة الصين على توطيد الامن والنظام في ربوعها الصحفي — وكيف تعيدون الصداقة بين اليابان والصين ؟

الجنرال — إن وجود الامة الصينية ووجود الامة اليابانية يجب ان يكون وجوداً متسقاً فالامتان ليستا خصمين ولا متنافسين . والصلة بينهما يجب ان تكون وثيقة كصلة العجلة بمحورها . يجب ان يتقدما معاً والاً فانهما يتألمان معاً . وقد عكر صفو الصلات الودية بينهما ، أن رجال السياسة وامراء الحرب في الصين مكبشون على نزاتهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ولا يعنون حقيقة بالواجب الوطني وهو تعزيز بناء النظام في انحاء البلاد وإقامته على اساس راسخ

والاساس الذي تقوم عليه صداقة الصين واليابان يقتضي ان يتجه الضمير الوطني المستيقظ في الصين الى الحق والعدل . ويجب على الصين ان تتخلى عن خططها القديمة باثارة دولة ضد اخرى . فاذا ادرك الصينيون مصالحتهم الحقيقية واتجهوا الى عمل البناء والتشييد ، صفت في الحال صلاتنا بهم مما يشوبها فنستطيع ان نتعاون حينئذ معاً على تعزيز السلام في الشرق الاقصى

الصحفي — في جزائر الفيليبين ١٢ مليوناً من السكان . ويظن المستر هوفر ان جزائر الفيليبين تتسع لستين مليوناً . فهل تقول ان اليابانيين وبلادهم شديدة الازدحام بهم بحق لهم ان يهاجروا الى الفيليبين الجنرال — الشعب الياباني شعب مجتهد . منظم . امين . فنحن ندعي اننا نصلح من الناحيتين الجسدية والعقلية ، للمهاجرة الى الفيليبين ، بل الى اي بلاد من بلدان العالم ، اذا وازنت بيننا وبين سائر الامم . وانما نحن لا نريد ان نكون ضيوفاً ثقلاً غير مدعوين . بل نطلب ان نعامل معاملة خالية من التحزب والظلم ، ونحن نأمل من البلدان غير المزدحمة بالسكان التي ترضى ان ندخلها على قدم من المساواة والحرية ، ان تفتح لنا صدرها في اول فرصة

الصحفي — وما مقام الجيش الياباني في الدولة ؟ ألا يصح ان نقول ان الجيش في اليابان ليس اداة من ادوات الحكومة ، وانما هو الابن الاكبر في الاسرة القومية — اي الامة اليابانية ؟ وقد يكون الواجب على الابن الاكبر احياناً ان يتصرف في الاحوال الاستثنائية تصرفاً تقتضيه الاحوال وبمليه عليه عقله وضميره ، فيكون في تصرفه هذا نائباً عن الاسرة ؟ أكانت هذه الروح روح الجيش اذ تقلد زعامة المغامرة المنشورية ؟

الجنرال — ان الواجب على الجيش الامبراطوري محاربة الشيطان بفضيلة الشجاعة الممثلة في السيف ، وهو احد كنوزنا المقدسة الثلاثة ، فالجيش ليس اداة في يد الحكومة ، ولا هو الابن الاكبر في الاسرة القومية ، وانما هو جانب من الفضائل العظيمة التي يتصف بها الامبراطور ، اي العدل والرحمة والشجاعة . فهو في الواقع ينفذ مشيئة الامبراطور

فاما تقلد الجيش الزعامة في منشوريا لم يكن الجيش الا سيف الامة ، والمعبر جميع في افعاله عن مشيئتها ، فقرة البلاد وعزما على توطيد السلام الدائم في الشرق الاقصى — كل ذلك يبدو في الجيش الياباني في منشوريا

الصحفي — هل يقبل الجيش اوامر الحكومة المدنية ، او يدعي الحق في تقرير الخطط السياسية في بعض الامور

الجنرال — ليس على الجيش من واجب الا الدفاع عن البلاد ، واطهار الهيبة الامبراطورية . فقيادته العليا في يدي الامبراطور . ومقامه في الدولة يختلف عن مقام الجيوش في الدول الاخرى التي تنفذ اغراض الحكومات القائمة . فالجيش الياباني يتصرف في صغائر الامور او كبارها ، اذا وجب اظهار الارادة الامبراطورية و « الاودو » اي رغبة الامبراطور . فمن البدهة ان يشترك الجيش في تقرير السياسة الوطنية في ما يتعلق بالدفاع

الصحفي — اتعتقد ان الجيش يجب ان يظل مبتعداً عن السياسة ، واذا فسد السياسيون وأصبحوا مرتكبين ، وعرضوا الامة ، بحكومتها الفاسدة الى الخطر ، فهل يظل من الواجب على الجيش ان يقف مترفعاً عن الشؤون السياسية

الجنرال — لا يمكن للجيش ان يظل مترفعاً عن سياسة تنطوي على الارتكاب والفساد ، ولا يسعه ان يسكت عن انتشار الآراء الخفيفة والمتطرفة . ولكن الجيش لا يتحرك الا بأمر الامبراطور ، ورئيس اركان الحرب مستشار الامبراطور في ذلك

الصحفي — سمعنا كثيراً في السنة الماضية عن اثر « الضباط الاحداث » في السياسة ، ونحن لا نستطيع ان نفهم كيف يؤذن للضباط وخصوصاً الشبان منهم ، ان يتدخلوا في الشؤون السياسية . فهل تستطيع ان تفسر لي كيف فازوا بهذا النفوذ في الجيش الياباني

الجنرال — الضباط الشبان هم زهرة الجيش الامبراطوري وذخره . ان شجاعته في منشوريا وشغفها تبعث على النشوة . على ان الجنود اليابانيين لا يسمح لهم ان يتدخلوا في الشؤون السياسية وانما ينظرون الى الامبراطور كزعيمهم الاعلى . هم جنود الامة وحراسها . والجيش وحدة . والضباط الشبان ليسوا طبقة فيه منفصلة عن الطبقات الاخرى . ولكنهم لشبابهم وشجاعتهم يسترعون عناية الناس اكثر مما يسترعها غيرهم

الصحفي — ان العالم يعجب بنظام الجيش الياباني ، لذلك صدم الناس صدمة عنيفة لما سمعوا ان ضباطاً لابسين البذلة الجنديّة الامبراطورية قتلوا رئيس الوزراء اينوكاي

الجنرال — عمل فظيع ! ولكن يجب ألا تحكم على الاقليم بالاخاير والعواصف التي تثور احياناً . فلا تحكم على الجيش الياباني بهذه الحادثة التي اسفناها جميعنا اسفاً عظيماً

ستاتي بولدون

السياسة بين الذكاء والخلق

رجل في السابعة والستين ، ربعة القوام حليق العارضين والشاربين ، ازرق العينين اسمر البشرة ، يرتدي من الملابس ابسطها الى حد الرثانة ، وفي يده او فمه غليون لا يكاد يفارقه هذا هو بولدون في مظهره الخارجي . بولدون الذي تقلد راسة الوزارة البريطانية مرتين وزعامة المحافظين من يوم تخلى عنها بونارلو قبيل وفاته من نحو اثني عشرة سنة . هذا هو الرجل الذي القي على كتفيه وشاح دزرائيلي وساليسبري وروزبري وبلفور . تراه وهو يدخن غليونته فتعسبه من عامة الشعب او رئيساً من رؤساء نقابات العمال لا زعيم المحافظين البريطانيين وقد تخطئه عند النظرة الاولى ، فشكاه اقرب الى شكل مقاول معماري منه الى اي شيء آخر . ولا يصعب عليك ان تتصوره واقفاً على الجدار وحواليه العمال على الصقالة ، وفي اذنيه رنين المطارق وفي جيبه لفة بارزة هي رسوم المهندس . قد لا يوافق هذا المقاول المهندس في كل ما رسم وصمم ولكنه يمضي في عمله من دون ان يبدي اعتراضاً ، لان الاعتراض على تصميمات المهندس ليس من شأن المقاول

على ان النظرة الاولى كثيراً ما تخطي ، لان وراء سكون المستر بولدون وهدوئه صفات عظيمة هي زينة الصفات التي يمتاز بها المشتغلون بالسياسة ، نعني حسن التقدير ورحابة الصدر . والواقع ان هذا « المقاول » السياسي مزيج انكليزي عجيب من السري والمتمول الصناعي في ناحية ، والخيالي والشاعر في اخرى . فيه تلتقي النزعتان ، الواقعية ، وقد تلقاها من اشتغال اسرته بصناعة الحديد ، والرومانطيقية وقد اخذها من ناحية والدته . اليس رديرد كبلنغ الشاعر والروائي ابن خالته ؟ او لم يقل كبلنغ في بولدون « انه اديب اسرتنا ؟ » وهاتان النزعتان تخرجان منه رجلاً يمثل الطبع البريطاني الاصيل اصدق تمثيل

يختلف بولدون عن اكثر الزعماء المحافظين الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في انه اتى السياسة من ناحية الصناعة . ولا يخفى ان اتجاه حياة الامم القومية والدولية الى العناية بمشكلات الاقتصاد والصناعة والنقد والتبادل والعمل والعمال ، يفسح في الصفوف المتقدمة من الاحزاب السياسية مكاناً خاصاً لهذا الطراز من الزعماء

ولكن بولدون يختلف عن زملائه من رجال السياسة حتى الناشئ منهم في الاوساط الصناعية في انه لا يجري على المعهود المؤلف من اصول التفكير السياسي. فأى سياسي يفكر تفكيراً سياسياً بالمعنى المؤلف يمنح خزينة دولته خمس ثروته الكبيرة ، ثم يرفض ان يداع ذلك عنه. ولو لم يعرف خبر هبته اتفاقاً لظل اسم بولدون واهبها مطويّاً عن السواد من الناس لا يعرفه الا اخصاء الخزينة . انه فعل ذلك وهو يأمل ان يقتدي به ارباء الامة الانكليزية فيمحوا بهباتهم للخزينة الف مليون جنيه من ديون انكلترا . وهذا في الواقع عمل شاعر اكثر منه عمل سياسي.

بل اي سياسي يقدم ، وهو في مستهل حياته العامة ، على القاء خطبة يقاوم بها لويد جورج وصحبه امثال بركنهد وتشرشل وتشمبرلين وهم سادة بريطانيا حينئذ — ١٩٢٢ — واصحاب الحول والطول فيها ، بل يقاوم بها السواد من حزبه ، حزب المحافظين ، طالباً انفصالهم عن الوزارة الائتلافية القائمة حينئذ . كان من الممكن ان يفضي هذا الخطاب الى اخفاقه في ما طلب ، فيقضى على آماله السياسية في مهدها ، ولكن المستر بونارلو ايده ، وخرج من عزلته رغم مرضه ، لتقلد زمامة الحزب ، فهوى لويد جورج من ذروة مجده ، وتفرق ائتلافه ايدي سبا

والواقع ان ارتفاع بولدون من مقعد خلفي في مجلس النواب البريطاني ، الى اعلى منصب في البلاد سوف يبقى من اخفي خفايا السياسة البريطانية في السنوات التي تلت الحرب الكبرى ، وهذا القول يذكرنا برسم كاريكاتوري رسمه الرسام بيربوم مثل فيه بولدون القتي واقفاً امام بولدون الكهل وهو يقول له دهشاً : — « أنت رئيس وزارة ! يا الهي ! »

ولد في سنة ١٨٦٧ وتلقى العلم في جامعة كمبردج وتولى أعمال ابيه الصناعية نحو عشرين سنة ثم انتخب عضواً في البرلمان البريطاني سنة ١٩٠٨ فخطب خطبته الاولى فيه في موضوع يفهمه أدق الفهم وهو « مناجم الفحم » . ولكنه ظل على القواعد الخلفية ، أي من النواب الذين لا شأن لهم ، حتى كانت سنة ١٩١٦ فعين سكرتيراً لبونارلو ، ومن ثم تقلب في المناصب حتى عين وزيراً للمالية سنة ١٩٢٢ في وزارة بونارلو — بعد سقوط لويد جورج — وعقد مع الولايات المتحدة الاميركية تسوية على الدين الاميركي البريطاني . وبعد وفاة بونارلو تقلد زمامة المحافظين وما يزال زعيمهم مع أن فريقاً منهم حاول أن يتحدى زمامته في موقف الحزب نحو مشكلة الهند طالباً تغليب النزعة الامبراطورية الاستعمارية على نظام الحكم فيها . ولكنه ردهم خاسرين واحتفظ بزمامة الحزب وبوحدته كذلك . وقد رأس الوزارة مرتين . وينتظر أن يتولى رئاسة الوزارة القادمة اذا كانت الاكثرية للمحافظين وهو الغالب

والمرجح ان سر المقام الذي احرزه والثقة التي فاز بها ، ان أبناء قومه يعلمون انه لا يسعى

وراء مصلحة مالية او نفع خاص . وكثيراً ما يشبهونه في ذلك بوزيرهم العظيم ولیم پت . كان پت فقيراً فلما عرض عليه منصب ذو مرتب كبير رفضه ، فأثبت لاهل وطنه ان المال ليس بغيته . أما بولدون فغني ، ومع ذلك لم يتعذر عليه ان يقيم الدليل على تجرده عن طلب المصلحة الخاصة في خدمة بلاده فتخلى سرّاً سنة ١٩١٩ عن ١٥٠ الفاً من الجنيهات للخرينة ولم تعرف هذه الحقيقة الا اتفاقاً

وكاننا اذا تأملنا في مكانة بولدون بين ساسة بلاده نراه دخيلاً على السياسة ، اقتصرها من دائرة بعيدة عن السياسة ، ليست هي دائرة الصناعة فحسب ، بل اذا أنت تأملتة وهو داخل البرلمان ظننت انه قادم من جولة في الريف ، بندقيته في كتفه وجليونه بين شفتيه ، فلما اقبل على قصر وستمنستر ترك بندقيته وجليونه في حجرة « الفستير » ومشى بملابسه البسيطة الى مكان الاجتماع كأقل النواب شأنًا لولا انه زعيم المحافظين

اقتحم ميدان السياسة من قبل ، رجالاً أتوها من الخارج . فبلغور جاءها من عالم الفكر الفلسفي ، وغراي من عالم الطيور ، بل يقال أن بلغور كان ينظر الى شؤون السياسة ، كأنه يطل عليها من المريح . وان غراي فلما حضر جلسة من جلسات مجلس النواب الا واسرع بعدها الى حدائقه في « صري » ليعنى بدراسة الطيور ونباتاتها العجيبة . ولعل كتابه فيها أبقى على الزمن من سيرة حياته السياسية الموسومة « خمس وعشرون سنة »

ولكن بولدون دخل حلبة السياسة من ناحية الريف ، حيث يحب التجوّل والتحدث الى الفلاحين والعمال ، كأنه جارهم وخدمهم ، فيستمد من أحاديثه هذه الافكار والآراء العملية التي يبني عليها خططه السياسية . وهذا من جانبه — مع انه خريج جامعة كمبردج وصاحب المصانع الكبيرة — طبيعي لا كلفة فيه . ذلك انه من طبقة الحكماء الذين ينظرون الى الصلة بين طبقتهم وطبقة العمال على انها صلة عائلية ، تهمة بنوع خاص ، ويوجه اليها عنايته ، ولا يعرف معنى لكلمة الاحتقار فيما يختص بها

بل انه لا يفهم القول بالعداء بين الرأسمال والعمل . فالصناعة في رأيه عمل عائلي ، يدار بإشراف رب العائلة . فلا العامل يطرد منه بوجه من الوجوه ، ولا يضرب فيه حامل عن العمل ، بل انه يكره لفظة مستأجر ، ويقول ان علماء الاقتصاد يخترعون لنا الفاظاً سمجة منها هذا اللفظ . فهو في انكلترا التي خرجت من الحرب الكبرى ، يمثل « جون بول » بفضائله ونقائصه ، بأمانته واستقامته وحسن معاملته وراخيه وضعف خياله

ولعل مؤرخي المستقبل اذا جاءوا يكتبون سيرة بلدوين ، حكموا بأنه امتاز بتلك الصفات العالية التي تنبع من القلب وتسند الى الشعور ، دون الصفات التي مردّها الى الذكاء والعقل . فلم يعرف في

ميدان السياسة البريطانية رجل أكثر تجرداً منه عن المصلحة الخاصة ولا أكثر بذلاً في خدمة الدولة ولكن الناس يختلفون في المقابلة بين الذكاء المتوقد والخلق الطيب وأثرهما في الحياة العامة . وكل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع يلخص في كلمتين : كان الاجتماع الذي أشرنا إليه في مطلع المقال لما ثار بلدين وبونارلو على وزارة لويد جورج الائتلافية سنة ١٩٢٢ ، أو كان أن بلدين وبونارلو تمكننا من الفوز بتأييد صفوف المحافظين لهما فتنبأ برهاند وهو من أعضاء الوزارة ومن أشد الانكليز ذكاء بأن البلاد تسعى إلى حتفها إذ تتخلى عن ادمغتها التي من الطبقة الاولى . فرد عليه اللورد روبرت سسل في الحال وكان في الرد فصل الخطاب : « ان الادمغة التي من الطبقة الثانية تفضل على الاخلاق التي من الطبقة الثانية »

وفي هذه الجملة يلخص موقف الانكليز نحو كبار رجالهم . أنهم لا يؤمنون بمجرد الذكاء والتوقد والالمية ، ولا يمنحون ثقتهم في الغالب الا لصاحب الخلق المتين

على ان الاخلاق والذكاء لا يجديان السياسي الا اذا كان ذا مقدرة على الاقتناع بفكرة معينة واكتساح كل شيء في سبيل تحقيقها . وما عرف عن بلدين حتى الآن ، يشير الى انه مقصر في هذه الناحية ، لان نزعة الشاعر تغلب عليه احياناً ، فيميل الى التراخي . ولعل للطبقة التي نشأ فيها اثرآ في ذلك . فرجل مثل المستر مكدونلد نشأ من الحضيض ، كان مضطراً في خلال حياة الكفاح ان يعتاض بزوجه عن سكرتير له ، فهو بحكم نشأته يهتم بتفاصيل كل شيء . ولكن المستر بلدين الذي قضى عشرين سنة ، مديراً لأعمال صناعية كبيرة قبل ان يخوض ميدان الحياة العامة ، لم يعن في حياته قط بالتفاصيل ، فهو لا يهتم بها في منصب زمامة المحافظين فيكتفي بأن ينظر في المسائل السياسية الكبرى التي لها صلة بخطة الحزب . وقد يستطيع ان يعود المستر بلدين ، رجلاً قوي الشعور مضطرم الاحساس كأنه صليبي يكافح في سبيل عقيدة ، أو قد يصبح صاحب خطة معينة غير مفككة ، ولكنه لا يستطيع أن يوضع في مصاف الكبار من رجال السياسة ، الا اذا ملك القوة المكتسحة التي تمكنه من تحويل خطة سياسية منسقة الجوانب ، الى حرب صليبية في سبيل الاغراض العليا

قد يجيء ذلك اليوم ، فيخرج بالحزب من سباته الحالي ، لانه لما حاول بعض خصومه أن يملوا عليه مشيئتهم وجدوا فيه خصماً عنيداً يستطيع أن يتلقى الضربات ويكيملها أشد مما يتلقاها . ولكن ما لم يخرج « بولدون » جديد شديد الحماسة قوي الكفاح ، يعني بمشكلات البلاد العامة ، أكثر من عنايته بمشكلات الحزب ، يظل مكانه في تاريخ بريطانيا السياسي مترواحاً بين النجاح والخيبة . قد تخلقه أيام الضيق التي تحتازها بريطانيا خلقاً جديداً ، ومن دون انتظار ، وإلا فلا بد من أن يحل محل مكان الزمامة لغيره أو انتزعت الزمامة من الحزب بأسره



ڤكتور هوگو في عرشته

Victor Hugo

(١٨٨٥ — ١٨٠٢)



المستر لورنس بنيون

Laurence Binyon

وقد صورت في حديقة منزله الريفي بإنجلترا



المساكين

[مختارات من قصيدة لفيكتور هوغو — وقد احتفل بانقضاء نصف قرن على وفاته — تملو علينا قصة رجل من الصيادين مضى كعادته الى البحر يصطاد ليحمل الى عياله القوت . وبينما كان يصاول اهاويل اليم وينافح عاصف الريح ، كانت امرأته تأوي في كوخهما طفلين لجارة لهما من المساكين ماتت بالليل عنهما ، فتبوؤهما فراشاً وثيراً ما وجد الصعا ليك فراشاً وثيراً . ثم جعلت ترقب آوبة بعلمها وجلة تساورها الهواجس تسأل نفسها ماذا عسى يكون رأيه في صنيعها هذا]

مناجاة الشاعر لفساء الصيادين

وارحمته لكُنْ يا نساء الصيادين ! ما افطع ان تتناجيني تقولين : « هناك ارواح لي . أب ، حبيب ، اخوة ، ولد ، كل عزيز عندي ، هناك في هذه الفوضى ! — قلبي ، دمي ، جوارحي » . يا لله ! ان من كان فريسة الامواج كان فريسة الوحوش . يا ويلتنا ! إذ نتصور ان جميع هذه الرؤوس يلهو بها اليم ويلعب ، من الولد الذي يتعلم الملاحة الى الزوج المعلم ، وأن الريح الهوجاء النافخة في ابواقها قد ارسلت من فوق رؤوسهم شعورها المقدودة^(١) المتشعثة . وان نظل دائماً لا نعلم تمام العلم ما هم يفعلون ، وانهم ، اذ يصاولون ذا الخضم الذي لا قرار له ، وكل مهلكات الظلام حيث لا نجم فيها يضيء ، لا يجدون سوى حزة^(٢) لوح وقطعة قماش ! هم نغم ! ننطلق بين الجنادل ، ويقبل المد فنخاطبه ونصرخ في وجهه : « ويحك ردهم الينا ! » ولكن واسفاً ! ماذا عسى يقول بحر لا يبرح ملتطماً ، لذي بال لا يبرح في هم وحسرة ؟

وحنة ايضاً اشد حزناً وكمداً . إن بعلمها لوحيد ! وحيد في هذا الليل الأليل ! وحيد تحت هذا الستار الاسود ! لا ولي ولا نصير . انما الاولاد جد صغار — ايها الام ! انك تقولين : « ليتهم كانوا كباراً ! ان اباهم لوحيد ! » او هام واضاليل ! غداً حين يمسون بجانب ابهم وينطلقون تقولين باكية : « ويلاه ! ياليتهم كانوا صغاراً ! »

في بيت الجارة الميتة

فولجت . واضاء داخل البيت سراجها . بيت مظلم لا تسمع فيه ركز^(٣) ولا نبأة^(٤) عند شاطئ الامواج القاصفة قد ثوى^(٥) وكان الماء من السقف يسيل ، كأنما من عيون غربال يسيل

(١) الطويل الناعم (٢) قطعة (٣) الصوت الخفي (٤) الصوت ليس بالشديد (٥) اقام

في الصدر كان سواد يبعث الهلع مستلقياً . امرأة ساجية^(١) منقلبة والقدم منها عارية . بصر منطفيء ، وهيئة مربعة هائلة . جثة ، — من قبل أم مريحة شديدة ؟ — شبح ذات بؤس هلكت محلولة الشعر . ما يبقى من المسكين بعد طول عراك وجهاد ، وكانت قد تدلت منها بين قش الفراش البالي ذراع صفراء باردة ويد يعلوها اخضرار : وكان الدُعر جائماً بين هذا الفم المنفثق^(٢) الذي كانت الروح ، وهي مولية منه حسرى كئيبة ، قد صرخت صرخة الموت الكبرى التي تسمعها الابدية !

بجانب الفراش الذي كانت الام فيه منطرحة ، كان طفلان جد صغيرين ، ذكر وانثى ، في مهد واحد نائمين يتسمان ، وكانت امهما ، إذ احست بدنو الموت ، قد اقلت على ارجلها انسيبها^(٣) وعلى بدنهما ثوبها ، لكي لا يشعرا ، ساعة الاحتضار اذ الموت يفتاشنا^(٤) بالحرارة تفتّر ، وليجد الدفء بينما هي تبرد

ما أشد نومهما في مهدهما الذي يضطرب ! انفاس هادئة واساير وجه راغدة ، وكأن لا شيء يوقظ هذين اليتيمين النائمين ، حتى نفخ الصور في يوم البعث ، اذ ، وها الطاهران ، لا يخافان الحساب ولا الديان

والقطر في الخارج كالطوفان يهدر وينهمر . ومن السقف العتيق المهتك الذي تنبعث منه الريح ، تقع أحياناً على هذا الوجه الميت قطرة تسيل منه على الخدين فتستحيل عبرة ودمعة . والموج له دوي كدوي جرس الاستغاثة ، والميتة مصغية الى الموت لا تفقه ! إذ كأن البدن ، حين تزايله الروح المشرقة ، ينفث الروح وينادي ملسكه ، وكأنما تسمع هذا الحوار العجيب بين الفم الذي ذبل والعين الزائغة : ما صنعت بانفاسك ؟ — وانت تبصر ك ؟

يا أسفا ! احبوا ، واحبوا حياتكم ، واقطفوا زهر الربيع ، وارقصوا ، واضحكوا واحرقوا قلوبكم ، واجرعوا كؤوسكم ، فكما الى البحر الخضم غاية كل نهر ، كذلك كتب القدر ان غاية الوليمة ، والمهد ، والامهات والاهات بأطفالهن النشء الصغار ، وقبلات البدن التي تبهت النفس وتذللها ، والاغاني ، والابتسامة ، وجديد الحب وحلوه ، غاية كل اولئك برودة الجدث الحزنة !

(١) ساكنة (٢) المفتوح الواسع (٣) قيص المرأة او نوب لها بلا اكلام (٤) اتناش. تناول اختطف

فُتِح الباب بغتة على المصراعين يصرُّ صريره فوُلج منه إلى الكوخ شعاع أبيض وبدا الصياد على العتبة جذلان يحجر شبكة تنضح بالماء وقال: « هذه هي الملاحه ! وقالت حنة: أو أنت ! » وعانقت بلهفة بعلمها ولثمت رداءه لثمة الوله بينما كان السلاح يقول: « هاءنذا يا امرأتي ! » فترى منه على جبينه الذي كان أتون النار يلقي عليه نوره، قلبه الطيب الراضي الذي تلقي عليه حنة نورها. وقال: « لقد سَأِبت وضاع كدحي . انما البحر غابة — وكيف كان الجو ؟ — عاصفاً شديداً — والصيد ؟ — خاسراً رديئاً ولكن هاءنذا معانقك وتقرُّ عيني . ما أصبت وسَلا . لقد تحرقت شبكتي . لقد كان الشيطان رابضاً من وراء الریح التي كانت تهدر . يا لها ليله ! لقد ظننت لحظة مع كل هذا القصيف والعجيج ان السفينة تضطجع وان المرسى قد انقطع . وما صنعتِ أنت خلال ذلك ؟ »

فعدت حنة في الظلام هزة واضطربت وقالت: « أنا ؟ عمر الله ، لا شيء خُطت كالعادة ، وكنت اسمع البحر كالرعد وكنت خائفة — أجل ، ان الشتاء كلب شديد ولكن سيان . حينئذٍ قالت ترتجف كحال من يركبون المعصية : « والحديث ذو شجون ، ان جارتنا قد ماتت . أمس قضت نحبها . وبعد ، فسيان وانما اذ مضيت أنت عشاء ، تركت هي طفلها ، وانهما لصغيران يدعى أحدهما غليوم والثاني مادلين . واحد لا يعيش والآخر لا يكاد يتكلم . لقد كانت المسكينه الطيبة فقيرة طائفة . »

فاتخذ بعلمها هيئة الجد، والتي في أحد الاركان قلنسوة مكدود شقي بللها الاغصان وقال وهو يحك رأسه: « يا عجبا ! يا عجبا ! لقد كنا بخمسة أطفال فهاهم سبعة . لقد كنا من قبل في هذا الفصل الرديء العاتي نتجاوز عن العشاء أحياناً ، فكيف بنا الآن ؟ ... انهما والله لصغيران ! لا يمكن ان يقال لهما : اشتغلا . يا امرأة هلمي فاني بهما . لئن كانا قد استيقظا فلا بد ليخافان مع الميتة وحدهما . ها هي امهما تقررع بابنا فلنفتح للطفلين . انا نخلطهم جميعهم معاً وكل مساء ينشبان بحجورنا وسيعيشان معاً ويكونان أخاً وأختاً للخمسة الآخرين وأشرب انا الماء صرفاً واضاعف جهدي وكدي . قضي الامر . هلمي فاحضريهما . ولكن ما بك ؟ أساءك هذا ؟ عادتك في مثل هذا الاعمال والمبادرة .

فقالت وقد شقَّت عن الاستار . انظر . ها هما !

الفتاة الأجنبية

[يعني صديقنا الدكتور بشر فارس الآن بدراسة اللغة الألمانية وأدائها في برلين. وهذه القطعة من بواكير ما نقله عن الشعر الألماني وهي للشاعر الألماني الابتداعي شلر (١٧٦٩ — ١٨٥٠)]

في غُرْقٍ كل سنة ، أوّل ما تصفّر القنابر ، كانت فتاة جميلة فتّانة تبرز في وادٍ
الى رعاةٍ مُقِلّين

لم يكن الوادي مَسْقَطَ رأسها ، ولم يدّر أحد ما تالها ، وكانت متى انصرفت
عفا أثرها

السعادة كانت بين يديها ، فما انفكت القلوب تفرح بها ، غير أن جلالة لها ،
من الطّرفِ والكفّ جعلت تصونها

كانت تأتي بأزهاره وفواكه : هذه فضجت وتلك تفتّحت في قرى آخر ،
في أقاليم أخرى ، عند طبيعةٍ أوفر حظاً

كانت تصل الرعاة واحداً واحداً : فتذيلُ هذا فاكهةً ونهبُ ذاك زهراً . فكان
كلّهم — فتاهم وشيخهم المتوكّء — ينطلق الى داره وبين يديه تحفة

وكانت ترحب بالضيف جميعهم . إلا أن عاشقين دنّوا منها ، فنجحتهما
الطفّ الهدايا إذ جادت لهما بأنتم الأزاهر حُسناً

المرمجة

[نقل هذه القصيدة من الادب البرتغالي الاديب الياس زعرور ونشرتها مجلة « العصبة » التي يصدرها في سان بولو الكاتب المعروف حبيب مسمود ويعاونه فيها طائفة من اكبر ادياء العربية في البرازيل]

في صباح يوم من ايام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية ، اصابت
ورقة من تينة يابسة على جانب طريق موحش في ميسب مقفر . دمعة نقية متلاثلة
تظهر للقريب كماسة برّاقة وللبعيد كنجمة لماعة

مرتها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد راقه منها ذلك الاشعاع ، إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلئ الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صهرها الحب الدفين . ولكنني أخلى عنها كلها مسروراً لو يتاح لي ان اعتاض منها بهذه الدرة القيمة لاجعلها شعاراً للملكي العظيم ومجدي الاثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت شاخنة ولم تحفل بتاجه ودرره

ومرتها صليبي مدجج بسلاحه وعلى جسمه درع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه الا مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد من نصر الى نصر حباً بفادي الانام ومتى رجعت اجعلها قلادة في عنق حبيبتى فتكون عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامئة يمينها الرجاء ولم تعباً بوعوده وعظمته

ومر بها يهودي شيخ بقافلة تحمل ما خف وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت احسد ملكاً على ما حشد من اموال ولا بحراً على ما حوى من لآلئ ولكنني تجاه هذه الدرة الفريدة ارى يدي الشحيحتين تجودان ولا اسف بكل ما املك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه

وكان تحت التينة عوسجة صغيرة زاوية تشرئب مدلة بحقها من رحمة الله فقالت تعالي ايتها الدمعة السماوية روي جفاف ربتي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني شمس جفافاً وانا بين الصخور لم اسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاش اغصاني اذ لا غصن لي يحتم عليه العندليب ولا ظل لي يؤمه بحبيبه الحبيب فأغيثني ايتها القطرة السحرية ان لي بك غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منعمة صامئة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت الى تلك العوسجة الداوية فأورقت وأزهرت زهوراً كجراح المصلوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجنيه من ازهى الورود

الخريف

للفونس دي لامرتين

[نقلها عن الفرنسية : جورجي نصيف نيقولاوس]

سلاماً أيتها الغابة ، ، المتوجة ببقية من الخضرة ، سلاماً أيتها الاوراق الصفرة
المبعثرة على العشب ، سلاماً أيتها الايام الاخيرة ذات الروعة والبهاء ، فُزِنُ الطبيعة
يُحَلو في نظري ، ويتردد صدهاء في جوفِ أحزاني

اني لاسلك ممر الغابة الموحش مفكراً مهموماً ، ويحسن في قلبي ، ان أرى
المرّة الأخيرة ، هذه الشمس الشاحبة ، وضياؤها الضعيف لا يكاد يَخترق ، تحت
قدمي ، ظلام الغابة

أَجَلْ ، في أيام الخريف هذه ، حيث تقضي الطبيعة نحبها ، أجد في نظراتها
الاحتجبة بهاءً وجمالاً ، فهي وداع صديق ، هي آخر ابتسامة للشفتين ، اللتين سيغلقيهما
الموت الى الأبد

هكذا ، وقد اوشكتُ ان اغادر افق الحياة ، باكياً من ايامي الطويلة الامل الضائع
التفتُ ورأني ، ملقياً نظرة اسى وحسرة ، على تلك النعم التي لم يُستَح لي التمتع بها
ايتها الارض ، ايتها الشمس ، ايها الوادي ، ايتها الطبيعة الجميلة الوديعة ، اني
مَدِينُكَ بدمعة على حافة قبري ، فالهواء معطر الأريج ، والنور صافٍ زاهر ، وما
اجمل الشمس في عين الراحل المات !

اني لا أتوق الى شرب الكأس حتى الثُمالة ، تلك الكأس الممزوجة بالرحيق
 والمرارة ، فقد يتبقى في ذلك القدح ، الذي اشرب فيه الحياة نقطة واحدة من
السكر اللذيذ

قد يخبئ لي المستقبل بين ثناياه ، عوداً الى الهناء الذي فقدت من الامل ،
وقد اجد بين الملا ، روحاً لا اعرفها الآن ، تفهم روحي ، فتتألفا وتمازجا

ان وداع الزهرة عند سقوطها ، تسليمها عبيرها الى النسيم والشمس والحياة ،
وأما انا فاذا قضيت ، تصاعدت روحي كلحن حزين مُشجّر

ملكة المرأة



طفل يبتسم للحياة

لم أحرق

فتستر

وأنذر

وقد

قوام

الزاهي

بمثابة

أو الق

هي

الشكا

وليس

الموه

في ك

وقد

كله

تصو

الرمز

الرو

تكم

يكين

الآز

يازاء



رأس فتاة

(تصوير ايمي نمر)



في معرض إيبي نمر

اتيمحت لي مشاهدة آثار السيدة الفنانة إيبي نمر في المعرض الخاص بصورها ، فسرني اني لم أحرم مشاهدة هذا المعرض الفذ وعددت من حظي الكبير ادراكه قبيل انفضاضه
فهذه سيدة شرقية ذات نصيب وافر من الثقافتين العامة والفنية تبرز آثارها القوية للعيان فتسترعي حفاوة النقاد الخبيرين وبينهم ولديمار جورج وبول فيرنز وماريشال وأندريه سالمون وأندريه وارنود ولورنس بنيون ، وتثبت جدارتها بالعرض في لندن وباريز قبل العرض في القاهرة . وقد بلغت الآن بعد جهود عشر سنوات أو أكثر درجة عظيمة من الشخصية المتميزة في فنها قوامها ذوقها الخاص الى جانب نضوجها في التعبير المستقل ، فكيف لا نأبه لفنها وكيف لا نفخر به ؟
لقد بدأت إيبي نمر في تصويرها الاول بالمشاهد المبسطة والصور السطحية مع شغف بالألوان الزاهية كتصويرها لليهود في فلسطين ، ثم أخذت تتحول عن ذلك رويداً الى أن صار فنّها أخيراً بمثابة رد فعل لنزعتها الاولى ، فاذا به الآن يعنى بالحجم والمتانة والضحامة ، واذا بالألوان الهادئة أو القائمة تحمل محل الألوان الزاهية القديمة ، واذا بالشخصية المرسومة من انسان وحيوان ونبات هي المسيطرة على المظاهر ، واذا بالروح وقوة التكيف غاية ما يرمي اليه فنّها وليست الصبغة أو الشكل . فتحس أزاء هذه العوامل بأن التعابير المرسومة التي تتجلى لك مبعثها من داخل الصور وليست مستمدة من مظاهر عرضية ، فهي تعابير ثابتة مصورة ذات روحانية محسوسة . وهذه الموهبة ليست بارزة في صورها القديمة ولكنها ملموسة ناطقة في صورها الحديثة . وقد يلوح التشابه في كثير من موضوعاتها ، ولكنها ككل فنّان أصيل تهتمها كيفية التعبير قبل أن يهتمها الموضوع ، وقد يصدف غير الخبير بالفن عن موضوعاتها البسيطة في تصويرها الفاكهة مثلاً وان يكن تصويراً كلة قوة يكاد يجعلها تلمس وتشم وتذوق ، ولكن سيزان Cézanne العظيم تجلّى فنّه الرائع في تصوير الفاكهة بقدر ما تجلّى في موضوعات أخرى . وقد يتمتع بعض بعض النظارة لتجرد الصور من الرمزية ، ولكن من عادة الفن النقي تصويراً كان أم شعراً الابتعاد عن الرمزية ، فلن يعيها ذلك في هذا المعرض البديع عشرات من الصور وقد قسمت الى أربعة أقسام مختلفة :

(١) صور لرؤوس آدمية (٢) صور لفاكهة (٣) صور لجموع مختارة (٤) رسوم قلمية . ولكن الروح فيها جميعاً واحدة ، فان إيمان صاحبها بما للاشعة والظلال من قوة خالقة جعلتها تترك لها تكوين الاشكال وتجسيمها ولم تفكر لحظة في اعتبارها اعتباراً ثانوياً فهي عندها بمثابة الروح الذي يكيف المظهر . وإيمان صاحبها بتجسيم الفكرة جعلها تتعلق بالضحامة في التصوير ، ثم ان ارتياحها الآن الى الألوان القائمة جعلها تبدع في اختيار الألوان المعبرة سواء للفاكهة أو للوجوه الادمية يازاء الارضية القائمة وليس هذا أمراً سهلاً بأي حال . ولعل من أبرع الشواهد على ذلك صورة

« الأعياء » في وجه السيدة المطرقة بلحظها فقد أبدعت في اختيار اللون الأخضر القاتم بصفة خاصة لابرار معنى « الأعياء » في ما يوحى به تركيب الصورة . ومن الصور الفريدة تلك التي تمثل معنى الأنفة والازدراء ، فقد ظهر النور الخافت في جانب منها في قوس ممدود وقابله الظل في الجانب الآخر مقابلة طبيعية جميلة فكان النور والظل هما المكيفين للصورة ولمعناها ، ولم يكن ذلك من أثر رسم أي هو أبعد ما يكون عن طبيعة فنائنا في نضوجها الحاضر وما من شك في أن الرسوم القامية في مجملها ناطقة بحذوها ، وكأنها في بعضها تتأمد على تجارب ميخائيل أنجلو ، ولا عجب فإن نزعتها كلاسيكية صميمة . وليس لنا أن نحاسبها على ذلك فنزعات الفنانين - لاعتبارات سيكولوجية - تختلف جد الاختلاف ، وإنما تعيننا طاقتها الفنية وقوة تعبيرها الصادق . وإذا كانت إيمي نمر مقتصدة في استعمال الألوان اقتصاداً كبيراً لأنها لا تحفل الآن بالزخرفة بل بالروح وقوة التعبير فقط ، فإن مذهبها هذا كان ضميناً لعنايتها بالتشريح وبالجسم الانساني كما ترى بصفة خاصة في صورتين تمثلان النوم ففيهما جراءة مع صدق في التعبير وسلامة وتناسب في أجزاء الصورة ، وإن لحظنا الميل إلى الضخامة العضلية وهو ذلك الميل المشهود في الفن الكلاسيكي . بيد أن هذه النزعة الكلاسيكية في الروح لم يصحبها عادة الاهتمام بالتفصيل ، ولو عنيت بالتفصيل البالغ لحدت من استنارة خيال الناظر وتأملاته الفن الجميل جميل والاتقان اتقان مهما تباينت الأذواق ، والتنقيف الشخصي كفيلاً بأن يلهيها مواطن الجمال حتى فيما لم نتعوده ، فليس الاعتراف بالجمال وفقاً على رضاها ، وليس عزوف إيمي نمر عن الروح الرومانطية مما يجعلنا نبخسها حقها في صدق التعبير الفني والشخصية الفنية . وقد رسمت مشهداً في « درب الأربعين » (طريق قوافل الرقيق قديماً بين دنقلة وأسيوط) حيث العبيد وجاحم الضحايا ، وهو رسم تجريبي غير كامل ومع ذلك فهو يسترعي الاهتمام بتركيبه وغرابته وبالاختبارات النفسية العميقة التي أوحته . وقل مثل ذلك عن شغفها بصور العبيد والسود ، فقد لا نعشق هذه الصور لاعتبارات مختلفة ، إلا اعتبار الفن الخالص الحافل بالجهامة وظلام الحياة وآلامها ووحشتها فإنه كفيلاً بجذب عنايتنا بها . ومع هذا ألم تستخلص لنا إيمي نمر معنى الحنان الخالص في صورة النوبية وطفلها ثم ألم تحفل ببعض الموضوعات الانجيلية بروح جميل من الإيمان ؟ فهي اذن لا تقصر فنها على تلك الموضوعات المكتتمة الغريبة لعجزها ، عن غيرها ، ولكن اختياراً لما توحى ظروفها ، ورد فعل لنزعاتها القديمة وتعلقاً بالتماذج القوية التي تفسح المجال لبراعتها في تكييف الانوار والظلال . وكثير من الصور الكلاسيكية نُسيت ظروفها التفصيلية ومناسباتها الفكرية والعاطفية ولكن يبقى منها بعد ذلك الروح الفني المعبر الكشاف عن اسرارها الحيوية ، ومن اجله نمجدها ولا نزاع في أن أمام فنائنا القديرة ميادين كثيرة لبراعتها في المستقبل ، ولها من اقدامها وثقتها بمذهبها وبشعورها وتفسيرها ما يكفل لها التقدم المطرد والاعتراف بالمعيتها

احمد زكي ابو شادي

الصحة والزواج

اجمع الاطباء على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ذلك ان فتك هذه الامراض بالمتزوجين لما يقصر عنه الوصف . فهي من اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهناتهم . وكثيراً ما تضيق بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج لما قد ينشأ منه من الاثر في صحة المتزوجين ونسلهم وفي قواهم العقلية كذلك

فسلامة الزوجين من هذه الامراض شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال سلامتهم من كل محذور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة من حكيم الاسرة . وفي الواقع ان القانون في بعض البلدان ينص على وجوب فحص طالبي الزواج ، لاثبات صلاحهم له من الوجهة الصحية . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلدان المتقدمة ، بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل ، او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجه والا عُدَّ خادعاً وكان زواجه عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله ولم يكتف عنه شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهما ، مع ان بعض دعاة اصلاح النسل يرون ان هذا من شأن الامة في الامراض الوراثية ، لامن شأنهما الخاص ويجب على الامة ممثلة في الحكومة ان تمنعه لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاات ومن بواعث الاغتباط ان الامراض التي ثبت ثبوتاً قاطعاً انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس (البول السكري) او حسر النظر او ضعف الاعصاب لان هذه الامراض ليست وراثية . ولكن عدد الامراض الجسمية والعقلية كثيرة جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها ، وهل هي موروثة او طارئة . وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي كل من الزوجين بأن يعيش مع زوجه محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها بهجة العيشة المنزلية الراضية

اذا طلب شاب ان يؤمن على حياته فحصاً طبياً دقيقاً قبل ذلك . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانتظام في مصلحة من مصالحها . وهو عمل القومسيون الطبي هنا . وبعض الشركات الاجنبية في القطر المصري ، ومعظمها في بلدان اوربا واميركا تطلب من كل من يرغب في الانضمام اليها ان يعرض على طبيب الشركة . وليس يجحد احداً في كل ذلك غضاضة او اهانة . وكذلك يجب أن يكون في امر الزواج

المرضى امتحان

لقوة الرابطة الزوجية

المرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب الذي يربط الزوجين حقيقياً فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء . واذا لم يكن كذلك ، اي اذا كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات ، فان المرض يبرزه في حلتها الحقيقية . ومن الأزواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور ، وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لأنه يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى صاحبه على التعبير عنه فكأنه يقيم حول عواطفه اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب . عن كذب ان الحب ميت بين الزوجين ، فينشأ من ذلك شيء من النفور الذي يسميه الافرنج «سوء تفاهم» . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية به واظهار الحنان عليه ، ازال ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

بل ان الاشخاص الممتازين باظهار ما تكنه جوارحهم من الحب ، والذين يغالون في الاعراب عنه قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاً منهم تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والحن على اسرة من دون ان يكون ثمة سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين وتوثيق اواصر الحب بينهما ، اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح حبل الرجاء ضعيفاً ، فينتدز يبرز الحب من مكنه وتتحدى العواطف على اجملها . ثم ان الجهد الذي يبذل في تربية ولد مصاب بعاهة او علة ورثها من احد والديه تقوي روابط المحبة بين الوالدين . على ان الاهتمام بالولد العليل يجب ألا ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك التعاطف الزوجي يجب ان يفصل بينه وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المؤاساة رباطاً قوياً بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفق عليه . وليس اشق عليك من ان تكسب ود من اشفتك عليه

على ان المرض لا يقوى بالضرورة الرابطة الزوجية ، بل قد يضعفها احياناً . ولا سيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة عبئاً مالياً ثقيلاً على الاسرة يستنزف قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين قد يحول دون اشتراكهما في الاعمال والزيارات التي تقتضيها الحياة الزوجية . وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضه ويلتمس الصحيح منهاج الحياة من غير طريقة الزوجية وهذا قد يفضي به الى ادمان المسكر والميسر لالتماس القوة الكاذبة وما يليها من العواقب

هوامس فتاة جميلة

بعد اصابتها بصدمة شوهت جمالها

بين جمال الوجه وشجاعة النفس

رى ماذا يكن لي المستقبل ؟ كنت من شهر فتاة جميلة هائلة ارقص للحياة . وكنت قد فزت بالدعوة الى تمثيل دور صغير في شريط سينمي . لم يكن دوراً يباهى به . ولكن الكفاح الذي كلفته والجهاد الذي جاهدته قبل الفوز به جعلاه في نظري تحميقاً لحلم من احلامي وخطوة اولى نحو هدي وهو ان اصبح كوكباً متألقاً في عالم التمثيل السينمي . فكنت سعيدة به السعادة كلها

ولكن النظري الي الآن . انني لا ادري ما اصبحت وجهي بعد حدوث ما حدث . لانهم لم يسمحوا لي بعد ان انظر الى وجهي في المرآة . ولكنني اعلم ان ثغري الذي كان رطباً احمر كورقة الورد اصبحت معوجاً مشوهاً . وفي خدي الايمن ندبة جرح عميق احسها بانامي

كنت في سيارة مع صديقي جفري عائدة من حفلة راقصة . وكنت متلهة طرودة . واذا بالسيارة تصطدم فجأة بمصباح قائم في وسط الطريق . فسمعتُ وكأني في غيبوبة تأوه صديقي وما افقت الا وانا في مستشفى ورأسي مضمد بضامات أكاد لا ارى من خلالها الا سقف الغرفة الابيض ولعلي اغبط لان ساقى سليمتان فاستطيع ان امشي . ولان والدي حيّان فاستطيع ان اقضي دور النقح في بيتهم الريفي . ولانني ما زلت حية على كل حال

حياتي ! ما اشد الاختلاف بين حياتي بعد الصدمة وقبلها . في السنة الثالثة عشرة من عمري بدأت اعنى بشؤون الجمال . فعلياً الآن ان انسى جميع هذه السنين وان انشأ نشأة اخرى

قال لي الطبيب الذي جالني : يا ابنتي مضت عليك سنوات وانت تنظرين الى الحياة من نافذة ضيقة . وقد سحرك جمال ما رأيت لانك كنت في مستقبل العمر وعلى جانب عظيم من الجمال . والعالم يغدق عطايه على المتصفين بالجمال لان الجمال بلسم في عالم يكثر فيه القبح والقتام . ولكن العالم يغدق كذلك على من اتصفوا باللطف والشجاعة والدمائة ولو لم يتصفوا بالجمال

فقلت محتجة : ولكن يا دكتور ، لم اقض ما مضى من حياتي كالفراشة متنقلة بين اطايب الروض . معتمدة على جمالي في الفوز بكل ما اريد . بل كالت كفافاً غنيماً في سبيل تحقيق ما اصبوا اليه

كنت لا ازال في السابعة عشرة لما تركت المدرسة بعد ان فزت بجائزة الجمال فيها . وانتظمت في معهد التمثيل لتعلم فنونه واساليبه . ياما وقفت ساعات متوالية امام مكاتب التوظيف اطلب عملاً . ما اكثر الساعات التي قضيتها في البرد القارس انتظر دوري لافوز بمقابلة الميسطرين على شؤون السينما وكنت عند عودتي وقد انهدك البرد والانتظار قواي ، اذهب توتاً الى دروس الرقص الكلاسيكي لتكون عدتي وافية متى اتبحت لي الفرصة . فما كاد الحظ يرمقني بنظرته فيتيح لي تمثيل دور صغير في

شريط سينمي حتى نكبت هذه النكبة. هنا اضطرب صوتي واغرورقت عينايا بالدموع. فقال الطبيب: أنا اعلم يا بنتي انك كنت على اعظم جانب من الشجاعة في مواجهة الحياة وأملّي ان تبقى هذه الشجاعة عدتك حتى تفوزي بالغلبة وربت على يدي ومضى في سبيله يزور سائر المرضى . فأحسست عندها بشيء من الغبطة في نفسي . قال « املّي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة » واعتقد انه عني ما قال . أعتقد أنه اسف لو تر المرارة الذي ضربت عليه في كلامي معه كما آله ان يراني متألّمة من اثر الصدمة والجروح التي اصببت بها. ولكن بوارق الامل والشجاعة تتراجع في الغالب أمام بواعث اليأس . واني لا ازال عاجزة عن أن التصور كيف استطيع أن اتحمل كل هذا . كيف استطيع أن اصبر على نظرات الاشفاق في عيون صحي اذ أخرج من المستشفى أو كيف احتمل تفرس الناس في وجهي عند ما أمشي في الشارع او أذهب في طلب عمل ما ؟ اذ لا بد لي من العمل والا طار صوابي سهل على الطبيب ان يقول لي أنه يجب عليّ ان اكون طروباً . ولكن هناك فرق بين طرب نفس تبذل وسعها لتدّرع درع الشجاعة ، وذلك الطرب الذي يصدر عفواً كتغريدة العصافير . ما أجل الحياة اذ كنت ألتقي ثناء الشبان وازاهيرهم ، اذ كنت أستطيع ان أضحك معهم وأمازحهم ، من دون أن أنسى ان الحياة في الحقيقة أمر جدي وجميل معاً

يغمرنّي أحياناً ضياء هذه الصور الباهرة ثم أفيق فأدرك كابوس الواقع قد اتغلب على كل هذا . فاني ما زلت في الثانية والعشرين من العمر . ولكنني اقلب رأسي الآن ذات اليمين وذات اليسار واقول ياربّي كيف استطيع ان اتحمل كل هذا ؟ كيف ؟

نصيحة لفتاة تخشى الحياة

كتبت فتاة الى محررة إحدى المجلات النسائية ما يلي : انني اخشى الحياة . مات والدي من سذنين وكان اصدق اصدقائي علاوة على كونه والدي . وما كدت اتغلب على حزني حتى منيت ب وفاة والدي من نحو ستة اشهر . وأنا الآن مخطوبة لشاب ممتاز ، وليس لي غيره في الدنيا . وهو يريد ان يقترب بي حالا ولكنني اخشى ان اقبل لانني اخشى ان يسلبني الموت اياه . انا اعلم ان هذا الكلام يحملك على الضحك مني ، ولكنني خائفة وجلة فاذا افعل ؟

فردت المحررة ما يلي : كثير من الناس تأتي عليهم فترة في الحياة يحسون فيها بمثل ما تحسّنين . ويطلق الكتاب الدينيون على هذا الاحساس « ليل النفس الخالك » . ولكنني واثقة بأنك سوف تخرجين من ظلام الليل الى وضوح النهار . ان والديّ كل انسان مصيرها الى الموت عاجلا او آجلا . ولكن الاحصاء يثبت ان الزوجين يعيشان معاً مدة طويلة في الغالب قبل ان يدرك الموت احدهما . فيجب ان تتعلمي الثقة بالحياة ، وان تتطبعي بروح المغامرة ، وان تعيشي في الزمن الحاضر بدلاً من ان تحصري فكري وهمك في مخاطر المستقبل . إنسي الماضي ودعي المستقبل لله

الاعمال المنزلية

وما تقتضيه من الطاقة والعناء

عنيت جماعة من علماء اميركا بقياس الجهد الذي تقتضيه أعمال المرأة في تدبير شؤون بيتها من غسل ومسح وكنس وكي وخياطة وغير ذلك . ومقابلة كل عمل من هذه الاعمال بالآخر . وبحالة المرأة وهي مستريحة . وصنعوا لذلك آلة سموها مقياس حرارة التنفس أو مقياس الحرارة

البدنية اذا اريد المعنى العام . وهو بالانكليزية Respiration Calorimeter

والآلة مؤلفة من غرفة ارتفاعها متران وطولها متر وخمس وعرضها ٧٥ سنتيميراً وجدرانها لا ينفذها الهواء . وفيها عدة أجهزة صغيرة منها جهاز لحفظ مجرى هوائي في الغرفة يجتمع فيه بخار الماء واكسيد الكربون اللذان تخرجهما المرأة التي تجرب التجارب بها . وفيها جهاز لمقياس مقدار الحرارة التي تتولد في الغرفة عند اجراء التجارب

وقد اختير لهذه التجارب فتاة نحيفة سنها ٢٢ سنة وطولها ٥ اقدام و٤ بوصات وثقلها بملابسها ١١٠ ارطال . وقد عرضت هذه الفتاة لثلاث وخمسين تجربة وكانت توزن عند انتهاء كل تجربة ولا تتجاوز مدة التجربة ساعتين كل يوم

وقد ظهر من هذه التجارب ان الفتاة كانت تنفق من جسمها وهي تعمل الاعمال الخفيفة كالخياطة والرفء ٩ وحدات حرارية في الساعة زيادة عما كانت تنفقه وهي في حال الراحة . وانها كانت تنفق ٥٠ وحدة حرارية في الساعة في الاعمال التي تستدعي تعباً كالغسل والكنس وتنظيف الغرف زيادة لما كانت تنفقه في حال الراحة

ومن غرائب هذه التجارب انهم لما جاؤا الى تجربة الغسل أمرت الفتاة ان تجري حركات الغسل جميعها ولكن من دون استعمال الماء لان وجود البخار في الغرفة يوقع الخلل في القياس . ومثلها غرابة عند محاولتهم قياس ما تبذله المرأة من الطاقة عند العناية بطفل من حيث ارضاعه وتغيير ثيابه وغسله . فانهم استكبروا وضع طفل رضيع معها في غرفة ضيقة خيفة ان يلم به مكرهه فأعاضوها منه دمية تشبه في حجمها طفلاً محولاً اي ابن سنة . فظهر ان العناية بالطفل تقتضي من زيادة انفاق الطاقة نصف ما تقتضيه أعمال الغسل والكنس أي ان الزيادة كانت $\frac{1}{2}$ ٢٣ وحدة حرارية مقابل ٥٠ وحدة حرارية في الحالة الاخرى

وعلى ذكر الاعمال العديدة التي يجب على المرأة عملها نذكر قول الشاعر : « الرجل يعمل من الشروق الى الغروب أما المرأة فعملها لا يفرغ »

بين طفل وعنكبة

[قطعة مختارة من الجزء الثاني من قصص علمية
للأطفال تأليف كامل كيلاني وينتظر ان يصدر قريباً]

الطفل :

قد تأكل العنكبَةُ العنكبَا وتهلك الزَّنبَارُ والعقربَا
وكم بعوض في حبالِاتها راح امسيراً يبتغي مهربَا
نفذت بالسَّهم أعصابُه وأنشبت - في جسمه - الخلبَا

وقد يصيد الضفدع العنكبَا كما تصيد البومة الأرنبَا
وتهلك القطةُ فأراً ، ولا تبقي على فرخ صغير حبا
وقد ألقت كل هذا ، فلم ندهش له ، مهما بدا مُعربَا
لكن ما حير البانبا ان تأكل العنكبَة العنكبَا

العنكبَة

ان تأكل العنكبَةُ العنكبَا أو تأكل الام ابنها الأنجبا
أو تأكل الآباء أبناءها أو تأكل الاخت أخاً أو أبَا
أو تأكل الزوجات أزواجها فليس هذا حادثاً مُعربَا
أما ترى الاممأك قد شابهت في اكل ما تنجبه - العنكبَا
تلتهم الكبرى صغيراتها ويأكل الحوت ابنه الاقربَا

وانتم الناس - على رشدكم - صرتم - لأمثال الاذى - مضربا
لم ترحموا طيراً على غصنه رتل لحناً شائقاً معجبا
ولم تغيثوا بأئساً معدما ولم تقيلوا طاراً مذنبَا
وكم اكلتم لحم اخوانكم ميتاً ، ولم ترعَوْهم غيبَا
فلا تعيونا بأدوائكم فقد غدا من عابنا أعيبَا

كامل كيلاني

تنظيم حياة الطفل

مبادئ جوهرية (١)

هناك عاملان جوهريان لتكوين خلق الطفل

اولاً : — يجب ألا تسكت ميوله وغرائزه ، بل يطلق له كل حرية لتنميتها وتقويتها
(ثانياً) يجب أن تساس وترشد وتدرّب على كل عمل صحي يساعد على نمو الطفل . فاذا تركت هذه الميول حرة بغير قيد فان الطفل يصبح شهوانياً عنيداً ، واذا سحقت وتلاشت يصير عرضة لأمراض عقلية ، واذا ضبطت وارشدت يصير رجلاً ذا خلق قوي الدامة . والأخلاق المتينة ما هي الا ثمار تهذيب الطبيعة وضبط العواطف . أما اذا حبست هذه الميول الاولى عند ظهورها فتفسد الأخلاق وتشوهه ، كالتقدم اذا وضعت في قالب فانها تفقد شكلها الطبيعي وتشوهه . واذا أنكرنا على الطفل حبنا وحمایتنا له في الطور الأول ، استولت عليه الكابة وانقباض النفس (مالينخوليا) في حالة الكبر ، والطفل الذي تسحق ارادته ربما تنتابه نوبات مؤذية مثل الخوف من الأذى أو القتل . واذا حرم من العطف الابوي فانه قد يصاب بالهستيريا أو الشلل أو الألم . وأخيراً اذا سحقت الأنانية فيه وانكر عليه استقلاله الذاتي فانه يصير انساناً جافاً بغير ارادة أو أخلاق . ومن ناحية اخرى اذا لم يوجد ضابط وراعى صار الطفل شهوانياً وظلّ على طوره الاول ، وفي الطور الثاني يصير عنيداً لا يكبح جماحه ويكون ضحية لشهواته وأهوائه . وفي الطور الثالث يكون ضحية الامزجة والاهواء وعبداً لارادة الآخرين . وأخيراً تتكون فيه صفات خاطئة واهواء ضارة يكتسبها من الاوساط البذيئة . امثال هؤلاء الاولاد يصيرون مجرمين واشقياء

وفي هذه المقالة نريد ان نبين كيف انه لو اعطيت الحرية الحقيقية مع ضبط النفس فان هذه الميول الاولى تظهر وتترعرع لانها المادة الخام التي منها تتكون وتنشأ الاخلاق . اما اذا كبست فاننا فضلاً عن تعرضنا لامراض عصبية فاننا نفتقر الى الاخلاق افتقاراً شديداً
وهناكم بعض المبادئ :

اولاً — تقوية روح الطاعة والاستسلام للوالدين

كل طفل خليق بالرعاية والعناية والعطف . انما الافراط في الحنان والتدليل يترك أثراً في النفس فيبقى طفلاً (حتى عند ما يصير رجلاً) في تصرفاته واعماله اليومية ، ولا يقدر على مواجهة الصعوبات التي تصادفه ولا تحمل المسؤوليات التي تلتقي على عاتقه . كما ان انكار مثل هذا العطف على

(١) وهو جانب من مقال مسهب كتبه الاستاذ هديلد استاذ علم النفس في كلية الملك بلندن ونقله ميلاد كدواني في كتابه الموسوم (اسرار الطفولة وخفايا الشباب)

الولد) اما لانه غير مرغوب فيه او لتفضيل آخر عليه) يبقى اثره في العقل الباطن وربما يؤدي الى كآبات مضنية عند ما يصبح رجلاً . واما تربية ميول الطاعة والثقة بالوالدين تربية صحيحة فانها تؤثر الى ميزات في الاخلاق ذات قيمة عظمى . وهذه الميول هي التي تتحول بعد حالة العناد الى حالة الایحاء ثم الى حالة الاستسلام . وهو ليس استسلاماً جبنائياً بل زولاً على اهواء والديه وخططهم العقلية . وعندما يكبر يسر ويغلب بلعبه مع الاولاد الآخرين وباشترائه معهم في رغباتهم . سواء خارج البيت او في المدرسة مع الرفاق . وبعد سن البلوغ يزج بنفسه في وسط الجماعة خاضعاً للقوانين التي تربطها مادياً وادبياً .

وعندما يكبر فان هذا الميل الاستسلامي يشعره بالنقص الذي لا يكمل الا في محبة الغير وفي حياة الاسرة . وأخيراً يرشده الخضوع والاستسلام الى المثل العليا التي تشاد عليها دعائم الاخلاق الفاضلة كالولاء للحق وللانسانية وللدين . وما كل هذه الميول الا ثمار الاستسلام الذي يعزى الى شعورنا بالضعف وحاجتنا الى الآخرين . ومما هو مشاهد في هذا الميل في الطور الاول انه اناي ، قوامه حماية الذات أما الطور الثاني فيتخذ شكلاً آخر هو الغيرية . ولذا يجب أن نفهم ان ميول التضحية وخدمة الغير في الطفل ليست نتيجة التدريب على الاستقلال الذاتي ، وانما هي اشباع ميوله للاستسلام والمحبة ، فاذا اهمل اشباع هذه الميول في الطور الاول فلا تتاح لها الفرصة للظهور في الطور الثاني وعليه يبقى الطفل انايياً

مثال لذلك ، أب له ابن وحيد يريد أن يجعل منه رجلاً . فانه بتربيته له تربية جافة واهمال مخاوفه واعتبارها خيالية لا صحة لها ، وانكاره عليه حتى العطف والمحبة والحماية التي هي من حقوقه الطبيعية ، يحرمه من الشعور بالطمانينة وتربى فيه صفات الخجل والخوف من الحياة ويتصف بالجبن أما الولد الذي تتغذى روحه بالاستقلال الذاتي وتتوافر ثقته بأبويه واستسلامه لها ، فانه يحمل معه هذه الثقة في حياته العملية عند ما يشب ، ويكون قادراً على مواجهة الصعوبات والمشاكل حتى الموت ثانياً — تنمية الميل الى ارضاء النفس

يؤول ارضاء النفس الى فرح والفرح الى سعادة لما يأتي : —

يبدأ اشباع النفس في الطفل في طوره الاول في النشاط والحركات الجثمانية مثل الرضاعة وعملية الهضم وازالة الضرورة وحركة أعضاء الجسد وبعد ذلك — في اثناء تكوين الارادة — يشعر بفرح في التعبير الحر عن النزوات الغريزية ، المصارعة وحسب الاستطلاع والبناء . وأما اذا تجاوز الاشباع الى الحد المعقول في سني الطفولة الاولى فانه يصير شهوانياً عصبياً عند ما يكبر ، وعبداً للانفعال ، ومع ذلك فان لاشباع الميول والمشاعر في الطفولة قيمة جوهرية ، لان في اشباع هذه تكوين الوظائف الجسدية كالعادات وغيرها والفرح في النشاط الذي هو لذة الحياة . وكما أن رغبة ارضاء الحواس والمشاعر في دور الطفولة الاولى تنقضي ليحل محلها لذة التعبير عن العواطف والميول الرئيسية

في الدور الثاني ، فكذلك تتطور هذه الرغبة في السنة الثالثة أو الرابعة الى سعادة تتولد عن اتران العقل وتناسقه . والسعادة — وشتان بينها وبين اللذة — تلتج عن اداء مجموعة الوظائف كاملة وليس عن هذه العاطفة او تلك . هي ثمار الشخصية كلها عاملة بكل عواطفها وميولها الى الغرض أو المثل الاعلى الذي تختاره النفس . ومن الجهة الاخرى اذا ضغطنا على ميول الطفل وعواطفه واحساسه وعودناه اللوم والتعنيف نشأ في موقف الزاهد الكاره للحياة الذي لا يشعر بأية سعادة حقة ، وفي احسن الحالات يكبر طفل كهذا انساناً كئيماً مغموماً لا يفعل شيئاً الاً مدفوعاً باداء الواجب ليس الاً . وأما في اسوأ الحالات فيكبر انساناً شاذاً شهوانياً ضالاً تسوقه تلك العواطف والميول المكبوتة إلى الانغماس في الضلالات الجنسية

ثالثاً — تنمية الارادة

يقصد بالارادة هنا طلب اشباع كل عاطفة غريزية ، مثال ذلك :

انه اذا اراد الطفل الحصول على شيء فلا بد ان يناله ، واذا اراد رؤية شيء او عمل شيء ما فلا مناص من تنفيذ فكرته ورغبته . ونحن نعلم حالة الطفل في السنتين الاوليين . واذا كان عنيداً بطبيعته وخلقه فقد يكون سبب يأس لكثيرين من الوالدين . ومع هذا كله فلا حاجة لليأس والفزع ، ولا داعي يدعوا الى معاملة الطفل بقسوة لا يستحقها ، لان هذه الحالة يتبعها الايحاء الذي يكون فيه مستعداً للاذعان ، وقبول رغبات والديه واهوائهم . والواجب في هذه الحالة ان يعامل الطفل بحزم وصبر وان تعطى البواعث والميول الطبيعية الفرص الكافية للتعبير عنها . واطلاق طفل كهذا على هواه يجعله معتداً بذاته عنيداً . وسحق ميوله يصيره عاصياً متمرداً ظاهراً او باطناً . وإنما الذي يفتقر اليه هو تنمية ميوله ودوافعه القوية . واذا اراد ان يعمل عملاً لا يليق فلا ينبغي ان تستعمل معه طريقة النهي كقولك « لا تعمل هذا او ذاك » لان هذه الطريقة تزيد رغبة في عمل الشيء ، بل يلزم ان تعلمه كيف يفعله فاذا اراد طفل في الثانية من عمره ان يستعمل سكيناً حادة علمه كيف يستعملها بان تقطع شيئاً امامه في الصحن . واذا اراد ان يتسلق شجرة ليأخذ ثمراً منها فخذ الى شجرة لا خوف عليها من التلف ودعه يتسلقها . ففي فعل ذلك اشباع لرغباته . ولو اراد اشعال ثياب الكبريت علمه ذلك . وعلى العموم دعه يعبر عن رغباته بشرط ان تعلمه الحيلة والحذر والتمييز بين المسموح وغير المسموح وبين الضار والنافع . وتكون انت في هذه الحالة قد تجنبنا الخطر واعطيته فرصة لاشباع دوافعه وميوله القوية

وقد يفعل اشياء لا تستحسنها كأن يضرب الارض برجليه في حالة غضب او يتلف لعبة اخيه او اخته او يلحق بهماً ضرراً بدنياً . فلعل علاج ذلك يبحث أولاً عما اذا كان محمداً في ذلك او مخطئاً وربما اخته الوديعة تستحق ذلك . ولكن لنفرض أن ذلك شقاوة منه فكيف نطبق مبدأنا ؟ ان الطريقة الرئيسية لرفع الطفولة والصعود بها الى المستوى الاعلى انما تتأتى بطريقة اللعب . لان اللعب هو التعبير

الطبيعي لدوافع الطفل الذي سيتحول الى عمل جدي عندما يكبر . ان الطفل يريد اللعب ولكن ربما يستعمل ميوله بشدة كما مثلنا قبلاً فعلينا ان نحولها الى اللعب . خذ لذلك مثلاً : اذا اراد الطفل ان يعرض اخته قل له : هاك الأسد — بدلاً من ان تقاصه — وتظاهر بالهرب من امامه عندئذ يتحول غضبه الى حالة اللعب ، واذا نكت الارض برجله خذ من يده وارقص معه . واذا قلب ما شاهده أخوه للعب واللهو فتظاهر بالوقوع أمامه وامرح . وفي هذه الحالة تكون قد اعطيت شعوره بالقوة فرصة للعب بدلاً من الكبح والضغط . ولكن لا بد لهذه القاعدة من شواذ فيجب مثلاً أن يحدد وقت نوم الطفل . وعند ما يحين ذلك الوقت يجب أن يترك اللعب ويذهب لفراشه . ويستعمل معه الحزم والجد . وأيضاً في حالة نزول المطر الغزير لا يجب ان يخرج من البيت . في هذه الحالات وغيرها الصرامة والحزم والشدة لازمة لتربيته والأفان اللين والتساهل وعدم الصرامة تنشئ فيه عدم ضبط النفس وعدم الاذعان لارادتك ، لانه كما تكون أنت معه في الصغر، هكذا يكون هو في الكبر . وتكون ارادته من ارادتك . فلنكن على حذر مع أطفالنا

تعليم البنات في انكلترا

في سنة ١٩٠٢ كان عدد مدارس البنات التابعة لمجلس المعارف ٩٩ مدرسة زادت الى ٤٠٥ مدارس سنة ١٩٢٥ وفي المدة عينها زاد عدد المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً من ١٨٤ مدرسة الى ٣٦١ مدرسة وزاد عدد التلميذات من ٣٣١٥٩ تلميذة الى ١٧٣٢٧٣ تلميذة اي خمسة امثال (والكلام هنا مصبوب على المدارس الثانوية)

أما تعليم الصبية والصبيان معاً فتلك مسألة لا تزال موضع نزاع ومثار جدل بين الكثيرين فبعض المدارس التي يعلم فيها الجنسان قامت على اساس اقتصادية فقط في حين ان هناك مدارس اخرى يعتقد المشرفون عليها اعتقاداً راسخاً في وجوب تعليم الجنسين معاً منذ نعومة اظفارها . وعلى كل فان الشطر الاكبر من المعلمين والمعلمات ويشاركون في ذلك معظم الشعب الانكليزي مجمعون على انه وان صلح تعليم الذكور والاناث معاً في سني دراستهم الاولى ، ثم بعد ذلك في الجامعات ، فانه من مصلحة الجنسين معاً ان يعلم كل منها على انفراد في السنين تتخلل التعليم

[عن كتاب الانكليزي في بلادهم]

بدلاً
وبتقرر
العربي
التي
سيده
فقه
والملا
معلوف
وشكر
باسم
الطعام
بها
أنكس
في أمها
(١)
والحر
يؤخذ
جزء

باب المراسلة والمنظرة

إرشاد لغوي

في كل جزء كلمة

للاستاذ عبد الرحيم بن محمود

« لفيق من الأمراض بزنة فُعَال »

أهيب بحضرات الأطباء في الأقطار العربية أن يتحفظوا الأسماء العربية للأمراض الآتية بدلاً مما يرادفها باللغات الأفرنجية وأن يعملوا على إذاعتها بوسائل الإذاعة بمؤلفاتهم وبوصفاتهم وبتقريراتهم وبمجلاتهم وبمصادقاتهم وبالمصحف السيارة وبالمجلات ليحيوا أوطانهم العربية بإحياء لغتهم العربية — والمجامع اللغوية تشد أزرننا وأزرهم كما نشد أزرها فلنتعاون جميعاً على إنماء لغتنا بألفاظنا التي نبعثها من رسمها إذا أحسننا التطبيق والمطابقة . ويعاونني على بحثي هذا العلماء الأعلام مثل ابن سيده الأندلسي «صاحب الخصر» والشيخ إبراهيم اليازجي «صاحب نجمة الرائد» والنعالي «صاحب فقه اللغة» وأخوأي الأستاذان «عبد الفتاح الصعدي وحسين يوسف موسى» (صاحباً الإفصاح) والملاغي للفيروزبادي وابن منظور والرافعي (وهما مصريان) والزمخشري والجوهرى ثم البستاني ولويس معلوف وجرجس هام الشوري وهم سوريون وأصدقائي الأطباء مثل محمد عبد الحميد بك وسامي إلياس وشكري مشرق وإبراهيم ناجي في القاهرة

﴿ الثبات ﴾ مرض يمنع الإنسان الحركة (١) وهذا المرض يعرفه الأطباء باللغة الانكليزية باسم كاتالينسي (Catalapay)

﴿ الذباح ﴾ وهو ورم حار في العضلات من جانب الحلقوم وتلك العضلات تساعد على بلع الطعام (٢) أي خراجة حول اللوزة وترجمتها إلى الانكليزية (Peri-Tonsillar Abscess) وينطق بها هكذا: بَرِي تَنْسِيلَرْ أْبْسَسْ

﴿ الصفار ﴾ دود في البطن يصفر منه الوجه (٣) وهو يحدث الصفير المعروف عند الأطباء باسم (أنكلستوما) والصفير أعدي من الحرب — ويصيب المصريين في القرى كثيراً ولذلك بُنيت له المشافي في أمهات القرى ومن الواجب أن نطلق على كل منها مستشفى الصفير بدلاً من «مستشفى الأنكلستوما»

(١) كما في نجمة الرائد للشيخ إبراهيم اليازجي السوري (٢) كما يؤخذ من معجم الطال لجرجس هام الشوري السورية والخرائجة كل ما يخرج بالجسم كالدمل وجمعه المكسر خراج بضم الخاء وفتح الزاء فيهما وجمعه السالم خراجات (٣) كما يؤخذ من المنجد للقس لؤيس معلوف السوري

﴿ العَطَاش ﴾ عرض (٤) يصيب الانسان فيشرب الماء فلا يُروى ويرادف هذا بالانكليزية (ديبسومانيا Dysomania) . ﴿ السَّلَاق ﴾ بثر صغير عند أصول اهداب العين تحمر له الأجناف وتتقرح أشفارها (٥) ويرادف هذا كله بالانكليزية (Ulcerative-Blepharitis)

﴿ الزَّحَار ﴾ وهو المعروف عند المصريين والأطباء عامة باسم (دوسنتاريا) وقد أذاع صديقي الطبيب محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وساعور (٦) جراحه هذا اللفظ العربي في مؤلفاته الطبية منذ ثمان وعشرين سنة في صباح حياته الطبية حينما كان طبيب مستشفى قليوب

﴿ القُلَاع ﴾ داء يصيب الانسان يتنفّط منه اللسان والشفتان وهذا الداء يعرف بالانكليزية بأسم (أفث) « Aphthe »

﴿ الهُدَام ﴾ دُوار البحر وهو داء يصيب مركز الجهاز العصبي فلا يعي الانسان كأنه مُغمى عليه يصحبه قيء — وأكثر ما يصيب الذين يركبون البحر أول مرة أو الذين لا يكثرون من ركوبه ﴿ الحُسَاق ﴾ داء يعسر منه نفوذ النفس إلى الرئة ويصيب الانسان وغيره كالإبل وهو المعروف بالدفيتريا . ﴿ الكُزَاز ﴾ داء يصيب الانسان فيرعد حتى يموت وهو المعروف بالتمنّس Tetanus والعامة تقول عنه تننوس

﴿ الجُحَاف ﴾ مشى البطن عن تخمة وهذا اللفظ العربي المفرد يغنى عن لفظتين عربيتين يحققان معناه وهما النزلة المعويّة وقد تحدث عن تخمة كما قال الطبيب النطاسي سامي إلياس

﴿ القُلَاب ﴾ وجع القلب ويقال للطبيب المتوفر على علاجه طبيب قُلَابي بضم القاف مثل الطبيب القلابي أنيس سلامه ومثل الطبيب القلابي جرس جرجس الضبع بك ﴿ الكُباد ﴾ وجع الكبد . ﴿ الرُّعَاف ﴾ دم يسيل من الأنف

هذا وأرجو أن نتعاون على إذاعة هذه الاسماء العربية بدلاً من الاسماء الافرنجية المرادفة لها حتى تشتهر كما اشتهرت أسماء أخرى لأُمراض مثل (الكُـسَاح) و(السُّعال) و(السُّلال) و(الصُّدَاع) و(الجُدَام) و(الطُّحَال) و(النُّكَّاس) وهو معاودة المرض بعد البرء منه

﴿ توجيه ﴾ قال الرافعي المصري صاحب المصباح المنير (المرض حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض ثم قال : قال الاصمعي : قرأت على أبي عمرو بن العلاء — في قلوبهم مَرَضٌ — فقال لي مَرَضٌ يا غلام بسكون الراء فعلى هذا يكون مَرَضُ القلب بسكون الراء وغيره بالفتح ولكني أرى ان القراءتين متواترتان والفتح أكثر تواتراً (قراءة حفص)

(٤) أخطأ الاغويون في جعل العطاش مرضاً أي داء . والصواب انه عرض كما يرى الطبيب النظامي شكري مشرق بالقاهرة فان العطاش يحدث من امراض — وانى انتهز هذه المنهزة فأقول ان كتبنا الاغوية في حوجاء البحر من افني من الاطباء فيما يتعلق بالطب ومن النباتيين فيما يتعلق بالمعادن (٥) كما يؤخذ من معجم الطالاب لجرجس همام الشويري (٦) ساعور يعدل اللفظ التركي البائد حكيم بأشئ كما قلنا في المقال السابق وقد استعمل هذا اللفظ الامام أحمد فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق ص ١٨ فقال « ان العمامة الضخمة تخفي عمن الوجه السكبيرو تشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس وتمنع صعود الانجزة من مسامه كما نص عليه الساعور الاكبر »

مكتبة المقتطف

الانجليز في بلادهم

تأليف الدكتور حافظ عفيفي باشا — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية صفحاته ٤٦٧ قطع المقتطف —
ثمنه اربعون قرشاً

من المأثور ان اللورد بريس (Bryce) — وقد كان سفيراً لبريطانيا في واشنطن مدة طويلة — وضع أفضل كتاب عن جمهورية الولايات المتحدة الاميركية ونظمها السياسية وحالتها الاجتماعية بوجه عام . ذلك أن من كان مثل بريس مفكراً عميق التفكير ، ومؤرخاً ينظر الى التاريخ وحوادثه والنظم السياسية وتطورها بعين الفيلسوف الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه غريباً عن البلاد التي يكتب فيها وانما تربطه بها روابط اللغة والثقافة والفهم ، يستطيع ان ينظر الى حضارتها نظرة عميقة ومجردة عن الهوى في آن واحد

قد لا يكون كتاب حافظ باشا عن الانكليز ، خير كتاب ألف فيهم ، ولكن الامر الذي لا يداخله الريب هو ان هذا الكتاب افضل كتاب عربي في موضوعه ، وجدير بأن يوضع الى جانب المؤلفات الغربية ، فيظهر عند المقابلة انها لا تبره في شيء في الناحية التي اخذ بها الموضوع . ولا بدع في ذلك . فقد قضى حافظ باشا سنوات وزيراً مفوضاً للمملكة المصرية في بلاط سانت جيمس ، وخالط الانكليز مخالطة الصديق للصديق ، علاوة على مخالطة الوزير المفوض لرجال الحكم في البلاد التي يمثل مليكته فيها . وهو الى هذا رجل كامل الثقافة ، واسع الاطلاع ، دقيق الملاحظة ، متوقد الذهن ، فرأى ان اجل خدمة يستطيع ان يؤديها لقومه ، الى جانب الدفاع عن مصالحهم في بلاد الانكليز ، ان يكون رسول صداقة وفهم بين مصر وانكلترا . فأخرج كتابه هذا لقومه ليقروا وينفذوا من خلال صفحاته الى نظم الانكليز ونفسياتهم وطبائعهم في الحياة العامة . وحبذا الحال لو اكمل هذا العمل الجليل بالاعراب عن ضمير مصر في كتاب انكليزي يطالع الانكليز فيكون حلقة اخرى في صلة التفاهم والصداقة بين الامتين

الكتاب ستة ابواب حافلة بحقائق التاريخ المتصلة بتطور الحياة السياسية والتجارية والفكرية في بريطانيا ، وقد جمع شتاتها من ملاحظاته الدقيقة ومطالعانه الواسعة النطاق . فقد اشار سعادة المؤلف في نهاية كتابه الى اكثر من ثلاثين كتاباً معظمها بالانكليزية وبعضها بالفرنسية ، طالعها وتمثلها في خلال دراسته للانجليز في بلادهم

فالباب الاول موضوعه الدستور البريطاني وهو بحث جامع بين الوصف الحالي والعرض التاريخي

جمعاً متزناً . وعندنا ان هذا الفصل هو محك الكتاب . ومطالعة تثبت ان المؤلف اجاد اجادة قليلة النظير . ذلك ان الدستور البريطاني ، لا يمكن ان يفهم الا اذا عولج من ناحيتي التاريخ والوصف في وقت واحد . فهو ليس دستوراً مكتوباً في وثيقة واحدة ، قائماً على قواعد جامدة ، بل هو جانب من حياة الامة البريطانية في ناحية تدبير شؤونها العامة ، تسلسل معها على مر العصور وتطور بتطور حاجاتها وذهنياتها ومقتضيات العصر والحياة . فاذا حاول كاتب ان يقول لك ان القاعدة في نظم بريطانيا هي كيت وكيت فقد تستغربها وقد تستهجنها وقد تستبعدنها . ولكنه اذا ارفق قوله ، بذكر مراتب التطور التي مرت بها تلك القاعدة ، وصلة ذلك باحوال العصر ، اصبح الدستور في نظرك شيئاً حياً ، واصبح لما تراه فيه من المفارقات مغزى يعينك على الفهم

راجع صفحة ٤٨ وما يليها في موضوع « فصل السلطات » في الدستور البريطاني . فقد أشار المؤلف أولاً الى ما كتبه مونتسكيو وبلاكستون في هذا الصدد وكيف اعتبر الدستور الانكليزي احسن مثال لفصل السلطات في وقتها . ثم بين ان هذا المبدأ اخذ يضعف بنمو مبدأ المسؤولية الوزارية . ولذلك خالف « بايجهو » الفيلسوف مونتسكيو في نظرية فصل السلطات وقال ان آثارها ضعيفة في الدستور البريطاني الآن

خذ مثلاً استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية . فقد اثبت ذلك سنة ١٧٠١ بقانون . ومبدأ استقلال القضاء معمول به من ذلك التاريخ ولكن قانون سنة ١٧٠١ قانون عادي ويملك البرلمان تغييره كما يملك اي قاضٍ من القضاة ولو انه لم يستعمل هذا الحق الى الآن . بل للبرلمان ان يصدر قوانين مخالفة لاحكام المحاكم . ثم ان مجلس اللوردات وهو جزء من السلطة التشريعية ، هو كذلك السلطة القضائية العليا في البلاد . ورئيس مجلس اللوردات هو رئيس الهيئة القضائية اي وزير الحقانية فهو اذن احد اعضاء الهيئة التنفيذية . او خذ موضوع صلة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية . فقد اتجهت سياسة البرلمان الانكليزي في السنين الاخيرة ، نظراً الى كثرة اعماله وتشعبها وتعقدها ، الى تحويل جانب من سلطته التشريعية الى الوزارة وهو ما يسميه الانكليز « السلطة بالوكالة » Delegated Powers ثم بين المؤلف بعضاً من نواحي هذا التحويل وما يوجه اليه من النقد . ثم ذكر كيف اعطيت السلطة التنفيذية بعض السلطة القضائية مثل حق مصلحة الجمارك النظر في القضايا الخاصة بالتهريب . وهذه جميعها حقائق قد تربك القارئ وتشوش ذهنه ولكن اسمع تعليق حافظ باشا عليها ، وتأمل فيه تخرج من تشويش هذه الحقائق اتساقاً ييسر لك الفهم : قال

« لهذه الاسباب يرى ان السلطات في بريطانيا ليست منفصلة انفصلاً تاماً في الوقت الحاضر ، ولكنه ينبغي الالتفات الى ان ذلك الامتزاج التدريجي انما حصل تحت ضغط الحوادث القاهرة . لا رغبة في العدول عن مبدأ فصل السلطات . والواقع انه لم يحصل الى الآن في انكلترا طغيان من سلطة على اخرى مع ان الباب مفتوح على مصراعيه لاعتداء كل سلطة على حقوق الاخرى ، ويرجع

هذا من جهة الى تلك الفضيلة البارزة في اخلاق الانكليز السياسية وهي الشعور بالواجب واحترام حقوق الغير . ومن جهة اخرى الى استعداد رأي عام متيقظ لوضع الامور في نصابها . وقد كان من نتائج هذه المرونة في اساليب الانجليز السياسية ان زاد التعاون بين السلطات المختلفة وقلّت الشكوى من تعطيل المشروعات وتراكمها أمام مجلس العموم ومجلس اللوردات ، كما هو حاصل في جميع البلاد الدستورية الاخرى ، بعد ان صار لمجلس العموم الحق في ان يكل الى الوزارة تحت اشرافه عمل تشريع لاية مسألة فنية او مستعجلة . وان استمرار البريطانيين على احترام هذه التقاليد الدستورية قد جعل من هذا الدستور العتيق آلة ديمقراطية على احدث طراز لانها دائماً الاصلاح تتحرك باستمرار بدقة وانتظام فلم تقف عن العمل في اي دور من ادوار حياتها «

وحبذا الحال لو اتسعت هذه الصفحات لبيان حسنات هذا الكتاب النفيس في ما تناوله من شؤون الصحافة والتعليم والاعمال من وجوهها المختلفة . ولكننا سقنا ما تقدم مثلاً ناهضاً على ما حفلت به صفحاته من الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي نرى ان لاندحة لنا عن فهمها وتمثلها، نحن الشرقيين، وقد اخذنا نتطلع الى النظم الديمقراطية الصحيحة لنبنى على قواعدها حياتنا القومية الجديدة . وكتاب حافظ باشا في هذا الصدد دليل هادٍ

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

تأليف ميلاد كدواني — طبع بمطبعة المجلة الجديدة — ثمنه ٨ قروش
يطلب من المكاتب ومن المؤلف بالجامعة الاميركية بالقاهرة

نشرنا في باب مملكة المرأة جانباً من فصل نفيس احتوى عليه هذا الكتاب المفيد . ولعل افضل كلمة قدمه بها للوالدين والمدرسين ما قاله الدكتور امير بقطر في مقدمته : — خيل اليّ وأنا اَتصفح هذا السفر الصغير انني اتمس جوهر الحقيقة في دياجير اغواره كحجر الماس لا يلتقط الا في ظلمات المناجم . وهل في هذا ما يدعو الى الغرابة ؟ اليست الطفولة جبارة عتية ؟ اوليست الشبيبة متضاربة النواحي ، متشعبة المعارج ؟ وكيف يتسنى لامرء ، درس الطبيعة الانسانية واختراق حجب اسرارها بغير ان تقطع عليه وعورتها السبيل ؟ . . . ان الموضوعات التي طرقتها المؤلف في هذا السفر الصغير ان هي الا نظرة عجي القاهها على الطبيعة البشرية ، وليست الا جولات صغيرة في ميدان الطفولة ، والشبيبة فهي ترغب من له اتصال بمجماعات الاطفال والشبان في التعمق في مثل هذه الابحاث ، واستيعاب بعض ما وصلت اليه الجهود العلمية من احدث النتائج وتطبيقها تطبيقاً علمياً محمود العاقبة يتفق وطبيعة الافراد ، واختلاف نزعاتهم وميولهم » ومن الموضوعات التي طرقتها المؤلف عارضاً آراء علماء النفس فيها . الغيرة والبكاء واغلاط الاطفال والخوف والتأديب واختلاط الجنسين وغير ذلك من الموضوعات التي تهتم جميع المربين سواء الوالدين منهم والمعلمين

تاريخ الصحافة العراقية

معجم مفصل لجميع الصحف والمجلات والنشرات الدورية التي صدرت في العراق منذ عهد مدحت باشا حتى اواخر سنة ١٩٣٣. عني بتأليفه الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسيني ، صاحب المؤلفات والمباحث المعروفة في شؤون العراق .. وكتب مقدمته الاستاذ الفيكونت فيليب طرازي مؤلف كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ووصف الكتاب ومؤلفه في هذه المقدمة فقال :

« اما الكتاب الذي نحن بصددده فهو خليق بالثناء من وجوه شتى ، لانه جمع بين دفتيه خلاصة اخبار « صاحبة الجلالة العراقية » بدقة وافرة . وتضمن على صغر حجمه عناوين جميع الصحف التي ابصرت النور في تلك المملكة الفتاة مع اسماء منشئها ومكان طبعها وتواريخ صدورها »
وافتح المؤلف كتابه ببيان ما لقيه من عقبات في سبيل بحثه لقلّة المراجع واهمال الحكومة واصحاب المطابع تدوين اسماء المطبوعات الدورية

ويؤخذ مما اورده في مقدمته انه لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ غير ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة باللغتين التركية والعربية مرة في الاسبوع في كل من مراكز الولايات الثلاث : بغداد ، والبصرة ، والموصل

فلما اعلن الدستور ، انتعشت الافكار وانتشرت الصحافة في الامبراطورية العثمانية انتشاراً عظيماً فكان العراق احد الاقطار التي شم شذاها واقبل عليها اقبالاً كبيراً . فصدرت فيه خلال ثلاث سنوات زهاء سبعين جريدة بين سياسية وادبية وهزلية

ثم ضيق الاتحاديون الخناق على الكتّاب والمحريين والمفكرين فقل عدد الجرائد والمجلات العراقية ولما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروج مبادئهم وتحسن للناس سياستهم . فاصدروا جرائد : الاوقات العراقية ، والاوقات البصرية في البصرة ، العرب ودار السلام في بغداد والموصل والنادي العلمي في الموصل ونجمه في كركوك وسليمانى ويشكوتن في السامانية الخ الخ

وبلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العامة ٢٠ مجلة والمجلات التي صدرت بعد الحرب العامة الى نهاية سنة ١٩٣٣ — ٤٨ مجلة والصحف التي صدرت بعد الحرب وفي اثنائها ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية

والصحف التي صدرت بعد الحرب ١٤٤ منها ٦٠ جريدة اسبوعية و٨٤ ادبية . والكتاب على ما فيه من اجمال وابتعاد عن التفصيل لتاريخ الصحافة العراقية والمستغلين بها والقوانين التي سنت للصحف في الوزارات المختلفة ، يعد وثيقة لها قيمتها عند من يعنون بتاريخ الادب الحاضر والصحافة العربية في انحاء العالم . وثمن النسخة من هذا الكتاب ٥٠ فلساً . ويطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة الاعتدال في النجف الاشرف

توفيق حبيب

بحث في الطائفة الاسلامية في فنلندا

بقلم الدكتور بشر فارس

نشر الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلامية الفرنسية بحثاً جليلاً طريفاً عن الجماعة الاسلامية في فنلندا لم يطرقه باحث عربي من قبل لذلك رأت المجلة الفرنسية الكبرى نشر هذا البحث على حدة بعد نشره في صلبها فأصدرته بشكل كراسة هي التي نعالجها الآن
يبدأ الدكتور بشر فارس بحثه بذكر تاريخ هجرة المسلمين الى فنلندا فيقرر ان اصلهم من الاترك والتتر غادروا روسيا على اثر الثورة البولشفية وهاجروا الى الشمال فأقاموا في فنلندا وكانوا قبلاً يعرفون هذه البلاد لاتصالهم التجاري بها

ويحصى الباحث عدد هؤلاء المسلمين الذين يبلغون ٦٤٨ اي نحو من ١٠٠ عائلة موزعة في سبع عشرة مدينة وقد اعترف مجلس الشورى بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٥ بالطائفة الاسلامية رسمياً .
وتخضع الطائفة الاسلامية للشريعة القرآنية الكريمة في الاحوال الشخصية فالزواج مثلاً يعقده الامام والوفيات تسجل في دفاتره وما زال هؤلاء يعملون بالعبادات الاسلامية كدفع المهر في الزواج ولوحظ ان بعضهم قد يتزوج من نصرانية ولكن بندهم يقيدون في دفتر المسلمين . ويدرس صغار المسلمين في فنلندا القرآن الشريف باللغة العربية ويطالعون تاريخ الاسلام وتاريخ تركيا على الاخص باللغة التركية . اما اللغة العربية فلا يحسنون منها الا المبادئ الاولى والا التجويد . ولهم مدارس في القرى وقيم ادباؤهم المحاضرات بين حين وحين . وهم مثقفون بالثقافة التركية وملتقون نحو انقرة يعيدون عيد استقلال تركيا ويعلقون رسم الغازي في منازلهم

وفي فنلندا ثلاثة مساجد وحيث لا مسجد لهم يجتمع المؤمنون في دار احدهم لصلاة يوم الجمعة وليس في فنلندا سوى امام واحد مأجور من المسلمين وحيث لا امام يتولى الصلاة اعرفهم باصول الدين ويطعمون الاعياد الدينية ويوزع الاغنياء العطايا والحسنات على الفقراء . والصيام عندهم غير اجباري في ايام يونيو ويوليو الطويلة ولكن يصوم من يريد في شهر آخر

وقلما حج مسلمو فنلندا الا واحد منهم . وتنعم المسلمة في فنلندا بالحرية نظير اختها الفنلندية ولكنها لا تراقص مثلاً فنلندياً وقد قال لي واحد : ان هذا الامر لن يطول

بمثل هذه التفاصيل القيمة يشرح الدكتور بشر احوال هذه الجماعة التي اكتشف مقرها وأبان ظروفها وموقفها الرسمي ازاء الحكومة وقليلون الذين كانوا يعلمون ما كتبه الدكتور عنها . وفي الكراسة رسوم وصور الاسر الاسلامية ومدارس المسلمين وانديتهم الرياضية والاجتماعية
ويزيد هذا البحث فضلاً ان صاحبه زار فنلندا بنفسه وخالط هذه الجماعة الكريمة ونزل بينها اياماً يبحث ويدقق ويتفهم ولا شك ان كشف الدكتور هذه « المستعمرة الاسلامية » في اطراف

أوربا عمل جليل يستحق من اجله كل الشكر لانه سهل للمؤرخين الذين يعنون بشؤون الاسلام مهامهم ووضع بين ايديهم وثيقة جديدة مكتوبة بصدق وامانة وعلم . وعلى ذكر ذلك نقول ان مجلة البحوث الاسلامية التي عنيت بنشر بحث الدكتور بشر فيها ثم بنشره على حدة هي لسان حال المستشرقين الفرنسيين يديرها حضرة المستشرق الكبير الاستاذ ماسينيون

قصص للأطفال

١ - قصص جغرافية - لكامل كيلاني - تولت طبعها ونشرها المكتبة المصرية بمصر
٢ - قصص علمية - لكامل كيلاني -

الحمد لله اننا بدأنا نلمس أثر الجهود التي بذلها رؤاد مطالعات الأطفال في ما تنشره المطابع العربية الآن من قصص متنوعة الموضوعات والاشكال غرضها ان تبعث الفسوة والسرور في نفوس الصغار وتحبب اليهم المطالعة العربية : ولا تزال كتب كامل كيلاني - وقد كان سباقاً في هذا الميدان - من خيرة ما تخرجه المطابع للأطفال ، شكلاً وموضوعاً واسلوباً ، وقد سبق لنا ان اشرنا الى بعض ما صدر منها في حينه . وأما الآن قصص جغرافية للأطفال وفيها قصة رحلة لثنجستون الى قلب افريقيا . ومن حسنات المؤلف في هذه القصة ، انه عمد ، وقد تقدم الأطفال الذين طالعوا قصصه السابقة في المعرفة والفهم ، الى تقطيع حديث الرحلة الأخاذ بقصول تفسيرية بديعة تناول فيها بعض الحقائق الجغرافية والتاريخية والأدبية المقتترنة بالأشهر والجبال والغابات والشلالات وغيرها مما ورد ذكره في خلال القصة . وهو اسلوب مفيد اذا احسن المربي استعماله أما كتاب القصص العلمية فيتناول فيه المؤلف حقائق معروفة ومشهورة ، وهي مع ذلك لا تخلو من غرابة ، في التاريخ الطبيعي من حياة الحيوان والنبات في اسلوب قصصي . وفي آخر هذا الكتاب معجم لغوي للالفاظ العربية الصحيحة الخاصة بنسل الحيوانات المختلفة واجناسها ، وفصل وقفه على حياة النحل ويليه الالفاظ العربية الخاصة بالنحل ثم هناك معجم آخر لاعلام الحيوان ، وهذه المعاجم مما يكفي المربي مؤونة التفتيش في المطولات ساعات طويلة احياناً رغبة في العثور على كلمة واحدة

ومما لا ريب فيه ان مؤلف هذه القصص فضلاً كبيراً على تنشئة الأطفال المتكلمين اللغة العربية ولذلك سرتنا صدور كتيب في ٩٥ صفحة يحتوي على ما قيل في حفلة تكريمه وعلى مختارات مما نشرته الصحف والمجلات الكبيرة في وصف مؤلفاته . ولكننا والحق يقال لم نستحسن عنوان « نقيب الادباء ومنشئ الجيل » . وليس شعورنا هذا مصبوحاً على هذا العنوان بحذ ذاته ولكنه يتناول كل ما كان من قبيله من اسباغ الالقاب العامة على المؤلفين والكتاب بحيث اذا مضينا في ذلك سنة اخرى او سنتين ، اصبحنا وكل كاتب او اديب اميراً او نقيباً او ما الى ذلك من الالقاب التي لكثرتها قد تضيق معناها ومغزاها فتختلط الاحكام وتضطرب المقاييس

شعر ابي شادي الجديد

١ — فوق العباب

٢ — الكائن الثاني

إذا تنقف عقل الشاعر من دون أن تطفئ الثقافة على الشعور الدقيق والحس المرهف ، جلا لنا من عجائب الكون والحياة صوراً تغذي العقل وتهز النفس معاً . وهذا شأن ابي شادي ، في الغالب في ديوانيه الاخيرين . فالشاعر فيهما لم يكنف بترديد المعاني المطروقة في الغزل والنسيب وغيرها من أغراض الشعر ، ولكنه أرسل القوافي تبحث عن الجمال الاعلى في عجائب الحياة ورحاب الكون متأثراً بالنظرات العلمية الحديثة ، حتى لترى بين قصائد السفيرين موضوعات تحسبها عنوانات لكتاب علمي . ولكن ابا شادي لم يكنف — وأي شاعر يكنفي — بسرد الحقائق العجيبة التي كشف عنها العلم او انطوت عليها النظريات العلمية الحديثة ، بل دمج ذلك في الاعراب عما تركته تلك المعاني في نفسه الشاعرة من الاحساس بالجمال والعظمة والتصوف ومعاني الانسانية السامية ، ولعل قصيدة « الأشعة الكونية » التي تفضل فأهداها الى رئيس تحرير هذه المجلة بعيد صدور كتابه « فتوحات العلم الحديث » من أبلغ الامثلة على ما ذكرنا . فقد أشار الى نظرية مِلِكِن في تولد هذه الاشعة بقوله

امن الخواء اتيت منح عناصر
ام من فناء الايدرجين تحوّلًا
تُبْنِي فكننت لها شهود عيان
فيعود في النسترون ذاك الباني

ولكن هذا التقرير لا يكفي الشاعر فيقول

من أين مصدرك الكريم الباني
من نفخ خلاق الحياة فروحه
ليست رحاب الكون غير رحابه
جعل التفجير مبداً لفنونه
فاذا انبثاق الكون يوم اول^(١)
واذا انبثاق الكون يوم اول^(١)

واذا نظام الشمس يوم ثالث
واذا الحياة قصيدة علوية

ومن هذا القبيل قصيدته في بلوطو (السيار التاسع الجديد) وما وراء المجرة
فقال في الثانية عن السدم التي خارج المجرة

عوالم لا تحصى ولا هي تعرف
ويا ربما المجهول منها المعروف

(١) هنا الاشارة الى رأي ليمتر وده ستر وغيرها في تفجير الكون وتمددده (٢) الاشارة الى اقتراب شمس من شمسنا فاحدث فيها مدّاً وان بعد احتمال اقتراب مثل هذا يجعل ما حدث من قبيل الاتفاق او الصدفة

تناهت تناهت في الفضاء الى مدى
فما قنصتها بؤرة^(١) العلم مرة
رأى من وراء الكون آيات غيره
ثم قال تشقت هذا الكون حتى فضاؤه
كأن رحاب الكون وجدان شاعر
وفيها «كونتات»^(٢) الحياة أجنة
ولكنما للشعر من لبناتها
عالم باللحن السماوي تعزف

ولم يقصر الشاعر عنايته بهذه الموضوعات على الطبيعة والفلك الحديث بل تناول نواحي فنانة من التاريخ الطبيعي لا يتسع هذا الباب لدراستها جميعاً دراسة وافية . ومع ان الاندماج بين تقرير الحقائق العلمية والتعبير عن الشعور الذي توحى به الى النفس لم يبلغ بعد ذروته في هذا الضرب من شعر ابي شادي ، الا ان الظاهرة في الشعر العربي جديدة تستوقف النظر فيسرنا أن نسجلها

نشأة الدولة الاسلامية

تأليف أمين سعيد . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . سنة ١٩٣٥

التاريخ الاسلامي كله لا يزال مادة مبعثرة منشرة ما بين كتب التاريخ التي ألفها سلفنا الامناء على الرواية في غير تبديل ولا تحريف وبين كتب الحديث والادب والشعر والمحاضرة وكتب الفقه الاولى كالام للشافعي وكتب الرجال الكثيرة . هذا على ان اكثر كتب التاريخ العربي لم تطبع بعد ككتاب التاريخ الكبير للمسعودي صاحب مروج الذهب وهو اكبر من تاريخ الطبري بكثير وفيه تفصيل للحوادث الكبرى في تاريخ الاسلام ثم ان كثيراً من امهات الكتب العربية قد ضاع كله او بعضه ككتاب انساب الاشراف للبلاذري وغيره

أجلنا هذا لتعلم قدر ما يقاسيه طالب التاريخ وكاتبه من المشقة في تأليف مادة الحوادث التي يريد ان يجمعها ثم ينقدها ثم يؤلف بينها ثم يصل بين بعضها وبعض حتى يستوي له الوجه الذي يكتب عليه اعظم تاريخ واحفله وأروع . ولا نفس ان مؤرخي العرب قد خفي عليهم ان يكتبوا كتباً مفردة في الاجتماع العربي والاسلامي من اول عهده الى عهدهم فعلى الكاتب ان يتتبع ذلك في كل كلمة وحادثة من كتب اللغة الى كتب الفقه الى كتب التاريخ وغير ذلك حتى يكتب التاريخ كما يجب لا كما يتخيل

ونحن احوج الام في هذا العصر الى الكتاب الذين يتولون نشر الكتب في تاريخنا الاسلامي

(١) أي عدسة النظارة المقربة (٢) مقادير الطاقة بحسب نظرية بلانك

العربي ، فان كل كاتب يؤلف من المادة التي تجتمع له كتاباً مهنياً يؤدي الى كل من يأتي بعده يداً واحساناً ، ويمهد له سبيلاً مهما اختلفت الآراء وتباعدت المذاهب بل ربما كان هذا الاختلاف هو مهد الحقيقة الثابتة فيه تنمو وتمتد حتى تتكامل على الصورة البينة التي لالبس فيها ولا اهام وهذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ امين سعيد هو من طلائع المؤلفات الجيدة في التاريخ الاسلامي فقد رتبته فأحسن ترتيبه واستخلص من امهات كتب التاريخ مادته كما انتقاها واختارها وجرى فيه على مدى غير مضطرب يصل اول الامر باخره على نسق واحد متجنباً ذكر اختلاف الرواة لئلا يشق بذلك على القراء الذين يريدون ان يتعرفوا الى التاريخ الاسلامي كما تعرفوا الى غيره من التواريخ في غير اضطراب ولا مشقة

بدأ المؤلف تاريخه كما يجب ان يبدأ بمختصر واف لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه وما أحدثته الدعوة الاسلامية في نفوس الامة العربية . ولم يخل هذا الباب في السيرة النبوية من رأي صائب قد تفرد به الاستاذ وأضافه الى الحقائق التي تعتمد فيما بعد في كتابة تاريخ مفصل لهذا العهد الاول وهو عهد الرسالة

ثم انتقل من ذلك العهد بفصل جيد ذكر فيه تأثير وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب حتى كان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ، وهنا بدأت الطامة الكبرى التي كادت تؤدي بالمسلمين ألا وهي حرب الردة لولا حزم ابي بكر وعمر وأئمة الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد استوفى المؤلف الكلام على حرب الردة وبين وقائعها واحدة وبخاصة ما أتى به خالد بن الوليد من دقة التدبير الحربي الذي أهله فيما بعد ليفتح العراق ثم الشام . وبعد ان فرغ من حرب الردة أزمع أبو بكر رضي الله عنه ان يفتح العراق فأرسل جيشه . وهنا يبدأ جزء مهم من الكتاب هو فتح العراق وفارس استقصى فيه المؤلف ما وصل اليه من علاقة العرب بالفرس في ايجاز جميل يوضح تاريخ هذا العهد بعض التوضيح . وقد كان قطب هذا الفتح القائد العربي المابغة (خالد بن الوليد) الذي مهد للمسلمين اسباب النبوغ الحربي ، وكان كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سيفاً من سيوف الله) وقد أحسن المؤلف في افراده ترجمة موجزة لخالد في هذا الموضع من الكتاب فان خالداً بعد ان استقر به القرار وانذر كسرى فارس بالهجوم في موقعة فاصلة انتقل الى حرب الشام بحزم من جيشه بعد ان استخلف على بقية جيش العراق وذلك في خلافة عمر ابن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه . وعلى هذا النسق يستمر الاستاذ امين في عرض تاريخ الاسلام عرضاً صحيحاً حتى آخر عهد عمر وقد كان عهده عهد الفتح الاكبر في دولة الخلفاء الراشدين وننبه القارئ الى فصل جيد في آخر الكتاب فيه تلخيص أمهات المسائل التي تعرض لها المؤلف وتعليق عليها « يساعد ابراهه على فهم كثير من حقائق التاريخ ويميط اللثام عن بعض خفاياه »

الادب العربي في آثار اعلامه

تأليف الاساتذة «فؤاد أفرام البستاني» و «واصف بارودي» و «خليل تقي الدين»

هذا كتاب ألفه الاساتذة بعد تدبر وتمحيص لخير الطرق المؤدية الى تثقيف الطالب العربي وتعريفه بأدب امته ، وقد وضع وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية فيه نصوص من الادب منتخبة للجاهلية وصدر الاسلام اي آخر دولة بني امية ، وقد اختاروا في القسم الاول منه قصائد لامرئ القيس والنابغة وطرفة وزهير وعنترة ومن حسن الصنيع انهم اختاروا لهؤلاء الشعراء قصائد ثم تامة الا ما كان لامرئ القيس من الفجور في القول ، ثم اختاروا بعد ذلك قصائد في عصر صدر الاسلام للاخطل والفرزدق وجربير وعمر بن أبي ربيعة من الشعراء وقد قسموا ما اختاروه لكل شاعر على الابواب المعروفة من المدائح والوصاف والهجاء ثم اختاروا من النثر في هذا العصر بعض خطب الحجاج ورسائل عبد الحميد الكاتب

ولقد احسن الاساتذة كل الاحسان في اختيار هذه الطريقة لتدريس الادب العربي في مدارسهم فان الشاعر من الشعراء لا يجدي في معرفته بيت او بيتان وانما يعرف الشاعر حين تقرأ قصائده بأكملها على وجهها مشروحة مفصلة حين ذاك يرجى ان يقدر الشاعر ويفهم شعره ثم يرجى ان تستقيم فطرة الطالب على السليقة العربية في التعبير الدقيق عن الاغراض التي يتناولها حين يكتب او ينظم

من حي الى ميت

بقلم نوفيق حسن نادر الشرتوني ، طبع بمطبعة المعرض ببيروت ١٤٦٦ صفحة من قطع المقتطف

هذا الكتاب ، احساسات نفسية وخواطر وتأملات في الحياة والموت ، في الدنيا والآخرة ، جاشت بنفس مؤلفه على اثر صدمة عنيفة هي مصابه بفقد اخيه طانيوس حسن نادر الشرتوني فأرسلها قطعاً من الشعر المنشور في اسلوب رقيق يلونه الاسى بلون من التأمل والتفكير ، وتسكب عليه لوعة المؤلف ووفاءه لاخيه حناناً وهدوءاً يشعر بهما من يطالع هذه الرسائل كقوله: «يا اخي! تخيل الي ان الانفس سواء اكانت محررة من المادة او مقيدة بها تعمل على الدوام مجددة وراء رقيها وكما لها تعثر تارة وتنهض احياناً ولا تنفك متجهة نحو غايتها ، وما غايتها سوى رجوعها الى اصلها لانها فرع وكل فرع يعود الى اصله . فكما يحمل السحاب مياه البحر ويقذفها فوق الجبال والسهول والادوية ثم تعود المياه بحكم طبيعتها الى البحر ، هكذا الى مصدر الروح ترجع الروح ، والى منبع الحياة ترجع الحياة . اني اتمثل النفس كالكهرباء تشتغل مقيدة وبلا قيد . وكالرائحة العطرية تعمل في الفضاء وفي قلب الزهرة على السواء . فكما ان الارض لا تهدأ دورتها والكهرباء لا تقف حركتها ، هكذا الانفس لا يبطل عملها ، وجمال الحياة العمل»

مفتاح العقول

انشأه وجمعه واختصر اجابته — نجيب نجم كرم — طبع في بيروت وعنه ١٠ قروش سورية
 حوى هذا الكتاب طائفة مختارة من حقائق العلوم والتاريخ والاجتماع واقوال وحكم مأثورة
 مفرغة في قالب شذور طريفة يسهل تناولها على طالب العلم الناشئ . فتجيب اليه المطالعة من جهة
 وتوسع نطاق معارفه من جهة اخرى . والشذرة من هذه الشذور لا تتعدى في الغالب عشرة اسطر
 ولكن كل كلمة في كل سطر منها لازمة لاستيفاء المعنى . فهي مثال على وضوح الفكر المقصود
 والايجاز في التعبير عنه . فتحننا الكتاب اتفاقاً عند الصفحة العاشرة فقرأنا ما يلي بعنوان
 « الكوبلت » : — الكوبلت معدن ابيض يضرب الى الحمرة سريع الانقصاص يقبل التطرُّق
 والصقل لا يصهر الا بحرارة شديدة جداً ولا تفعل به الحوامض الخفيفة الا قليلاً ويذوب في
 الحامض النتريك بسرعة وله مركبات كثيرة تستعمل في الصناعات لاجل التلوين واكثر ما يوجد في
 الطبيعة مختلطاً بالنكل الا في ذكره والكبريت والزرنيخ . وفتحناه عند الصفحة ١٥ فوجدنا نبذة عن
 أعظم عظماء العالم كما اختارهم احد الكتاب وهم ارسطو في الفلسفة وارخميدس في العلم ونيون في
 الرياضيات وميخائيل أنجلو في التصوير والنقش وبيتوفن في الموسيقى ودانتي وشكسبير في الشعر ثم
 بضعة سطور عن كل منهم تشمل اهم ما عرف عنهم . فالكتاب من اصلح كتب المختارات التي اطلعنا
 عليها لمطالعة تلاميذ المدارس

مجلة اوريان — باريس

اصدر حضرة الصحفي البارع توفيق وهبه مراسل المقطم في باريس مجلة باللغة الفرنسية سُمِّيَتْ
 اوريان باريس وقفها لخدمة الشرق في اوربا واطهار فضائله ونشر ثقافته وتعميم انباء حضارته القديمة
 ونهضته الحديثة . ويعاونه في تحريرها نخبة من كتاب الغرب الذين وقفوا على روح الشرق ونفذوا
 الى صميمه في دراساتهم عنه خلافاً لاولئك الكتاب الذين المَّوا به المما فجاءت احكامهم مغلوطة
 خاطئة . ومن محرري هذه المجلة الراقية المطبوعة طبعاً جيلاً بعض وزراء فرنسا ونوابها وشيوخها مما
 جعل لها مكانة عالية في الاوساط السياسية والادبية
 ويروك فيها تنوع موضوعاتها ودقة بحوثها كما يستفرك منها حسن دفاعها عن الشرق وبلاؤها
 عن العرب وتمجيدها لحضارتهم السالفة وتفيهاها الغربيين لوجوب معاملة الشرقيين معاملة حسنة
 تضمن حسن التفاهم بين الجانبين . ومن موضوعاتها الاخيرة . وزارة نسيم باشا والسياسة المصرية .
 المرأة المسلمة وكتاب الغرب . الوفد المصري . تاريخ الصحافة المصرية . الحروف العبرانية . لمحة
 من تاريخ جامع باريس . الفن المصري في فرنسا . الكتب العربية . الشرق قديماً وحاضراً . ابن
 السعود والنوهابية الخ . والخلاصة ان هذه المجلة رمز الذوق الصحفي والاطلاع العام والاندفاع
 المحمود والوطنية الصادقة الحكيمة

بَابُ الْإِسْتِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

إنشاء زراعية مفيدة

نقلها عوض جندي

الرياح نقلها ، شذر مذر الى مواضع نائية حيث تسقط على سيقان القمح وهي غضة فتستكن هناك بين الخلايا الحية وتشرع في التفريخ فتنتج جماعات خيطية الشكل تعرف باسم جراثيم الفطر وهي تشبه البذور . ومتى احتلت تلك الجراثيم سيقان الحنطة واتخذتها مراعي خصبة لها ، رأيت هاتيك الخويطات (الديدان الشعبانية) تترعرع بينما نبات القمح النافع يقف نموه الطبيعي ويذوى . ثم يظهر محصول الجراثيم الصبغى ، قبيل زمن الحصاد كأنه خطوط أو نقط صدا . وذلك على اوراق القمح عادة ، وقد تظهر على سوقه أيضاً . وهذا هو المرض النباتي المعروف باسم الصدا الاحمر للقمح . ولما كانت الرياح تبت تلك الجراثيم في كل مكان فانها تسقط على ما يصادفها من النباتات المتاخمة لها حيث تأخذ في التفريخ عاجلاً وتتفشى عداوها تفشياً ذريعاً في ابان فصل النمو ، حتى اذا اوشك الصيف على الانتهاء ظهر الصدا الاسود على سوق القمح كجماعات من جراثيم الشتاء القائمة اللون ومتى حل فصل الربيع الثاني ، شرعت تلك الجراثيم في التفريخ فيتولد منها خويطات تنتج جراثيم اكثر عدداً تطيرها الرياح الى اوراق

آفة الصدا * تنتاب الحبوب طائفة من النباتات الطفيلية الدقيقة ، من فصيلة الفطريات فتحدث في محصولاتها عجزاً كبيراً . وأخص الحبوب التي تصاب بها ، القمح والزمير والشعير وقد ينجم عنها أيضاً آفات شديدة في الجويدار والقول والبرسيم والذرة المصرية والذرة العويجة «الدخن» وبعض الثمار ذات العجم «النوى» وتسطو على الخشب عند قطعه من الغاب فتحدث فيه تلفاً شديداً

ولا مرأ في القول ان آفة الصدا والحيرة قد عمتا العالم بأسره . وهما تتولدان من جراثيم على هيئة أجسام ترابية دقيقة جداً لا تراها العيون المجردة ، وانما يتاح للمرء رؤيتها بالمجهر . وتتغذى جراثيم صدا القمح ، في اطوارها المختلفة بصنفين من النبات يسميهما علماء النبات بالنباتات الالوية للجراثيم . ومنها الحنطة والبرباريس

ولو فحصت ورقة من اوراق البرباريس لوجدت جانبها السفلي يكن جماعة من جراثيم برتقالية اللون ، تختفي في شقوق صغيرة يسميها علماء النبات كؤوس العناقيد . ولما كانت تلك الجراثيم أخف من ذرات العنبر ، فتستطيع

الحصاد — والخميرة الجلدية تؤثر في جنين القمح وهي افنتك الآفات التي تعتري القمح لانها قد تتلف نصف محصوله ، وتجعل رائحته كرائحة السمك الممتن ويلحق خبراء الزراعة آمالاً وطيدة على وقاية المحصولات من آفة الصدأ باستيلا داصناف جديدة من الحبوب تقوى على مناوأة الفطر وقد يساعد تناوب المحصولات على علاج التربة المصابة بالصدأ كما ان فرط الازوت او الرطوبة يسهل التعرض للاصابة به . وثبت من التجارب التي جربها العلماء في هذا الموضوع ان بيئة البرباريس ليست من مستلزمات الاصابة بالصدأ على الدوام ولكنها تزيد انتشار الطفيليات ويرى العارفون ان آفة الحماثر ايسر من آفة الصدأ استئصالاً بالوسائل العلمية الحديثة المستعملة لوقاية المزروعات . وسبب ذلك ان جراثيم الخميرة تتعلق بظواهر الحبوب فتسهل ابادتها بالمواد المطهرة قبل البذر ، وذلك بثلاث وسائل : وهي الماء الساخن ، والفورمالدهيد ، وكبريتات النحاس ثم ان البذر المبكر احتياط مفيد للوقاية من آفة الخميرة والصدأ

الطلق يبيد خميرة الشعير * الطلق هو المادة الاساسية التي تدخل في صناعة الذرور — البودرة . وقد ظهر بالامتحان الذي قام به معهد التجارب الزراعية التابع للحكومة أيوى ان للطلق شأنًا عظيمًا في ميدان مكافحة الآفات الزراعية كالذي له في ميدان التبرج الصناعي اذ جعلوه قواماً لمسحوق سام مكون من بيكربونات الصودا وكبريتيت الصوديوم وغيرها من المواد الكيميائية

نبات البرباريس وهي مستعدة على الدوام لاستئفاف كرتها القتالة

* آفة الخميرة * تتولد خميرة القمح والزميز والشعير من تلك التقاوي بجراثيمها عند بذرها فتري تلك الفطريات تسطو على النباتات الصغيرة حالما تنبت على سطح الارض وتتبعها في نموها فتختلس غذاءها فتحول دون قيامها بتكوين بذورها . وحينئذ ترى النبات عاجزاً وتأوى اليه جماعات كثيرة من جراثيم الخميرة الملوثة التي تعد بالملايين فتتحد بعضها ببعض وتعلق بالحبوب السليمة عند عمليتي درس القمح والتصرف فيه وهذا مصدر الضرر الذي يلحق المحصول التالي

اما خميرة الذرة الهندية فيختلف منشؤها عما تقدم وصفه لانها لا تتولد من التقاوي الملوثة بل من الجراثيم نفسها التي تكون قد انقضت عليها فصل الشتاء كامنة اما في باطن التربة واما في السماد التي تسمد به الارض . ومتى حل فصل الربيع انتجت تلك الجراثيم جراثيم اخرى تنشرها الرياح في ارجاء الحقول حيث تتخلل النباتات الغضة . وهناك تتكون نوامي كأنها بشور كبيرة يسود لونها شيئاً فشيئاً حتى تتولد « كسرى الخميرة »

* اصناف الحماثر النباتية * تنقسم الحماثر النباتية الى ثلاثة اقسام وهي : اللينة والخفيفة والجلدية . فاللينة تجعل السنابل الصغيرة مثل كتلة قائمة اللون تعبت بها الرياح فتبعثرها وتترك عيدانها مجردة . اما الخميرة الخفيفة فتؤثر في السنابل ولكنها تبقىها على سيقانها حتى زمن

الجزء الخامس من المجلد السادس والثمانين

صفحة

الطبيعة في ربع قرن	٥٠٩
من أندية العلم	٥١٣
نشأة الفن الاسلامي : لاجد فكري	٥١٦
احتضار الغرب : لعلي حسن الها كح	٥٢٠
تاريخ الديموقراطية في الصحة والعلاج : للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك	٥٢٧
الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا : للامير مصطفى الشهابي	٥٣٣
كفاح الانسان ضد المرض	٥٣٩
الز مكان : لنقولوا الحداد	٥٤٨
الغفران (نشيد) : لالياس ابو شبكة	٥٥٤
بنيون الفنان : للدكتور احمد زكي ابو شادي	٥٥٧
اعظم الرحلات الجوية	٥٦٦
مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي	٥٦٩
التربية والتعليم عند قدماء المصريين : للدكتور حسن كمال	٥٧٣
الديمقراطية والتعليم : للدكتور امير بقطر	٥٨١
انطاكية وآثارها الفخمة : لنقولوا شكري	٥٨٥
حُبُّ الام في انايب التجارب العلمية	٥٩٢
باب سير الزمان : روح اليابان ورسالتها : للجنرال اراكي . ستانلي بولدون : صورة قلبية	٥٩٣
باب حديقة المقتطف : المساكين : لفكتور هوغو . الفتاة الاجنبية : للدكتور بشر فارس . الدفعة : لالياس زعرور . الخريف : لالفونس دي لامرتين	٦٠٣
باب مملكة المرأة : في معرض ايمي نمر : للدكتور ابو شادي . الصحة والزواج . المرض امتحان . هوا جس فتاة جميلة . نصيحة لفتاة تخشى الحياة . الاعمال المنزلية . بين طفل وعنكبة . تنظيم حياة الطفل . تعليم البنات في انكلترا	٦٠٩
باب المراسلة والمناظرة : ارشاد لغوي : للاستاذ عبد الرحيم بن محمود	٦٢١
مكتبة المقتطف * الانجليز في بلادهم . اسرار الطفولة . تاريخ الصحافة العراقية . الطائفة الاسلامية في فنلندا . قصص للاطفال . شعر ابي شادي الجديد . نشأة الدولة الاسلامية . الادب العربي في آثار اعلامه . من حي الى ميت . مفتاح العقول . مجلة اوريان باريس	٦٢٣
الاخبار العلمية * ابناء زراعية مفيدة : لعوض جندي	٦٣٤

٥٩٩
٥٩٩
٥٩٩